البرهان
في معرفة عقائد أهل الأديان

لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي المتوفى ٦٨٣ هـ



ويليه

ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين

للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ

ويليه

كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام وبيان الفرق الضالة



لأبي الفرج جمال الدين ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

ويليه

المختار النفيس من الانتصار لأصحاب الحديث

لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٤٨٩ هـ

ويليه

شرح قوله ﷺ: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" وتعديدها بأسمائها

لأبي القاسم عبد الواحد بن أحمد الكرماني من علماء القرن الخامس



ويليه

ميزان الجرح والتعديل

لجمال الدين القاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

البرهان
في معرفة عقائد أهل الأديان

لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي المتوفى ٦٨٣هـ

ويليه

ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين

للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ

ويليه

كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام وبيان الفرق الضالة

لأبي الفرج جمال الدين ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

ويليه

المختار النفيس من الانتصار لأصحاب الحديث

لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٤٨٩ هـ

ويليه

شرح قوله ﷺ: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" وتعديدها بأسمائها

لأبي القاسم عبد الواحد بن أحمد الكرماني من علماء القرن

ويليه

ميزان الجرح والتعديل

لجمال الدين القاسمي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ

تحقيق وتعليق

أحمد فريد المزيدي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Rami Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Rami Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4350-6
9782745143501 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المقرّبين، ومن تبعهم واقتفى أثرهم، وسلك نهجهم في الفكر والعمل إلى يوم الدين.

وبعد:

فنضع بين يديك، أيها القارىء الكريم، مجموعة وكوكبة من معارف وإيضاحات العلماء المتقدمين، بذكر الفرق والطوائف من المبتدعين، وكل ذلك ليندرج تحت شرح لحديث المصطفى الأمين: «ستفترق أمتي إلى اثنتين ـ وفي رواية ـ إلى ثلاث ـ وسبعين فرقة...» الحديث.

علماً بأنه في روايات: «واحد» و«أربعة» مع اختلافات الروايات، وذلك موضح في هذه الرسائل المجموعة، وأن الفرقة الناجية التي خصها النبي ﷺ بالنجاة والحق والصواب، هي أهل السنّة والجماعة.

وقد قام كل واحد من الأئمة المصنّفين بوضع فوائد، وزيادات، ولطائف، لم تكن عند غيره، وهذا ما دفعنا إلى جمعها، وهي كتب مستقلة لمصنفيها.

فالأول: هو كتاب البرهان في معرفة عقائد أحل الأحيان، للعلاّمة أبي الفضل التريني السكسكي الحنبلي.

ونسخ الكتاب الخطية: مخطوط دار الكتب المصرية، ومخطوط جامعة آل سعود بالرياض.

وطبعاته:

الأولى: بدار التراث العربي بالقاهرة، سنة ١٩٨٠م.

والثانية: مكتبة المنارة بالأردن، سنة ١٩٨٨م، وكلاهما بهما جهد جيد، شكر الله كل من ساهم في إخراجها.

والكتاب الثاني: ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنّة، والمبتدعين للعلاّمة اليافعي، وقد استفاد كثيراً من البرهان ـ المتقدّم ذكره.

ونسخته الخطيّة: من المكتبة المحمودية ـ عنها مكتبة الملك عبد العزيز، بالمدينة المنورة تحت رقم (١٩٠١)، وهي ناقصة الآخر.

والكتاب الثالث: بيان الفرق الضالّة، لابن الجوزي، وأصله مخطوط بالمكتبة البلدية بالإسكندرية تحت رقم (٤٣٧٦٥)، وهو مصوّر بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، تحت رقم ١٢٥ توحيد وملل.

والكتاب الرابع: مقالة في شرح قوله ﷺ: «ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة»، وتعديدها بأسمائها لأبي القاسم عبد بن أحمد الكرماني، الذي عجزت عن وجود ترجمة له، مع أني بذلت جهداً كبيراً في ذلك، وقد رأينا أنه من علماء القرن الخامس. وقد نسخت المخطوطة مع سائر المجموع في بداية القرن السادس. من مصورات معهد الجامعة العربية ٢٢٤ توحيد وملل، عن راغب باشا (١٤٦٣) (١١).

والكتاب الخامس: هو المختار النفيس من الانتصار لأصحاب الحديث، لأبي المظفر السمعاني، وهو مأخوذ ممن نقلوا عنه في كتبهم.

نسأل الله الوقوف على أصله وتحقيقه لنفع طلبة العلم به.

والكتاب السادس: ميزان الجرح والتعديل، للعلاّمة الفاسي، وهي رسالة وبحث نفيس في نوعه، وقد طبعت في حياته، وقد أُعيد طبعها بعد ذلك. فجزى الله كل من ساهم في إخراج العلم خير الجزاء.

البرهان

في معرفة عقائد أهل الأديان

لأبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي

المتوفى ٦٨٣هـ

ترجمة مختصرة للمؤلف

هو الإمام الشيخ العلاّمة أبي الفضل عباس بن منصور بن عباس التريمي السكسكي اليمني.

ولد سنة ٦١٦هـ، وتوفي سنة ٦٨٣هـ.

وعمل المصنف قاضياً في تعز - قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات -. وكان معلّماً فقهياً مفتياً إماماً واسع العلم. وإن لم تذكر المصادر العلمية من مصنفاته سوى البرهان.

وانظر: معجم المؤلفين لعمر كحالة (٣/ ٦٥)، والأعلام للزركلي (٣/ ٢٦٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أوضح لأوليائه الدليل وهداهم إلى الحجة والسبيل، وجنبهم تخاليط أهل الأهواء وأقامهم على السنّة البيضاء، وصلاته على نبيه محمد ﷺ خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه النجباء الأتقياء، وبعد:

فإني لما رأيت أهل العلم والسنّة يأخذون في النقصان وأهل الأهواء والمذاهب يكثرون في الأقطار والبلدان ويستميلون كثيراً من الجهّال والعوام، ويهدمون بتلبيسهم قواعد الإسلام، أحببت أن أجمع مختصراً أذكر فيه قواعد عقائد الثلاث وسبعين فرقة التي ذكرها[1] رسول الله ﷺ.

وذلك أنه كان جالساً ذات يوم في أصحابه، فذكروا له رجلاً بالصلاح وأطنبوا في وصفه واجتهاده في العبادة، إذ طلع عليهم الرجل، فقالوا: ها هو ذا يا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: «أما إني لأرى بين عينيه سفعَة من الشيطان». فلما بلغ سلّم عليهم فقال له رسول الله ﷺ: «أنشدك الله هل حدّثتك نفسك حين طلعت علينا أن ليس في القوم مثلك؟» قال: نعم يا رسول الله ـ وذلك في قصة له اختصرتها ـ فقال رسول الله ﷺ: «هذا أول قرن يطلع في أمتي أما أنكم لو قتلتموه ما اختلف بعدي اثنان من أمتي، إن بني إسرائيل افترقت على اثنين وسبعين فرقة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها هالكة إلاّ فرقة واحدة»، قيل: يا رسول الله، ومن هي؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[2].

وها أنا مبيّنها، إن شاء الله، بأسمائها وأذكر بعض عقائدها الفاسدة وتأويلاتها الباردة على طريق الاختصار ليعرفهم بذلك من جهلهم ويتحفظ عنه من سألوه أو

---

(١) الحديث ورد في: أبو داود (٤/ ١٩٨)، الترمذي (٤/ ١٣٤)، ابن ماجه (٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، أحمد (٣/ ١٢٠ ـ ١٤٥).

(٢) سبق تخريجه.

سألهم. ثم أذكر بعد ذلك نبذاً من اعتقاد بعض ضلال الأمم السالفة، ثم أذكر بعدها الفرقة الناجية وهي الثالثة والسبعون، ثم أذكر من شذّ إلى طريق الصوفية ومال عن سنن الشريعة.

وأسأل الله العفو والهداية إلى طريق الصواب وأن يجزل لي فيما قصدته الأجر والثواب، إنه قريب مجيب. ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[1].

(١) سورة هود: الآية: ٨٨.

أولاً: الخوارج

فأول ما أذكر من هذه الفرق فرقة (الخوارج)[1]، وسمّيت خوارج لخروجهم على علي رضي الله عنه يوم الحكمين حين كرهوا التحكيم وقالوا: لا حكم إلاّ لله. تعريضاً بسبّ علي رضي الله عنه، وخرجوا من قبضته وقالوا: شككت في أمرك وحكّمت عدوّك من نفسك. فسمّوا بذلك الشكّاكية. ومضوا عنه ونزلوا بأرض يقال لها: حروري، فسمّوا بذلك حرورية، وقالوا: اشترينا أنفسنا من الله تعالى. فسموا لذلك: شراة. وكانوا ثمانية آلاف.

وحديثهم مع علي رضي الله عنه مشهور، وقد أخبر النبي ﷺ عنهم فقال: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة ثم قوم يحسنون القول ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز[2] تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على قرنه وهم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم». قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟ قال: «التحليق».

والغالب على مساكنهم ـ فيما تقدم ـ عمان، والموصل، وحضرموت، وفلجاج، وجزيرة كيسوان في بلاد فارس ومغرب الشام، وصنعاء اليمن.

وقد اجتمعوا على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعلى تكفير علي وعثمان رضي الله عنهما، وتكفير كل فرقة سواهم وموالاة عبد الرحمٰن بن ملجم[3]

---

(١) انظر ما ورد عنهم في: مقالات الإسلاميين للأشعري (ص ١٦٧)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٧٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٤)، تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية (فرقة الخوارج) د/ عبد السلام عبده (ص ١٢١).

(٢) الحديث في: البخاري (٤/ ١٠٨)، (٨/ ٥١، ٥٢، ٥٣)، ومسلم (٣/ ١١١، ١١٠)، وأبي داود (٤/ ٢٤٣).

(٣) هو عبد الرحمٰن بن مُلْجَم المرادي الحميري، الأعلام (٤/ ١١٤).

قاتل علي. وأنشد في ذلك رجل منهم هو عمران بن حطان[١]:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكر حسناه فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

وقالوا: من أذنب كبيرة منهم فهو كافر إلا النجدات ـ فرقة منهم ـ فإنها لا تكفر من أذنب منهم وتكفر من أذنب من غيرهم.

وقيل: إن أول من ابتدع هذا القول منهم نافع بن الأزرق[٢].

وقالوا: من زنا أو سرق فأُقيم عليه الحد استتيب فإن تاب وإلاّ قتل خلافاً للأزارقة منهم.

وقالوا: إن الإصرار على أي ذنب كان كفر، وإن العالم يفنى إذا أفنى الله أهل التكليف لأنه خلقه لهم فإذا أفناهم لم يكن لنفسه معنى. وإنّ مرتكبي الكبائر مخلدون في النار معذّبون بعذاب أهل النار.

ومذهب الخوارج كمذهب المعتزلة إلاّ في الإرادة، فإنهم يقولون: إن الله تعالى لم يزل مريداً لإرادات ويكون على الوجه الذي أراده وعلمه والمعتزلة تخالف ذلك.

وكذلك اتفقت أقوالهم في الوعيد، إلاّ أن الخوارج تقول: إن صاحب الكبيرة يعذّب في النار عذاب الكفار.

والمعتزلة تقول: إنه مخلّد في النار لكنه يعذّب عذاباً دون عذاب الكفّار.

وتنكر الخوارج إمامة عثمان رضي الله عنه من الوقت الذي يزعمون أنه أحدث فيه، وإمامة علي رضي الله عنه من وقت التحكيم، ويبرؤون منهما. فهذا ما اجتمعت عليه الخوارج.

وأما ما انفرد به كل فرقة منهم فإني أذكره في فصله إن شاء الله.

وفرقهم ثمانية عشرة: فرقة الأزارقة، والأباضية، والبيهيسية، والعجاردة، والمفضلية، والصفرية، والنجدات، والرشيدية، والثعالبة، والعونية، والمعلومية، والكتارية، والميمونية، والعبدلية، والمطيخية، واليزيدية، والصلتية والبكرية.

١ ـ **أما الأزارقة**[٣]، فنسبوا إلى نافع بن الأزرق الحنفي، وكان رئيس الخوارج

---

(١) انظر ترجمته في: العبر (١/ ٩٨)، ديوان الخوارج جمع د/ نايف معروف، دار المسيرة.

(٢) انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٤/ ٢٤١).

(٣) راجع في آراء هذه الفرقة: مقالات الإسلاميين (١/ ١٥٧)، الفرق بين الفرق (ص ٨٢)، المعارف لابن قتيبة (٦٢٢).

بالبصرة والأهواز وأحد رؤوسهم ومصنفي كتبهم وشجعانهم، وله مع ابن عباس رضي الله عنه مسائل كثيرة.

وكان يقول: «الدار دار كفر إلا من ظهر إيمانه».

ولا تحل لهم ذبائح من خالفهم من المسلمين ولا مناكحتهم ولا ميراثهم، وأباحوا قتل الأطفال والعميان والعجائز والعرجان، وكانوا يطرحون الأطفال في قدور الأقط وهي تغلي ويستحلّون الإمامات ويبطلون الرجم في حد الزنى للمحصن. وقالوا بقطع يد السارق من العضد، وجوّزوا للحائض الصلاة والصيام وأباحوا قتل من واجهوه إلا أهل عسكرهم، وحرّموا قتل اليهود والمجوس والنصارى وإن لم يكونوا أهل ذمة، ولهذا وصفهم النبي ﷺ بأنهم: «يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان»[١]. ويكفّرون الحَكَمين أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، ولا يقيموا الحد إلاّ على من قذف محصناً، ويكفرون بالكبائر.

ومنهم قطري بن الفجاة، وكان شجاعاً خطيباً، قتله مسلمة الباهلي يوم حرب كان بين الشراة وبين المسلمين، نعوذ بالله من سوء اعتقادهم.

٢ ـ وأما الأباضية[٢]، أصحاب عبد الله بن أباض[٣]، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: الإيمان جميع الطاعات، فمن ارتكب معصية كبيرة أو صغيرة فهو كافر. ولا يقولون مشرك، واحتجوا بظاهر قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٢٨].

وأحلوا الربا إلا النسيئة فيحلون بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والمطعوم بالمطعوم من جنس واحد تفاضلاً.

وقالوا: إذا وطىء الرجل زوجته وهي حائض حرّمت عليه على التأبيد، ولا يجوّزون الصوم إلاّ في السفر، ومن نظر إلى فرج امرأة حرّمت عليه ابنتها، ويستأذنون نساءهم في الوطء فإن أذِنّ لهم وإلاّ تأخروا عنهن، ومن زنا أو سرق أو قذف يقيمون عليه الحد ويستتيبونه، فإن تاب وإلاّ كفروه وقتلوه، في حماقات لهم كثيرة.

---

(١) في سنن أبي داود (٤/ ٢٤٣).

(٢) انظر بشأن هذه الفرقة في: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٠)، الملل والنحل (١/ ١٣٤)، لسان الميزان (٣/ ٢٤٨).

(٣) انظر ترجمته في: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ١٨٨).

٣ ـ **وأما البيهيسية**[١]، أصحاب ابن بيهس[٢]، هيصَم بن عامر، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن كل من ارتكب كبيرة فيها حد فرُفِع إلى الإمام فأقام عليه الحد حكم حينئذ بكفره وإن تاب. خلافاً لما اجتمعت عليه الخوارج، وهذا ظاهر الفساد، وإن الرجل لا يكون مسلماً عندهم حتى يعلم جميع ما أحلّ الله له وما حرّم عليه بعينه وتفسيره وإلاّ فهو كافر عندهم.

٤ ـ **وأما فرقة العجاردة**[٣]، فهم أصحاب عبد الكريم بن عجرد، وقيل: عبد الله بن عمرو. وكان أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

وانفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن الله تعالى إذا بعث نبياً فقد لزم أهل المشرق وأهل المغرب وغيرهما تلك الساعة طاعته والإيمان به ومعرفة جميع شريعته، وإن لم تبلغهم دعوته فمن مات منهم على غير ذلك مات كافراً.

ويقولون: إن الله تعالى حرّم نكاح البنات والأخوات وبنات الأخ وبنات الأخت، وأحلّ ما وراء ذلك، فيحلّون نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بني الأخوة وبنات بني الأخوات، ويقولون: إن سورة يوسف ليست من القرآن وإنما هي قصص، وهذا كفر فالحذر منهم.

٥ ـ **وأما فرقة المفضلة**[٤]، فهم أصحاب المفضل، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن من قال لا إله إلاّ الله بلسانه وهو يعني بقلبه صنماً أو المسيح أو غير ذلك فهو مسلم، وكذلك من قال بلسانه محمد رسول ﷺ وهو ينوي بقلبه غيره حياً كان أو ميتاً فإنه مسلم عندهم لا يضره ذلك.

وقالوا: الإيمان جميع الطاعات والمعاصي كلها ما غفر منها وما لم يغفر كفر وشرك، وقالوا: إن الله لو عذّبهم عليها كان غير ظالم لهم لقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥﴾ [الليل: الآية ١٥] . وهذا كله ظاهر الفساد.

---

(١) لمزيد من البحث عنهم انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٢٥)، شرح المواقف (٤٢٤)، المعارف (٦٢٢).

(٢) انظر المراجع السابقة.

(٣) انظر عنهم في: التبصير في الدين (٥٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص ٥١).

(٤) انظر عنهم: مقالات الإسلاميين (٧٩).

٦ ـ **وأما الصفرية**(١)، فهم أصحاب زياد بن الأصفر.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن جميع الطاعات والمعاصي كلها شرك وكفر إلا ما غفر منها في خرافات لهم كثيرة.

٧ ـ **وأما النجدات**(٢)، فهم أصحاب نجدة بن(٣) عامر الحنفي من أهل اليمامة.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: من كذب كذبة كبيرة كانت أو صغيرة وهو مصرّ عليها قاصد لها فهو مشرك وإن لم يعتقد إباحة الكذب. وهذا غير صحيح بل يأثم بذلك ويغرره الحاكم وتسقط عدالته إلا أن يعتقد إباحة الكذب فإنه يكفر بذلك. وقالوا: من زنا أو سرق أو شرب الخمر فإنه غير مشرك، وهذا إن لم يعتقد إباحة ذلك.

٨ ـ **وأما الرشيدية**(٤)، ويقال لهم: العشرية، فإنهم قالوا: إن الواجب في الزكاة نصف العشر سواء سقي بالمطر أو السيح أو غيرهما، وهذا خلاف الشرع.

٩ ـ **وأما الثعالبة**(٥)، فهم أصحاب ثعلبة.

انفرد هو وأصحابه بأن قالوا: إذا وقعت قطرة من خمر في إناء فيه ماء فشرب منه إنسان كفر، علم بوقوع تلك القطرة أو لم يعلم. فيوفق الله تعالى المؤمن إذا لم يعلم لاجتنابه ويقال إنها فرقة من الصفرية.

وأما فرقة العونية، فهم أصحاب ابن عون، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إذا حكم الإمام بحكم جور في بلد من البلدان ولو بأقصى الصين كفر هو ورعيته من أهل الإسلام في ذلك الوقت في جميع البلدان، وإن لم يعتقد إباحة ذلك.

وفساد هذا ظاهر لا يحتاج إلى احتجاج.

١٠ ـ **وأما المعلومية**(٦)، منسوبون إلى اعتقادهم.

---

(١) انظر شأن هذه الفرقة في: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٠)، التبصير في الدين (ص ٥٣).

(٢) انظر تعريفهم في: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٢)، شرح نهج البلاغة (١/ ٣٨٠ـ ٣٨١)، لسان الميزان (٦/ ١٤٨).

(٣) انظر ترجمته في: شذرات الذهب (١/ ٧٦)، الأعلام (٨/ ٣٢٥).

(٤) . انظر تعريف مبادئهم في: خطط المقريزي (٢/ ٣٥٥)، الفرق (١٠٢).

(٥) انظر تعريفهم في: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٧)، المواقف للإيجي (٤٢٦)، التبصير في الدين (٥٧).

(٦) انظر شرح المواقف (٤٢٦).

فإنهم انفردوا بأن قالوا: من لم يعلم جميع أسماء الله الحسنى فليس بمؤمن. وهذا غير صحيح لأن لله تعالى أسماء حجبها عن كثير من ملائكته وأنبيائه ولم يخرجهم ذلك عن الإيمان.

١١ ـ وأما الكتارية، فيقال إنهم ينسبون إلى شيخهم.

فإنهم انفردوا بتحريم ذبائح أهل الكتاب وتحريم قضيب التيس والكبش والثور، وقالوا: من احتلم في شهر رمضان فعليه القضاء. ويقيمون الصلاة وهم على شاطىء النهر وعند الآبار التي يشربون منها وآنيتهم مملوءة من الماء إلا القليل من علمائهم، وهم في الغرب خلق كثير على ما يروى، ويستحسنون سب الحسن والحسين، فلا جزاهم الله خيراً.

١٢ ـ وأما الميمونية[1]، فهم فرق كثيرة.

قال الكرابيسي: والعجاردة والميمونية يجوّزون نكاح بنات البنين وبنات البنات استحساناً استحسنوه. فبئس ما استحسنوا.

١٣ ـ وأما العبدلية، فهم أصحاب عبد الله بن عيسى، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم، وهو تلميذ بكر شيخ البكرية.

انفرد وفرقته بأن قالوا: البهائم والأطفال والمجانين لا يألمون ـ لأن عندهم أن يلام من لا يستحق جور وظلم ـ وإنما جعل فيهم ليثابوا عليه يوم القيامة، وهذه خرافة ظاهرة، كيف يثاب الأطفال والمجانين على ما لا يؤلمهم؟ وكيف تثاب البهائم ولم تخلق لذلك؟ وقال بعضهم: إن أرواح الأطفال والبهائم كانت أرواح قوم بالغين عصاة فلذلك عذّبوا بالإيلام. وبذلك قالت فرقة من الرافضة تسمى الإسماعيلية يأتي ذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

١٤ ـ وأما المطيخية، فهم أصحاب أبي إسماعيل المطيخي، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: لا صلاة واجبة غير ركعة واحدة بالغداة وركعة واحدة بالعشي. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: الآية ١١٤]، فحملوا الآية على ما وافق هواهم. ويجوّزون الحج في جميع السنة من غير اختصاص بوقت ولا يجوّزون أخذ الجزية من المجوس، ويكفّرون من خطب في عيد الفطر والأضحى.

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٥)، الملل والنحل (٦٨).

١٥ ـ **وأما اليزيدية**[١]، فهم أصحاب يزيد بن أنيسة الخارجي، وليس هو المحدث، وإنما اتفق الاسمان، فقالوا: إن في هذه الأمة شاهدين أحدهما هو والآخر لا يدري هل مضى أو لم يأت بعد. وأن كل من قال من اليهود والنصارى: إن محمداً ﷺ بُعث إلى العرب خاصة ولم يبعث إليهم أنهم مؤمنون أولياء الله تعالى، وإن ماتوا ماتوا على اليهودية والنصرانية وأن شريعة الإسلام تنسخ بشريعة نبي من العجم يأتي بدين الصابئين. وكذبوا لعنهم الله.

١٦ ـ **وأما الصلتية**[٢]، فهم أصحاب عثمان بن الصلت، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: من دخل في دينهم وله ولد طفل صغير لا يُحكم بإسلامه حتى يَبلغ ويُسلم فإن أسلم وإلاَّ قتل. ولعمري هذا صحيح موافق للشرع لأن من دخل في مذهبهم فهو مرتد وحكم ولده كذلك لكن الإسلام الذي ذكروه ليس بإسلامهم وإنما هو الإسلام الصحيح.

١٧ ـ **وأما البكرية**[٣]، فهم أصحاب بكر ابن أخت عبد الواحد بن يزيد، أحد رؤساء الخوارج. وهذا بكر أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: من عصى الله ولو مرة واحدة أو سرق حبة من خردل أو غيرها فهو كافر. وقالوا: إن طلحة والزبير رضي الله عنهما، كافران لكنهما من أهل الجنة لأنهما من أهل بدر ومن شهد بدراً مع النبي ﷺ فهو من أهل الجنة عندهم وإن كان كافراً. وهذا ظاهر الفساد لأن الجنة لا يدخلها كافر.

١٨ ـ **ذكر صاحب كتاب الفرق**: أن من الخوارج فرقتين، إحداهما تسمى الأخفشية، أصحاب الأخفش، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: يجوز للسيد أخذ زكاة عبده وللعبد أخذ زكاة سيده. وهذا ظاهر البطلان لأن العبد لا يملك مالاً فيزكيه ولا يحتاج للزكاة لاستغنائه بنفقة سيده.

١٩ ـ **والفرقة الأخرى**[٤] **تسمى الشمراخية**، وهم أصحاب عبد الله بن شمراخ،

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (١٠٤)، (٢٧٩) شرح المواقف (ص ٤٨).

(٢) انظر: مقالات الأشعري (١/ ١٦٦)، خطط المقريزي (٢/ ٣٥٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٥٢).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (٢١٢).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٠).

أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بجواز قتل الأبوين في دار الفتنة وإن كانوا مسلمين لغير ضرورة. وهذا خلاف الشرع وخلاف ما نزل به القرآن لقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٣] والقتل ضد الإحسان، وبالله سبحانه وتعالى التوفيق.

ثانياً: المرجئة

القول في الفرقة الثانية: المرجئة[1]، وإنما سُموا مرجئة لقولهم بالإرجاء.

وأصل الإرجاء: التأخير. وذلك أنهم قالوا: إن الإيمان الاعتقاد بالقلب فحسب وإن تأخير الإقرار باللسان والعمل بالجوارح أو فقد راساً. وقد أجمعوا على أنه لا يدخل النار إلاّ الكفار فحسب، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ [الليل: الآية ١٥] وهذا يبطل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: الآية ٩٣] وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: الآية ١٠].

وقد افترقت هذه الفرقة على ثماني عشرة فرقة، وهي: الجهمية، والكرّامية، والمريسية، والكلابية، والحشوية، والنجارية، والإلهامية، والمقاتلية، والمهاجرية، والجعدية، والسوفسطائية، والشبيبية، والجبرية، واللفظية، والثوبانية، والسمرية، والغيلانية، والإباحية. ومؤلفو كتبهم: أبو الحسن الصالحي، وابن الراوندي، ومحمد بن شيث، والحسين بن محمد بن كرام.

١ ـ **أما الجهمية**[2]، فهم أصحاب جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية هالك، كان في زمن صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً، قاله الذهبي في الميزان[3]. وإليه نسبوا.

وهو مولى لقبيلة من أسد. كان كاتباً للحارث بن سريج بخراسان، وكان يقول هو وفرقته: إن الإيمان هو المعرفة بالقلب بالله وبرسله وبجميع ما جاء به من عنده فحسب وإن لم يكن مع ذلك إقرار باللسان ولا عمل بالجوارح في تأدية فريضة ولا طاعة، وإن إيمانهم بذلك كإيمان جبريل عليه السلام، وإن من تكلم بلسانه كلمة كفر

---

(١) انظر مبادئهم في: مقالات الإسلاميين (٢١٤)، الملل والنحل (١٣٩)، الفصل (٢/١١٣).

(٢) أتباع جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي كان تلميذاً للجعد بن درهم.

(٣) ميزان الاعتدال (١/٤٢٦).

مثل أن يقول: إن لله تعالى شريكاً أو ولداً أو صاحبة، وهو يعتقد خلافه، فهو مؤمن ولا يضره ذلك.

ويقولون: إن الله تعالى ليس هو شيئاً وإن علم الله تعالى محدث أحدثه لنفسه بعد أن لم يكن علماً. وكذلك قالوا في القدرة وأن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وأنهما إذا خلقا يفنيان ويفنى من فيهما، ومن ترك الصلاة أربعين يوماً متعمداً وقال: أنا في مهلة النظر حتى يصح لي ثبوت من أعبده وله شنع كثيرة ورفع إلى وال على العراق من قبل المنصور فجمع العلماء وأحضره وناظره وسأله عن مقالته فأقر ببعضها، فأجمع العلماء حين سمعوا مقالته: إن قائلها ملحد خالع لدين الإسلام. فقطع يده ورجله وصلبه ولم يبق يتظاهر بمذهبه إلاّ فرقة يسيرة. وهذا كله لا يحتاج إليه إلى الاحتجاج، نعوذ بالله من سوء اعتقادهم.

٢ ـ **وأما الكرامية**، فهم أصحاب محمد[١] بن كرام، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم مع أنه كان عامياً لا يقرأ ولا يكتب بل كان يملي ذلك على أصحابه افتراء من بنات فكره وهم يكتبون عنه ما يسمعون منه. وهو من نواحي سجستان، وكان يتعبد ويظهر الزهد والتقشف والتقلل من الدنيا وكذلك أصحابه إلى اليوم في خراسان وغيرها ـ مما ذكر ـ وأكبر ظهورهم فيما تقدم في نيسابور وأعمالها وبيت المقدس، ومنهم طائفة قد عكفوا على قبره هناك.

ومال إليهم من العامة خلق كثير لاجتهادهم في العبادة. وكان يقول: إن الإيمان قول باللسان دون اعتقاد القلب وعمل الجوارح فمن أقرّ بلسانه فهو مؤمن حقاً وإن اعتقد بقلبه ما شاء من الكفر والشرك. وجحدوا العبادات وزعموا أن المنافقين كانوا مؤمنين في الحقيقة وهو ضد اعتقاد الجهمية.

ويحكى أن محمد بن كرام لما خرج من نيسابور خرج معه ثمانمائة كتيبة من جلّ الناس غير التبع، وكان هو وأصحابه يلبسون البرانس والمسابح في أيديهم، فلم يقدم لذلك على قتله ونفي إلى بيت المقدس ومات هناك. ويقال إن الكور التي فيها مذهب الكرامية خاصة المشرق وناحية المغرب وناحية خراسان، فالحذر من تلبيسهم.

٣ ـ **أما المريسية**، فهم أصحاب بشر بن غياث المريسي[٢]، من أهل الأنبار وهو أحد شيوخهم وعظمائهم ومصنفي كتبهم، وكان يقرأ من اليهودية في التوراة ما يلبس به على المسلمين في القرآن، وكان يتفقه على مذهب أبي حنيفة، ويذهب في

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٥٧).

(٢) انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٣٢٢).

الصفات مذهب جهم، غير أنه يخالفه بقوله: الإيمان تصديق وقول بلا عمل ويوافق المعتزلة في قولهم: إن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد. ويقول: إن القرآن مخلوق.

وناظره جماعة من العلماء فقطعوه في المناظرة فلم يرجع عن مذهبه عناداً بعد أن اتضح له أن الحق معهم، فهجره جماعة من أصحابه ومات مهجوراً.

٤ ـ **وأما الكلابية**، فهم أصحاب عبد الله[١] بن سعيد بن كلاب، من أهل البصرة، وكان نصرانياً فأسلم وفارق قومه.

وكانت له أخت أكبر منه، عالمة بدين النصرانية لها عندهم قدر عظيم فهجرته حين أسلم وأبعدته من المحلة لأنها كانت راهبة النصارى مقبولة القول، يصدرون عن رأيها فتحيل عليها كل أحد من المسلمين والنصارى من الجيران في أن تمكنه من الدخول إليها فلم تفعل، فاحتال حتى تسلق عليها من بعض بيوت الجيران فلما رأته صاحت، فقال لها: يا سيدتي اسمعي مني كلمة واحدة ثم افعلي ما بدا لك. فقالت: هات، فقال: اعلمي أني وجدت هذا الإسلام ينتشر ويزداد كل يوم ظهوراً والنصرانية تضمحل آثارها فوضعت فصولاً وعملت مسائل، ذكرها لها، أودعتها معنى النصرانية وأسسها في الإسلام وشوّشت عليهم أصولهم. فلما سمعت ذلك منه طابت نفسها.

وكان يقول هو وفرقته: إنه ليس لله كلام مسموع، وإن جبريل عليه السلام لم يسمع من الله شيئاً مما أداه إلى رسله الذي أنزل على الأنبياء حكاية كلام الله ليس فيه أمر ولا نهي ولا خبر ولا استخبار، وإنما يعرف ذلك منه بمعنى آخر وأنه ليس له كلمات ولا في القرآن سور ولا آيات ولا لغة من اللغات، بل هو شيء واحد يعبر به عن ذلك.

وإلى هذا القول ذهب أبو الحسن الأشعري[٢] وفرقته الأشعرية ينتسبون إليه، وهم في وقتنا هذا كثير منشورون في البلدان أكثر من أن يحصوا، يلبسون على العوام والجهال بأن ذلك تنزيه لله تعالى وهو في الحقيقة تعطيل نعُوذ بالله من سوء اعتقادهم.

٥ ـ **وأما الحشوية**[٣]، فهم المجسمة، يقولون بأن الله، تعالى عن قولهم، على صورة شاب أمرد له شعر قطط، في رجله نعل من ذهب، ينزل يوم عرفة على جمل أحمر وينزل في كل ليلة جمعة، ذكر العزيزي إنهم إلى يومه بطبرستان وفي بعض أصبهان يخرجون في كل ليلة جمعة بالحمير مشدود عليها عود مليح مزوق يقولون:

---

(١) انظر ترجمته في: الأعلام (٤/ ٩٠).
(٢) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (٢/ ٤٠٥).
(٣) الفرق بين الفرق (٢٢٥).

إذا نزل اتكأ عليه. فتبيت تلك الليلة الحمير في المساجد مغلقاً عليها الأبواب فإذا جاء المؤذن تنحنح ليسمعه فيصعد ـ تعالى الله عن قولهم وسخف عقولهم علوّاً كبيراً ـ فإذا دخل المؤذن أخذ روث الحمير فمسح به وجهه تبركاً به، وكذلك يفعل كل من حضر منهم، وما أحسن ذلك في حقهم.

ويقولون، لعنهم الله: إذا لم يكن له عين ولا يد ولا أذن ولا رجل مرئيات فما نعبد بطيخة؟. ويحتجون بأن الله تعالى ذم في القرآن ما ليس له جوارح، وهي الأصنام التي كانت تعبدها الكفار، فقال تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٩٥]، ولعمري إن الله سميع بصير له البطش والقدرة، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، موجود الذات والصفات، متصف بما وصف به نفسه من غير تمثيل ولا تكييف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١].

٦ ـ **وأما النجارية**[١]، فهم أصحاب الحسين[٢] بن محمد النجار، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

كان هو وفرقته يعتقدون الإيمان بالقول دون العمل مجرد، ويثبتون للفعل فاعلين الله تعالى والعبد. وكان ينفي هو وأصحابه الصفات إلا الإرادة فإنهم أثبتوا القديم فريداً بنفسه، ويقولون: إن القرآن مخلوق. ومال إلى مذهبه أبو يوسف الداري، ومذهبه بخراسان.

٧ ـ **وأما الإلهامية**[٣]، منسوبون إلى اعتقادهم. وهم القائلون: إن الأحكام تُعلم إلهاماً من غير دليل من كتاب ولا سنة ولا قياس، وإنه ليس لله تعالى حكم منصوص عليه بل ما ألهم المجتهد في الحادثة من توحيد وغيره فهو الحق. وهؤلاء أخبث أهل المذاهب وأقلهم عقولاً وأكثرهم إضلالاً وتلبيساً لأنهم يحكمون بما هجس في قلوبهم من غير استناد إلى دليل. وإلى هذا المذهب مال الصوفية[٤] وعملوا به وسموه علم الحقيقة ورفضوا الشرع وأحكامه، فنعوذ بالله من سوء الاعتقاد.

---

(١) انظر تعريفهم في: الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٠٧)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص ١٠١).

(٢) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (١/ ٦٣٩).

(٣) انظر: التعريفات للإمام الجرجاني (٣٤).

(٤) هذا توهم من المصنف كونه تبع ابن تيمية في عقيدته المخلطة التي أسسها على هواه وما ظهر له من قياسات عقله الفاسدة فكيف يحكم على الصوفية أنهم رفضوا الشرع. أعوذ بالله من هذا كلام وتحرير.

٨ ـ وأما المقاتلة[١]، فهم أصحاب مقاتل بن سليمان، وهو أحد عظمائهم ومصنفي كتبهم، وليس هو مقاتل بن سليمان صاحب التفسير وإنما اتفق الاسمان.

وكان هو وأصحابه يعتقدون التجسيم كالحشوية فيقولون، لعنهم الله: إن الله تعالى على صورة الإنسان ذو لحم ودم، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١] . ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية وإن كبرت كما لا ينفع مع الكفر حسنة وإن كبرت.

٩ ـ وأما المهاجرية، فإنهم أيضاً يقولون بالتجسيم وأن الله تعالى جسم كالأجسام، وأن الأنبياء غير معصومين من الخطايا كالزنى والسرقة وغيرهما إلا الكذب في تبليغ الرسالة فإنه لا يجوز عليهم. وقالوا: إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على غير ما فعل وأنه لا يقدر على فناء خلقه حتى لا يبقى وحده. ولهم حماقات كثيرة تعالى الله عما يقولونه علواً كبيراً.

١٠ ـ وأما الجعدية، فهم أصحاب الجعد بن الجهم، معلم مروان بن محمد الأموي آخر خلفاء بني أمية.

لمّا تبيّن سوء مذهبه طرده، فخرج إلى البصرة وأقام بها مدة إلى أن رفع أمره إلى خالد بن عبد الله القسري، وكان والياً لهشام بن عبد الملك على العراق، فدعى العلماء وناظروه فأجمعوا على بدعته وكفره فأحضره إلى المصلى يوم عيد الأضحى ثم خطب وذكر في خطبته الأضحية ثم قال: ارجعوا فضحوا وأما أنا فإني مضح بالجعد فإنه يزعم أن الله لم يكلّم موسى ولم يتخذ إبراهيم خليلاً. ثم نزل عن المنبر وذبحه، فاستحسن الخاصة والعامة فعله وقالوا: نفى الغلّ عن الإسلام جزاه الله خيراً.

١١ ـ وأما السوفسطائية[٢]، فهم القائلون بأن الأشياء لا حقيقة لها وأن جميع الأشياء عندهم على التوهّم كالحلم، وأنكروا العلم رأساً، واحتجوا بأن الشخص يرى نفسه في المرآة، وأن الشجرة ترى في الماء منكوسة، وما أشبه ذلك من الخيالات التي لا حقيقة لها.

ويروون أن رجلاً منهم كان يقرأ على شيخ لهم، فلما مرّ بذكر هذا الاعتقاد استنكره فقام إلى الشيخ فصفعه فقال له الشيخ: ما هذا؟ فقال له التلميذ: لعله حلم رأيته في النوم. فسكت الشيخ، وهذا ظاهر الفساد، لأنهم إن قالوا: اعتقدنا هذا

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم (٤/ ٢٠٥).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/ ١٢٠)، الفصل لابن حزم (١/ ٨)، قصة الحضارة (٧/ ٢١٢)، تاريخ الفلسفة اليونانية (٥٧).

الاعتقاد عن علم فقد اعترفوا بصحة ما جحدوا ودخلوا فيما أنكروا، وإن قالوا: اعتقدنا ذلك عن توهّم، فقد أقرّوا بفساد ما أسندوا إليه اعتقادهم لأن العلم لا يرد بالتوهّم.

١٢ ـ **وأما الجبرية**، فهم القائلون بأن الله تعالى جبر الخلق على الإيمان والكفر والطاعة وخلقها فيهم فحصل ذلك من غير اكتساب منهم لذلك، ولا تسبب إليه.

وإلى ذلك ذهب قوم من الصوفية فقالوا: العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلّبه كيف يشاء. فارتكبت هذه الطائفة بهذا الاعتقاد المعاصي واستحلّوا وأمنوا من العقاب عليها[(١)]. وقالوا: إن الله تعالى لا يعاقب على ما خلق ورفضوا الطاعات وأهملوها. وقالوا: إن الله تعالى لم يخلقها فينا ولو خلقها فينا لكانت لازمة. وليس الأمر كما ذهبوا إليه ولكنا نقول اعتقاد العباد وأفعالهم على ثلاثة أضرب: فروض ونوافل ومعاصي.

فأما الفروض: فحصولها من العبد بأمر الله وتوفيقه وإرادته وقضائه ورضاه بها ومحبته لها وخلقه القدرة عليها وقت حدوثها وإذنه لفعلها وتخصيصه بها من شاء من خلقه ليثيبه عليها ومحبة لفاعلها.

وأما النوافل: التي ليست بواجبة التي يثاب فاعلها على فعلها، ولا يعاقب على تركها، فحصولها من فاعلها بجميع ما ذكرناه إلا الفروض فإن الله تعالى لم يفرض ذلك عليهم ولا أمرهم بفعلها أمراً يجاب.

وأما المعاصي: فحصلت من فاعلها بمشيئة الله تعالى وقضائه وقدره وعلمه وخلقه للقدرة على فعلها، فلأفعالها من فاعلها وقضائه ومشيئته وإقداره لهم على فعلها وإكسابه لها لقيامها بهم وصدورها منهم مع بغضته لها ولفاعلها لم يأمر بها ولم يأذن في فعلها ولم يحبها ولم يرضها ولم يضطرهم إلى فعلها، فتصدر منهم جبراً عليهم كما زعموا.

وأما الأفعال المباحة التي أذن لفاعلها وفعلها ولا عقاب على من تركها فإنه مستغنٍ عن ذكرها[(٢)].

---

(١) هذا افتراء على الصوفية فإن هذا الفعل من باب التفويض والتسليم المطلق لله تعالى بحيث لا يكون لهم مع الله اختيار ولا إرادة وهي غير كائنة بالفعل. ولا أدري لماذا يتحامل الشيخ على الصوفية فهل ناظر أو حاجج منهم أحداً أم أن كلامه مبني على ما يراه مع ظاهر الأمور، أقول: فقوله الحق تعالى ﴿إن بعض الظن إثم﴾. فتنبه أيها العاقل وزن الأمور بميزان الشرع قبل العقل ولا تأخذ العلم إلا من أهله وفنه. اهـ.

(٢) تفكر جيداً في كلام الشيخ تجد أنه أثبت عدم وجود الاختيارية عند العبد أي ليست له مع الله مشيئة =

١٣ ـ وأما الشبيبية[١]، فهم أصحاب محمد بن شبيب، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

ذهب هو وفرقته إلى أن الإيمان هو الإقرار بالله تعالى والمعرفة بوحدانيته وإن لم يفعل العبد شيئاً من الطاعات. وزعموا أن إبليس لعنه الله لولا استكباره عن السجود لكان مؤمناً ولو لم يفعل شيئاً مما افترض الله عليه.

١٤ ـ وأما الثوبانية[٢]، فهم أصحاب محمد بن ثوبان، أحد شيوخ المرجئة.

ذهب هو وفرقته إلى أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بذلك دون العمل وأن ما لا يجوّزه العقل لا يجوز فعله... وهذا يخالف الشرع، فإنه ليس من مجوزات العقول أن يزف الرجل ابنته أو أخته لزوجها ويفعل بها الزوج ما يفعل والشرع يجوّز ذلك مع أن كثيراً من العبادات الواجبة لا يعقل معناها فكيف يجوز العقل ما لا يدرك معناه ولا يطلع على وجه الحكمة فيه، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٥].

١٥ ـ وأما اللفظية[٣]، فهم القائلون بأن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة وإلى ذلك نسبوا. وأن كلام الله تعالى عندهم ليس بمسموع بل هو معنى في ذات الباري سبحانه كما قالت الكلابية وذهبت إليه الأشعرية، وفرّعوا على ذلك ضلالات فأبطلوا صيغة الأمر والنهي واستحلوا حرمة لفظ القرآن والمصاحف وخالفوا ما نزل به القرآن وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٦] فأخبر أن كلامه مسموع ولو لم يكن مسموعاً لم يتوصل أحد إلى العلم به فأبطلت أحكامه. والحجة على بطلان ما ذهبوا إليه واضحة، ومذهبهم ظاهر الفساد، فأعوذ بالله من سوء ما ذهبوا إليه.

١٦ ـ وأما السمرية[٤]، فهم أصحاب أبي سمرة، ذهب هو وفرقته إلى جواز الكبائر على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم حتى الكذب في إبلاغ الرسالة، وكذّبوا لعنهم الله وقالت فرقة منهم: من أمن بالله تعالى وكفر بالأنبياء عليهم السلام في جميع الشرائع فليس بمؤمن محض ولا كافر محض بل هو مؤمن كافر. وقالت طائفة منهم: المنافقون مشركون مخلدون في النار، وهذا تخليط وقول متناقض منهم

= أو إرادة وهذا بعينه كحال الميت مع الغسل فإن الأول لا حول ولا قوة بين يدي مغسله. فانظر كيف أثبت ما أنكره على الصوفية. فإن هذه سوفسطائية من وجه واحد فقط فتنبه. اهـ.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٢)، الفرق بين الفرق (١٠٩)، التبصير (٦٠).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٦)، الملل والنحل (١/ ١٤٢)، الفرق بين الفرق (٢٠٤).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٦٠٢).

(٤) في مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٣٣).

لا يحتاج على فساده احتجاج، قبحهم الله.

١٧ ـ **وأما الغيلانية**[١]، فهم أصحاب غيلان، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن العلم يحدث الأشياء ضرورة فجعلوا العلم قبل وجود المعلوم محدثاً له وهذا لا يقوله ذو عقل فنعوذ بالله منهم.

١٨ ـ **وأما الإباحية**[٢]، فهم منسوبون إلى قولهم وذلك بأنهم قالوا: إن الأشياء كلها على الإباحة لأنه لا ضرر على الله تعالى في ذلك مع اعتقادهم الإيمان، ويحتجون بقول عمر رضي الله تعالى عنه حين جاءه أعرابي من أهل نجد فقال: يا أمير المؤمنين بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام فعلام نحميها؟ وجعل يكرر ذلك عليه. فقال عمر رضي الله عنه: المال مال الله والعباد عباد الله فلولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت من الأرض شبراً في شبر. وهذا لا حجة فيه لأن عمر رضي الله عنه أراد بذلك الموات المباح في بلادهم. وكذلك حكم كل موات في الأرض فيلبسون على العوام بذلك. وارتكبوا بذلك المحارم وأمنوا المآثم وعصوا الرحمٰن وخالفوا ما نزل به القرآن. وإلى ذلك ذهب قوم من الصوفية، فأعوذ بالله من ذلك القول[٣].

---

(١) انظر: المرجع السابق (١/١٣٦).

(٢) انظر: التبصير في الدين للإسفراييني (١٣٥)، الفرق بين الفرق (٢٦٦).

(٣) لماذا لم يقم حتى دليلاً واحداً فيما افتراه على الصوفية أم أنه كلما خطروا له على بالٍ أقر لهم عقيدة هم منها براء.

ثالثاً: المعتزلة

في الفرقة الثالثة وهي المعتزلة[1] والقدرية، وفي تسميتهم: معتزلة، أقوال. قيل: سموا معتزلة لاعتزالهم عن الحق. وقيل: لاعتزالهم عن أقوال المسلمين فإن الناس كانوا مختلفين في مرتكبي الكبائر فقال بعضهم: هم كافرون. وقال بعضهم: هم مؤمنون بما معهم من الإيمان. وقال بعضهم: هم مسلمون. وأحدث واصل قولاً رابعاً وقال: ليسوا بمؤمنين ولا كافرين، واعتزله المسلمون. وقيل: سموا معتزلة لاعتزالهم عن مجلس الحسن البصري فمر بهم الحسن فقال: هؤلاء معتزلة، فسموا بذلك قدرية: لنفيهم قضاء الله وقدره في معاصي العباد وإضافة خلقها إلى فاعلها.

ومذهب المعتزلة مركب من مذهب جهم في نفس الصفات والقدر والاعتزال، فمن اجتمع فيه هذه الثلاث خصال فهو معتزلي وإن كان الأصل فيه ما ذكرته. وقد اجتمعت المعتزلة على نفي الصفات عن الله عزّ وجل وتعالى عن قولهم كالعلم والقدرة والسمع والبصر واجتمعت أن كلام الله محدث وإرادته محدثة وأنه يتكلم بكلام يخلقه في غيره ويريد إرادة يحدثها ويريد خلاف معلومه ويريد من عباده ما لا يكون ويكون ما لا يريد، وإنه لو لم يعص خلقه لكان قبيحاً به الإتيان بعوضه. والله تعالى لا يقدر على مقدورات غيره وإنه لم يخلق أفعال عباده بل هم الخالقون لها وأن ما يتغناه الإنسان من الحرام ليس برزق له وأن الإنسان قد يقتل دون أجله وأن الإنسان يفعل الأشياء باستطاعة معدودة وأن من ارتكب كبيرة من الموحدين فإن لم تكن كفراً يخرجه عن الإيمان استحق الخلود في النار أبد الآبدين وتبطل جميع حسناته. ونفوا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر ورأوا الخروج على السلطان وترك طاعتهم له ولم يروا الدعاء للميت ولا الصدقة عنه نافعين له. فهذا بيان ما أجمعت عليه المعتزلة.

وأما ما انفردت به كل فرقة، فأنا أذكره في فصلها إن شاء الله، وهي ثماني عشرة فرقة: الجبائية والضرارية والبشرية والجاحظية والهذيلية والنظامية والعطارية والعقارية

---

(١) انظر عنهم في: الكامل للمبرد (٣/ ٩١)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٥١).

والقرطية والقضيبية والرعينية والحائطية والميسرية والجديرية والبيجورية والإسكافية والعبادية والعمرية.

١ ـ أما الجبائية[١]، فهم أصحاب أبي هاشم[٢] الجبائي، أعظم رؤسائهم في زمانه وأحد مصنفي كتبهم.

وكان يقول هو وفرقته: بأنه يجب على الله راحة عباده وكل ما أمرهم به، يعتقدون المعدومات أشياء في حال عدمها وأنها لم تزل موجودة مع الله.

ويقولون: لا يحل لأحد أن يتمنى الشهادة ولا أن يريدها ولا يرضاها لأنها تغليب كافر على مسلم وإنما يجب على المسلم حب الصبر على الجراح فحسب.

ويقولون: إن الله تعالى لم يُمت نبياً قط ولا صاحب نبي ولا أمهات المؤمنين وهو يعلم أنهم لو عاشوا لعملوا خيراً بل أمات كل واحد منهم حين علم أنه لو عاش ولو طرفة عين كَفَرَ أو فَسَقَ بلا بد.

ويقولون: إن الشخص لو كان يتولد منه الولد لكان صانع بنية ولده وفاعله ومدبره ولا فاعل له غيره، ولكان القول بأن الله تعالى خلقه على المجاز لا على الحقيقة.

قالوا: وإنما الله تعالى خلقَ الحَبَلَ في نساء العالمين من غير شيء، وأن الله تعالى مطيع لعباده إذا فعل ما أرادوه. وينكرون الاستثناء في اليمين إذا حلف الإنسان على فعل شيء وقال: إن شاء الله تعالى ناوياً رفع اليمين فإنه يحنث إذا لم يفعل.

ويقولون: من سرق خمسة دراهم كان فاسقاً فإن نقص حبة لم يفسق ولم تدع كبيرة.

٢ ـ وأما الضرارية، فهم أصحاب ضرار بن عمرو الكوفي، أحد شيوخهم.

كان هو وفرقته يقولون: إن من الممكن أن جميع أهل الأرض المظهرين للإسلام كفار في باطن أمرهم لأن ذلك جائز على كل واحد منهم في ذاته فيؤدي ذلك إلى استحلال دماء المسلمين وأموالهم ويقولون: إن الأشياء أعراض مجتمعة وإنه ليس في النار حرٌ ولا في الثلج بردٌ ولا في العسل حلاوة ولا في الصبر مرارة ولا في العنب عصير ولا في الزيتون زيت ولا في العروق دم، وإنما خلق الله تعالى ذلك عند القطع

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٧٨)، الخطط (٢/ ٣٤٨)، الفرق بين الفرق (١٨٣)، طبقات المعتزلة (٨٥)، شرح المواقف (٤١٨).

(٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (١/ ٦٠٨)، لسان الميزان (٥/ ٢٧١)، الأعلام (٧/ ١٣٦).

والذوق واللمس فقط. والقول بذلك إن كان للحقائق والعلم الضروري فدعوى باطلة لا يجدون عليها دليلاً.

٣ ـ وأما البشرية[1]، فهم أصحاب بشر بن المعتمر، ويكنى أبا سهل، أحد الشعراء والبلغاء.

وكان يقول هو وفرقته: إن الله تعالى لم يخلق لوناً ولا طعماً ولا رائحة ولا شدة ولا ضعفاً ولا زمانة ولا عمى ولا صمماً ولا جُبناً ولا شجاعة ولا عجزاً ولا صحة ولا مرضاً، وأن الناس هم الفاعلون لذلك. ويقولون: إن من سرق أحد عشر درهماً فهو كافر خارج عن الإسلام مخلّد في النيران إن لم يتب. ولهم سخافات كثيرة.

٤ ـ وأما الهذيلية[2]، فهم أصحاب الهذيل محمد بن مكحول[3]، المعروف بالعلاّف البصري مولى لعبد القيس أحد رؤساء المعتزلة ومقدميهم.

وكان هو وفرقته يقولون: إن لله قدرة وعلماً وسمعاً وبصراً، وإن كلام الله تعالى بعضه مخلوق وبعضه ليس بمخلوق، ففي المخلوق قوله: (كن) خلافاً لما اجتمعت عليه المعتزلة.

ويقولون: إن الله تعالى ليس بخالق خلقاً.

ويكفّرون من قال: إن الله تعالى خلق الخلق.

ويقولون: إن أهل الجنة تفنى حركاتهم حتى يصيرون جماداً لا يقدرون على شيء من تحريك أعضائهم ولا على المرَاح من مواضعهم وهم في تلك الحالة يتلذذون إلا أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يجامعون إذا صاروا إلى تلك الحال. وهذه خرافات ظاهرة وتكذيب لما ورد به الكتاب والسنّة.

٥ ـ وأما النظامية[4]، فهم أصحاب إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام، مولى يحيى بن الحارث البصري، وهو من أكبر شيوخهم ومقدمي علمائهم وإليه نسبوا.

وكان هو وفرقته يقولون: إن الله تعالى لا يقدر على ظلم أحد أصلاً ولا على

---

(١) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٤٢)، التبصير في الدين (٤٥)، طبقات المعتزلة (٦٢).

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٩)، الملل والنحل للبغدادي (٨٨)، التنبيه للملطي (٤٣)، شرح المواقف (٧).

(٣) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦)، لسان الميزان (٥/ ٤١٣)، معجم المؤلفين (١٢/ ٩١).

(٤) راجع: الخطط (٢/ ٣٤٦)، التبصير في الدين (٧١)، الملل والنحل (١/ ٥٣)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٤٠).

شيء من الشر، وأن الناس يقدرون على ذلك. وإنه تعالى لو كان قادراً على ذلك لكنا لا نأمن أن يفعله بنا. ويصرّحون بأن الله تعالى لا يقدر على إخراج أحد من جهنم ولا على إخراج أحد من الجنة ولا طرح طفل في نار جهنم، وأن كل أحد من الناس والملائكة وغيرهم يقدر على ذلك. وأن من سرق مائتي درهم غير حبة فهو مؤمن وليس بفاسق ولا يعذّب على ذلك، فإن سرق مائتي درهم فهو كافر خارج عن الإيمان مخلّد في النار وإن لم يتب. وأن الأجساد لا تعرف بمجرد الأخبار البتة، بل من رأى جسماً اقتطع من قطعة تختلط بجسمه سواء كان المرئي إنساناً أو غير إنسان ثم كل من أخبره عن ذلك الجسم يأخذ المخبر من تلك القطع قطعة، وهكذا أبداً على التسلسل. فعلى هذا يلزمهم أن يقولوا: إن قطعة من النار في جبريل عليه السلام وقطعة منها في النبي ﷺ وإن كل واحد من إبليس وفرعون وأبي جهل قطعة من الجنة، وهذا ظاهر البطلان.

ويقولون: لا سكون في شيء من العالم وكل سكون يرى في شيء هو حركة في الحقيقة، وإن الحيات والعقارب والخنافس والكلاب والخنازير مما خلق في الدنيا يدخل الجنة.

٦ ـ **وأما العطارية**، فهم أصحاب العطار البصري، مولى بني سليم، أحد شيوخ المعتزلة المتهم بأنه كان يقول بجواز موجودات لا نهاية لها، وأن الباري جل وعلا لا يحصيها هو ولا غيره ولا عنده لها مقدار ولا عدد، ذلك لاعتقاده أن الأشياء تختلف لمعان فيها وتلك المعاني تختلف لمعان، ويتسلسل ذلك أبداً بلا نهاية. وهذا تلبيس منه ولا فائدة تحته. وقد وافق الدهرية في اعتقادهم وقد أكذب الله عز وجل من قال ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: الآية ٢٨] وطالبه أصحابه البصريون بالبصرة عند السلطان بالحجة على اعتقادهم فهرب إلى بغداد وأقام مختفياً في دار إبراهيم ـ رجل من أهل بغداد ـ إلى أن مات على سوء هذا الاعتقاد.

٧ ـ **وأما الجاحظية**(١)، فهم أصحاب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. قيل أنه كناني، وقيل مولى، صحب النظّام وقرأ عليه، فحكى عنه إنه كان يقول: إن العالم فعل الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وكان هو وفرقته يزعمون أن المقلّدين من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان وغيرها لا يدخلون النار لكن يصيرون تراباً وكل من مات من أهل الإسلام الخالص والاجتهاد في العبادة مصراً على كبيرة كشرب الخمر وغيره، وإن لم يوقع

---

(١) انظر: التبصير في الدين (٨٢)، الفرق بين الفرق (١٦٠)، الملل والنحل (١٢٣).

ذلك في عمره إلاّ مرة واحدة، مخلّد بين أطباق النيران أبداً مع فرعون وهامان، وإن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وجميع أطفال المسلمين الذين يموتون قبل البلوغ وجميع مجانين أهل الإسلام لا يدخلون الجنة بل يصيرون تراباً. وهذا كله ظاهر الفساد لا يحتاج إلى إقامة دليل.

٨ ـ **وأما الفُوطية، فهم أصحاب هشام الفُوطي أحد شيوخ المعتزلة.**

كان يقول: إن الله تعالى إذا خلق شيئاً لم يقدر أن يخلق مثل ذلك الشيء أبداً لكن يخلق غيره، وقد أكذب الله عز وجل من قال بذلك لقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس: الآية ٨١] وكانوا لا يُجيزون لأحد من الناس أن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، إلاّ في القرآن فقط. ولا أن يقول: إن الله تعالى يعذّب الكفار بالنار ولا أنه يحيي الأرض بالمطر البتة. ويقولون: إن من هو مؤمن عابد الآن وفي علم الله تعالى أنه يموت مسلماً فهو الآن مسلم عند الله تعالى. ولهم هذيانات كثيرة على وفق بدعهم.

٩ ـ **وأما القضيبية، فهم أصحاب جعفر بائع القضيب، من كبار رؤساء المعتزلة.**

كان يقول هو وفرقته: إن البلاء جائز بما لم يطلع عليه عباده وهو أن يظهر له من الأمر ما كان قد خفي عليه فيعمل به بعد العمل بغيره. وأنشد زرارة بن أعين منهم في ذلك:

ولولا البدا لسميته غير هائب ... وذكر البَدا لفت لمن يتقلب
لولا البدا ما كان فيه تصرف ... وكان كنار دهرها تتلهب
وكان كضوء مشرق بطبيعة ... وبالله عن ذكر الطبائع يرغب

ومعنى قوله غير هائِب، عنده: أنه لو لم يجز عليه البدء لجاز أن يسميه غير هائِب. وكذّبوا فيما قالوا لم يزل عالماً بجميع الأشياء علمه قديم بقدمه لم يخف عليه شيء ما كان وما هو كائن.

وقالوا: إن القرآن ليس هو في المصاحف كما قالت الكلابية والأشعرية، وفسّقوا جماعةً من أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم ولعن مبغضهم ومن يطعن فيهم.

١٠ ـ **وأما العقارية، فهم أصحاب أبي عقار أحد شيوخ المعتزلة.**

كان يقول هو وأصحابه: إن شحم الخنزير ودماغه حلال، وإن مباشرة الرجل للرجل فيما دون الفرج من الفخذين وغيرهما حلال. وكذبوا فيما قالوا من جميع ذلك بدليل الكتاب والسنة والقياس.

١١ ـ وأما الحابطية[١]، فهم أصحاب أحمد بن حابط. أحد الكبراء عندهم.

كان يقول هو وفرقته: إن للعالم خالقين أحدهما قديم وهو الله تعالى والثاني محدث، وهو كلمة المسيح ابن مريم التي خلق بها، وهذا ظاهر البطلان كيف تخلق كلمة المسيح عليه السلام المحدثة ما كان مخلوقاً قبل حدوثها، والله يقول: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: الآية ٣].

وكانوا، لعنهم الله، يطعنون على رسول الله ﷺ في التزويج، والقرآن يكذّبهم، ويقولون في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢﴾ [الفجر: الآية ٢٢] إن الذي يجيء مع الملك هو عيسى ابن مريم وكذلك هو الذي يأتي مع الملائكة في ظلل من الغمام فإن الذي خلق آدم على صورته هو المسيح، وإن المسيح هو الذي يرى يوم القيامة كما يرى القمر وأمه التي تحاسب الخلق.

ويقولون: إن في كل جنس من الطير والسمك والبهائم والبَقّ والبراغيث وكل هامة رسلاً منهم وأنبياء إلى أنواعها من جنسها.

ويقولون بالتناسخ والكرور كما قال بعض الروافض، وإن الله ابتدع الخلق جملة واحدة بصفة واحدة فمن عصى منهم نسخ روحه إلى جسد بهيمة وابتلى بالذبح. فمن كان مع عصيانه عفيفاً عن الزنى كوفىء بالقوة على الجماع كالتيس، ومن كان زانياً أو زانية كوفىء بالمنع عن الجماع كالبغال. ومن كان جباراً كوفىء بالمهانة كالدود والقمل. ولا يزالون كذلك حتى يتكاملوا ثم يردون إلى الصورة الأولى، فإن عادوا إلى المعصية فعل بهم كما فعل بهم أولاً حتى يطيعوا طاعة لا معصية فيها فينتقلون إلى الجنة أو يعصون معصية لا طاعة فيها فينقلون إلى النار من وقتهم، وهكذا أبداً.

وكانوا يقولون: للثواب دارات في الجنة بعضها أرفع من بعض فأرفعهن لا أكل فيها ولا شرب ولا مباضعة، وأدناهن ما كان فيها ذلك. وهذا تخليط وكفر ظاهر وتكذيب لما نزل به القرآن ووردت به السنّة.

١٢ ـ وأما الرعينية، فهم أصحاب إسماعيل بن عبد الله الرعيني. وكان من المجتهدين في العبادة.

وكان هو وفرقته يقولون: إن الأجساد لا تبعث وإنما تبعث الأرواح، كما قال بعض الروافض، وإن الروح إذا فارقت الجسد وتلقته الحسنات أو السيئات يصير إلى

---

(١) انظر: شرح المواقف (ص ١٥)، الانتصار (ص ٢١٨).

الجنة أو النار هكذا أبداً بلا نهاية للعالم من غير حساب ولا ميزان ولا صراط.

وحكي عن ابن له أنه قال: كان جدي يقول: إن الفلك هو المدبّر للعالم وأن الله تعالى أجلّ من أن يوصف بشيء أصلاً.

١٣ ـ وأما الميسرية، فهم أصحاب أبي ميسرة، أحد شيوخ المعتزلة.

كان هو وفرقته يقولون: إن النبوّة مكتسبة، فمن بلغ الغاية في الصلاح والطهارة أدرك النبوّة والرسالة. وحكي عن بعض الروافض كذلك، والله تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤].

١٤ ـ وأما الجديرية، فهم أصحاب أبي عمرو أحمد بن جدير، وكان من الشيوخ العظماء عندهم.

وكان يقول هو وفرقته: إن العاصي إذا عصى طبع الله على قلبه وصار غير مأمور ولا منهي. وهذا من قولهم يدل على أنه عندهم خرج عن أن يكون من أهل التكليف وصار من جملة العجماوات التي لم تخلق لذلك أو الصبيان والمجانين الذين لا يدخلون تحت الخطاب، وهذا قول ظاهر الفساد لا حجة لهم عليه.

١٥ ـ وأما البيعجورية، فهم أصحاب أحمد بن علي البيعجور أحد رؤسائهم، وكان أبوه والياً وأحد قوّاد الجبابرة.

وكان يقول هو وفرقته: إن من ارتكب ذنباً في الدنيا من القتل فما دونه وندم على أثر ذلك فقد تاب وسقط عنه ذلك الذنب وإن لم يبرأ عمّا تعلق به الضمان ولا حصلت منه توبة شرعية وهكذا أبداً كلما عاد لذلك الذنب أو غيره.

١٦ ـ وأما الإسكافية[١]، فهم أصحاب محمد بن عبد الله الإسكافي، وكان من عظمائهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن الله تعالى لم يخلق الطنابير ولا المزامير ولا سائر آلات اللهو وإن الخالق لها أصحابها الذين صنعوها. وكذبوا فيما قالوا والدليل على بطلان ما قالوه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: الآية ٩٦].

١٧ ـ وأما العبادية، فهم أصحاب عباد بن سليمان، أحد شيوخ المعتزلة، وكان قد قرأ على هشام الفوطي المتقدم ذكره.

وكان عباد هذا وفرقته يقولون: لا يجوز أن يقال: إن الله تعالى خلق المؤمنين ولا أنه خلق الكافرين لكن يقال: خلق الناس. وذلك لأنهم زعموا أن المؤمن إنسان

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (١٦٩)، التبصير في الدين (١٤٨)، شرح المواقف (١١).

وإيمان، والكافر إنسان وكفر، والله تعالى لم يخلق إيماناً ولا كفراً. ويقولون: إن الله تعالى لا يقدر على غير ما خلق وإن الله تعالى لم يخلق القحط ولا المجاعة وأن الأمة إذا صلحت ولم تتظالم احتاجت إلى إمام، وإذا عصت وظلمت استغنت عن الإمام حينئذٍ. وهذا فساد ظاهر وحكم معكوس.

١٨ ـ وأما اليعمرية، فهم أصحاب يعمر البصري أحد شيوخ المعتزلة.

كان هو وفرقته يحرّمون القول بأن الله تعالى عالِم بنفسه، ويقولون: محال أن يعلم الله تعالى نفسه أو يجهلها لأن العالم غير المعلوم. وكذا عندهم سائر من يتصوّر منه العلم، فهذا منهم عناد ظاهر واختلاف في العقول. ويقولون: إن النفس ليست جسماً ولا عرضاً ولا هي في مكان أصلاً ولا تماس شيئاً ولا تناسبه ولا تتحرك ولا تسكن. وقولهم هذا مبني على أنها عندهم قديمة. نعوذ بالله تعالى من سوء ما ذهبوا إليه من القول.

رابعاً: الرافضة

في الفرقة الرابعة، وهي الرافضة[1].

وسمِّيت الرافضة لرفضهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وقيل: لرفضهم زيد بن علي رضي الله عنهما لما تولى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال بإمامتهما فقال زيد رضي الله عنه: رفضوني، فسموا رافضة.

وسمُّوا شيعة حين قالوا: نحن من شيعة علي رضي الله عنه. إلاَّ أن بعضهم قال فيه غير الحق وهم الغالية فجعله بعضهم إلٰهاً وجعله بعضهم نبياً، وقد قتل علي رضي الله عنه بعضهم وأحرق بعضاً في زمانه.

والغالية منهم تنكر يوم الحساب.

وأجمعت الرافضة على إثبات الإمامة عقلاً وأن إمامة علي وتقديمه ثابتة نصاً وأن الأئمة معصومون لا يجوز عليهم الغلط والسهو والخطأ، وأنكروا إمامة المفضول والاختيار، وقالوا بتفضيل علي على سائر الصحابة وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ وتبرؤوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة رضي الله عنهم إلاَّ فرقة الزيدية. وقالوا: إن الأمة ارتدت بتركها إمامة علي رضي الله عنه. وأكثرهم يزعم أن الله تعالى لا يعلم ما يكون قبل أن يكون ويقول برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم الحساب. وأكثرهم يقول إن الإمام يعلم كل شيء مما كان وما يكون في أمر الدين والدنيا حتى عدد الحصى وقطر الأمطار وورق الأشجار. وهذا جنون ظاهر، ينفون علمه عن الله تعالى ويثبتونه للمخلوقين.

ويقولون: إن الأئمة تظهر على يدهم المعجزات كالرسل وأكثرهم شهد على من حارب علياً بالكفر، وهم ثماني عشرة فرقة: الجارودية والمطرفية والمسيرية والإمامية الاثني عشرية والخطابية والكيسانية والهاشمية والمحمدية والغرابية والجريرية والمنتظرة

---

(١) انظر: تاج العروس (٥/ ٣٤)، مقالات الإسلاميين (١٧)، فرق الشيعة للنوبختي (ص ١٦٢)، موسوعة الإسلام المختصرة (٤٦٦).

والبيانية والمنصورية والكسفية والمغيرية والطريفية والقرمطية والإسماعيلية.

١ ـ **أما الجارودية**[١]، فهم أصحاب أبي الجارود زياد بن[٢] المنذر العبدي، أحد شيوخهم.

قال هو وفرقته بأن النبي ﷺ نص على إمامة علي رضي الله عنه بصفته لا باسمه. ويسوقون الإمامة إلى الحسين رضي الله عنه ثم هي بعد ذلك شورى بينهم ويقولون: إن ذبائح أهل الكتاب لا تحل في خزعبلات لهم كثيرة.

٢ ـ **وأما المطرفية**، فهم أصحاب مطرف الشهابي، أحد شيوخهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: الصلاة في غير الثوب الذي يلبسه المصلي أمر قويم وثواب عظيم. ويسبون السلف غير علي من الصحابة ويقولون: هو ثواب عظيم. وهم أكثر الرافضة غلواً في السب. ويقولون بخلق القرآن. ويقولون: إن علياً مظلوم. نعوذ بالله من سوء اعتقادهم.

٣ ـ **وأما النصيرية**[٣]، فلم ينسبوا إلى شيخ[٤]، وهم القائلون بإلٰهية علي رضي الله عنه، ويسبون فاطمة بنت رسول الله ﷺ بكل فعل قبيح، لعنهم الله، ويسبّون الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقولون: إن خير الناس عبد الرحمٰن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه لأنه خلّص روح اللاهوت من الجسد التراب. وقد غلبوا على الأردن ومدينة طبرية في الزمن القديم.

٤ ـ **وأما الإمامية**[٥] الاثني عشرية، فسموا بذلك لقولهم: إن الإمامة في علي ثم الحسن ثم الحسين ثم في علي بن الحسين ثم في محمد بن علي ثم في جعفر بن محمد ثم في موسى بن جعفر ثم في علي بن موسى ثم محمد بن علي بن موسى ثم

---

(١) انظر في شأن هذه الفرقة: الملل والنحل للشهرستاني (١/١٥٧)، الفرق (ص ٣٠)، الفهرست (٢٢٦)، مروج الذهب (٣/٢٠٨).

(٢) انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال (٣/٣٨٦).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٣ـ ٨٦)، الفرق بين الفرق (٢٥٢، ٢٥٦)، طائفة النصيرية د. سليمان الحلبي (٣٨ـ ٥٥).

(٤) تنسب إلى نصير مولى للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل: ابن نصير ونسبها البعض إلى أبي شعيب محمد بن نصير البصري النميري الذي كان مولى للحسن العسكري الإمام الحادي عشر للشيعة الاثني عشرية. ثم انشق عنها وكوّن هذه الطائفة. انظر الملل والنحل (١/ ١٨٨ـ ١٩٠).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق (٢٣٤)، الملل والنحل (١/٢١٨)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٦٣).

في علي بن محمد ثم في الحسن بن علي بن محمد ثم تنقطع الإمامية عندهم إلى قيام محمد بن علي.

وقال محمد بن يعقوب، واسمه محمد بن الحسن صاحب الدور والقيامة عندهم، الذي زعموا أنه يأتي بشريعة جديدة ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. فأما العدل فصحيح لأنه هو المهدي الذي أخبر عنه النبي ﷺ وأما كونه يأتي بشريعة جديدة فكذبوا إلاّ أنه يقيم الشريعة النبوية كما كانت ويسمون القطعية لقولهم بانقطاع الإمامة.

وقالوا: إن القرآن نقص منه وإن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١] كانت آية إلاّ فرقة علي بن الحسين بن موسى الرضا فإنهم خالفوهم بذلك. وقالوا كلهم: بأن الله تعالى جسم إلاّ فرقة علي بن الحسين، ومنهم من يقول بحياة علي وأنه في السحاب ويسمون السحابية ويحتجون بقول النبي ﷺ: «ما أحسن علي في السحاب»، ويحملون الحديث على ذلك ويكذبون وإنما المراد بذلك في الحديث: الغمامة التي اغتمّ بها علي رضي الله عنه وكانت تسمى السحاب، وهذا كله اعتقاده أصل له.

٥ ـ **وأما الخطابية**[١]، فهم أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد.

قال هو وفرقته بإلٰهية جعفر بن محمد وأعلنوا بذلك في أيامه وأحرموا بالحج من الكوفة نهاراً وخرجوا منها يلبون رافعي أصواتهم بالتلبية يقولون: لبيك جعفر بن محمد، فلما رفع ذلك إليه قتلهم وأبادهم.

وقيل: إن طائفة منهم يقولون بإلٰهية إسماعيل بن جعفر إلى وقتنا هذا.

وقال بعضهم بإلٰهية أبي الخطاب هذا الذي نسبوا إليه وقالوا: هو إلٰه أعظم من جعفر.

وقالوا: جميع أولاد الحسين أنبياء. وقال بعضهم بإلٰهية الحسين بن منصور[٢] الحلاج المصلوب في بغداد أيام المقتدر بسعي الوزير حامد[٣] بن العباس وأفتى بإباحة دمه ووجوب قتله جماعة من الفقهاء ومنهم الباز الأشهب أبو العباس بن سريج وقصته

---

(١) انظر عنهم: مقالات الإسلاميين (١/ ٧٦)، الملل والنحل (١/ ١٧٩)، التبصير في الدين (٧٣).
(٢) انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٥٤٨).
(٣) انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٢/ ١٦١).

مشهورة، والصوفية تزعم أنه منهم، فبئس ما عزوا إلى أنفسهم. ولعمري قولهم بذلك موافق القياس.

وقالت طائفة منهم ـ أعني الخطابية ـ بإلْهية محمد بن علي السمعاني الكاتب المقتول ببغداد أيام الراضي بالله، وقال بعضهم بإلْهية أبي مسلم السراج، ثم بإلْهية المقنع الأعور القصاد القائم بخراسان أيام المنصور.

والخطابية يزعمون أن الأئمة أنبياء وأن في كل وقت رسول ناطق وصامت، فمحمد ﷺ ناطق وعلي صامت.

ونص الشافعي رضي الله عنه على رد شهادة الخطابية خاصة وذلك لأنهم لا يجوزون الكذب، فإذا أخبر الواحد منهم صاحبه بأن على رجل له ديناً أو حقاً من الحقوق استحلفه على استحقاقه لذلك عليه فإذا حلف له شهد له عليه بذلك الحق عند الحاكم. وهذا أعظم الكذب مع ما ذهبوا إليه من الاعتقادات التي لا أصل لها.

٦ ـ **وأما الكيسانية**[(١)]، فهم أصحاب أبي عبد الرحمٰن بن كيسان، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

كان هو وفرقته يعتقدون تناسخ الأرواح ويحتجون بقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: الآية ٨] وليس معنى ذلك ما ذهبوا إليه، وإنما المعنى في أي صورة من طول أو قصر أو حسن أو قبح أو بياض أو سواد أو غير ذلك. فيعتقدون، لعنهم الله، أن أرواح أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم نقلت بموتهم إلى جسد الحمار والبغل والتيس، فيحمدون ضرب هذه الحيوانات المذكورة وتعذيبها بالجوع والعطش وغير ذلك.

ويُحكى أنه كان لرجل منهم حماران، وقد وقع عنده أن روح أبي بكر في أحدهما وروح عمر في الآخر، فكان يعذبهما بالضرب في الغداة والعشي، فبينما هو يوماً يضرب الحمار الذي سماه عمر ورجل من المسلمين ينظر إليه إذ رمحه الحمار برجله فألقاه على قفاه فضحك المسلم وقال: لله درك يا ابن الخطاب هذه عادتك في الزنادقة.

ويزعمون أن محمد بن الحنفية حي لم يمت وأنه في جبال رضوى، أسد عن يمينه وأسد عن يساره. ومن هذه الطائفة كان كثير بن عزة وهو عندهم إمام، وأنشد عند موته:

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١٨)، الملل والنحل (١/١٤٧).

بريت إلى الإله من ابن أروى ومن رأي الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق غداة دعى أمير المؤمنينا

ثم خرجت روحه كأنها حصاة وقعت في ماء.

وهم إحدى فرق الباطنية من الروافض. وسميت الباطنية لقولهم: إن لكتاب الله ولسنّة نبيه ﷺ ولكل حيوان وجماد ونحوه لغة وحركة وسكون بواطن خفية وإشارات مرموزة نفيسة بخلاف ظواهرها تجري منها مجرى اللب في القشر.

ويحكى أن شيخاً منهم كان يقري جماعة عندهم حمار مربوط، فأدلى الحمار ذكره فقال بعضهم للشيخ: أصلحك الله على ما يدل هذا؟ فقال: هذا يدل على الإمام فموته كموته وظهوره كظهوره. فضحك السائل وقام مفارقاً لهم وقال: أخزى الله إماماً يشبه بذكر الحمار.

وأنا أذكر بعض ما ذهبوا إليه من البواطل والرموز في فصل الإسماعيلية إن شاء الله تعالى وإن لم يكن فيه فائدة بل لبيان سوء معتقدهم.

٧ ـ **وأما الهشاميّة**[1]، فهم أصحاب هشام بن عبد الحكم، وإليه نسبوا.

كان هو وفرقته يقولون: إن الله تعالى لحم ودم على صورة الإنسان، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ويقولون: الأمة ارتدت بعد رسول الله ﷺ إلاّ شيعتهم. قاله أبو محمد بن أبي يعقوب. وقال هشام بن عبد الحكم ومتبعوه: إن الله، تعالى عن قولهم وتقدّس، جسم طويل عريض عميق نور ساطع له قدرٌ من الأقدار كالسبيكة الصافية يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد. وحكي أنه قال: أحسن الأقدار أن يكون أشبار بشبر نفسه. تعالى عن قولهم علواً كبيراً.

٨ ـ **وأما المحمديّة**[2]، فهم القائلون بأن محمداً ﷺ هو الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً بل هو ﷺ عبد الله ونبيه ورسوله، قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: الآية ٩٣].

ومن هذه الطائفة كان علي بن محمد بن الفياض، كاتب المعتصم العباسي وله فيه كتاب سماه «الفسطاط» ومنهم من يقول بإلهية بعض الأئمة، ولهم شنع كثيرة.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١٠٦ـ١٠٩)، الملل والنحل (١٨٤)، الفرق بين الفرق (٢٢٧)، أبكار الأفكار للآمدي (٥/٥٨).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (٢٤)، التبصير في الدين (٣٥).

٩ ـ **وأما الغرابية**[١]، فهم القائلون بأن محمداً ﷺ أشبه الناس بعلي رضي الله عنه من الغراب بالغراب وإلى هذا القول نسبوا فبعث الله جبريل بالنبوّة والرسالة إلى علي فأخطأ بها إلى محمد ﷺ.

ثم افترق هؤلاء على فرقتين، فقالت فرقة: جبريل عاص بذلك، ويسمونه، لعنهم الله، أبا الريش. وقالت الفرقة الثانية: لا ملامة عليه لأنه لم يتعمد ذلك. وقالت طائفة منهم: بكفر جماعة من الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي ﷺ إذ جحدوا إمامة علي رضي الله عنه، وكفر علي إذ سلّم الأمر لأبي بكر رضي الله عنه، وخالفوا أصحابهم فقروا بنبوّة محمد ﷺ، ومن هؤلاء من يرد اللوم على النبي ﷺ إذ لم يبين ذلك بياناً تاماً، وتعرف هذه الفرقة بالكاملية، أصحاب أبي كامل.

ومنهم من قال: إن علياً رجع إلى الإسلام هو ومن اتبعه لما ولي الخلافة. ولهم أقوال كثيرة وأباطيل، فأعوذ بالله من سوء مذهبهم.

١٠ ـ **وأما الجريرية**[٢]، فهم أصحاب جرير بن سليمان الرَّقي، أحد شيوخهم ومنصفي كتبهم.

أجمع هو وفرقته على جواز استعارة الأمَةِ للوطء كما جرى ذلك عمن يحكي بمكة عند القاضي فيها في زمن متقدم، وأظن القاضي الذي فعل ذلك عنده كان على مذهبهم.

وقالوا: يجوز الجمع بين أكثر من أربع نسوة في نكاح واحد، وأوجبوا على مَن أحرم بالحج وأراد التحلل منه أن يحلق شعر جميع بدنه حتى لحيته. وأوجبوا على من ضحى أن يأخذ من جميع شعر بدنه حتى من اللحية والحاجب والشارب والعذار والعنفقة، ويحرِّمون أكل الحوت والأرنب، ولا يقع الطلاق عندهم إلاّ بحضرة شاهدين. وطائفة منهم يعتقدون أن عِلْم الله تعالى محدث، وكذبوا في جميع ما اعتقدوا في ذلك.

١١ ـ **وأما المنتظرة**[٣]، فإنهم ينتظرون خروج إمام لا يدرون أين هو؟ وإلى ذلك نسبوا، ومنهم سيف الدولة الذي كان ببغداد. وذكر أنه خرج باثني عشر ألفاً عليهم آلة الحرب إلى الموضع الذي يتوقعون أنه يخرج منه. وقال: هيه، رافعاً

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٢٥٠)، شرح المواقف (٤٢٠)، التبصير في الدين (١٢٨).

(٢) انظر: الملل والنحل (١٥٩)، الفرق بين الفرق (٣٢)، شرح المواقف (٤٠)، أبكار الأفكار (٥/ ٧١)، ويطلق عليها السليمانية.

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ١٧١)، فرق الشيعة (١٠٢، ١٠٣).

صوته، إن كنت تريد أن تخرج فاخرج ترى معك اثني عشر ألفاً. وربما قال بعضهم: إن الذي ينتظرونه هو المهدي من ولد فاطمة رضي الله عنها.

ويقال: إن هذه الفرقة مشهورة في بلاد العجم، ويقولون بتبديل القرآن والنقص منه كما قالت الإمامية.

١٢ ـ **وأما البيانية**[١]، من الغالية، فهم أصحاب بيان بن سمعان التميمي الذي أخرجه خالد بن عبد الله القسري.

كان هو وفرقته يقولون: إنه نبي وإنه المشار إليه في القرآن بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٨].

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن الله، تعالى عن قولهم، يفني كله إلاَّ وجهه، محتجين بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصَص: الآية ٨٨]، وكذبوا فيما قالوا وأخطؤوا فيما تأوّلوا. وإنما المعنى: كل شيء هالك إلاَّ إياه. وكذلك يتأوّلون قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٥] والمعنى ما ذكرته، وإن كانت صفات الله ثابتة من غير تكييف.

١٣ ـ **وأما المنصورية**[٢]، من الغالية الرافضة، وهم أصحاب منصور المخلد.

كان يزعم أنه صعد إلى السماء ومسح الربُّ تعالى بيده على رأسه وقال له: يا بني اذهب فبلِّغ عني. وكذَّب لعنه الله، فصارت فرقته إلى اليوم على ما يحكى إذا حلفت قالت: لا والكلمة، يعنون ما ذكر أنه قال له. وقالوا: من قتل من أهل القبلة دخل الجنة التي يعتقدونها عندهم على ما أبيّنه في فصل الإسماعيلية.

١٤ ـ **وأما الكسفية**[٣]، أصحاب أبي منصور[٤] الكسف، وإليه نسبوا، وهو من بني عجل، وكان لعنه الله يقول: أنا الذي أراد الله بقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ۝٤٤﴾ [الطُور: الآية ٤٤]. ويقول أيضاً: إن الله تعالى مسح على رأسه وقال: يا بني اذهب فبلِّغ عني. كما قال المنصور، ويمين أصحابه أيضاً إذا حلفوا: لا والكلمة، يعنون ذلك كالمنصورية.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٦٦، ٦٧)، التبصير في الدين (٧٢)، الكامل لابن الأثير (٥/ ٨٢)، أبكار الأفكار (٥/ ٥٣).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٧٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٥٨)، أبكار الأفكار للآمدي (٥/ ٥٥).

(٣) نفس الفرقة السابقة وانظر المراجع السابقة في ٧.

(٤) انظر ترجمته في: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/ ١٨٥).

١٥ ـ **وأما المغيرية**[١]، من الرافضة، فهم أصحاب المغيرة بن سعيد مولى بجيلة، أحد شيوخهم وعظمائهم ومصنفي كتبهم.

وكان يقول هو وفرقته: إن جعفر بن محمد أوصى له بالإمامة بعده إلى خروج المهدي، ثم ادعى بعد ذلك النبوة وإنه يحيي الموتى وأن جعفر بعثه رسولاً وذلك بأنه اعتقد إلٰهية جعفر وتابعه على ذلك كثير من الناس.

ويروى أن الأعمش[٢] رحمه الله دخل عليه فسأله عن فضائل علي عليه السلام فقال: إنك لا تتحملها، فقال: بلى، فذكر الأعمش له آدم، فقال المغيرة: عليٌّ أفضل منه، ثم ذكر من هو دونه من الأنبياء فقال: هو خير منهم، فذكر رسول الله ﷺ فقال المغيرة: عليٌّ مثله، فقال له الأعمش: كذبت عليك لعنة الله، فقال له المغيرة: ألم أقل لك إنك لا تحتملها.

وكان هو وفرقته يقولون: لو أراد علي أن يفني عاداً أو ثموداً أو قروناً غير ذلك كثيراً لفعل. فرفع إلى خالد بن عبد الله القسري فصلبه بواسط، لا رحمه الله تعالى. وحكي إن الغرابية التي تقدم ذكرها من هؤلاء.

١٦ ـ **وأما الطريفية**[٣]، فهم أصحاب صالح بن طريف، وإليه نسبوا.

وكان يقول هو وفرقته بنبوته ثم بنبوّة ابنه إلياس بن صالح ثم بنبوة يوسف بن إلياس ثم بنبوّة ابن حفيرة ابن محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف، ثم بنبوّة أبي الأنصار عبد الله بن حفيرة، ثم بنبوة ابنه ناصر بن أبي الأنصار، ثم بنبوة عيسى بن نصر. وهذا صالح بن طريف، أحد عظماء الرافضة ومصنفي كتبهم، ولما قالت فرقته بنبوّته أعجبه ذلك، فشرّع لهم شرائع غير شرائع الإسلام فهم متبعون لها إلى اليوم، فمنها صيام رجب وإفطار شهر رمضان وعشر صلوات في اليوم والليلة خمس منها في النهار وخمس في الليل ويصلون صلاة الجمعة يوم الخميس ويقفون كلهم عن يمين الإمام، ويضحون في اليوم الحادي عشر من المحرم وهي عندهم فرض، ويغسلون في الوضوء جميع أيديهم إلى الآباط وأرجلهم إلى الأوراك ورؤوسهم كلها وخواصرهم، ويحرّمون الديك والدجاجة وبيضها إلا عند الضرورة، ويقتلون السارق وينفون الكاذب ويحرّمون بنات العم الأدنى، وينكحون نساءهم من المسلمين، ويحرّمون نكاح الأسود

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٩)، إبكار الأفكار (٥/ ٥٤)، شرح المواقف (٢٤، ٢٥)، التبصير في الدين (١٢٥).

(٢) انظر ترجمته في: الأعلام (٣/ ١٣٥).

(٣) انظر: الفصل لابن حزم (٤/ ١٨٠)، وعن رئيسهم انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ١٩٢).

من البيضاء ونكاح الأبيض من السوداء، ولا يقتلون القاتل إلاّ إن لم يجدوا الدية فحينئذٍ يقتلونه، ولا يأكلون تيساً من الحيوان ولا يأكلون السمك إلا أن يدركوه حياً. وينتظر من رجعة صالح بن طريف. ولهم قرآن عمله لهم صالح بن طريف بالبربرية، حكى ذلك أبو محمد في كتابه، وهم سكان على البحر المظلم المحيط، ولهم بلاد كثيرة وملك عظيم، وقد قاتلوا المسلمين وقتلوا منهم ما لا يحصيهم إلاّ الله تعالى منذ سنة سبع ومائة إلى سنة أربعمائة فانتبذ رجل يسمى يحيى الصوري كان سيرته حسنة فجاهدهم إلى أن مات ولم يزل الجهاد إلى أن انقطعت مادتهم.

وقيل: إن بلادهم كانت مسافة عشرين يوماً طولاً في أربعة أيام عرضاً.

ومنهم عبادة، قبيلة من البربر، وكانوا يقولون بنبوّة رجل اسمه حاميم بن من الله بن جرير بن عمير، وكانت له صلاتان لا غير، قد فرضها عليهم، واحدة عند طلوع الشمس وواحدة عند غروبها في الوقتين المكروهة الصلاة فيهما. وفرض عليهم صيام يوم الاثنين ويوم الخميس، وأحلّ لهم إفطار سبعة وعشرين يوماً من شهر رمضان، وفرض صيام الثلاثة أيام الأخيرة منه ويوم الفطر.

ولهم شنعة عظيمة وذلك أنهم إذا رأوا في بلادهم رجلاً مليحاً استفحلوه لنسائهم وإذا رأوا رجلاً قبيح الصورة أخرجوه من بينهم. ومتى تزوج رجل منهم امرأة بكراً كانت أو ثيباً من ملوكهم أو سفلتهم فلا بدّ أن يسلموها إلى شبان القرية ويسمونه الصفورة يفسقون بها شهرين ثم يردونها إلى زوجها فحينئذٍ يكون يوم الوليمة، ويدخل بها.

ويحكى أنه رام بعض عظمائهم ممن دخل أم الأندلس، قرية من المغرب، وخدم ملوكها أن يقطع هذه العادة ولو من نفسه في امرأته فلم يقدر، فلا وفقهم الله تعالى، بئس الشرع شرّعوه لأنفسهم.

١٧ ـ وأما القرمطية[1]، فهم أصحاب أبي سعيد بن بهرام الحنابي القائم بالبحرين، صاحب مذهب القرامطة الذين بالإحساء.

وكانوا يقولون بنبوّة عبد الله بن الحارث الكندي ويعبدونه وعبادتهم له تدل على أنهم اعتقدوه بعد النبوة إلٰهاً، وفرض عليهم سبع عشرة صلاة لنفسه في اليوم والليلة في كل صلاة خمس عشرة ركعة، وكان يقول بالتناسخ، ثم خرج من هذا المذهب ودخل في مذهب الصفرية من الخوارج التي تقدم ذكرهم، وتبرّأ مما كان عليه فحينئذٍ تبرّأ منه

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان (٣٩٥).

أصحابه ورجعوا كلهم إلى القول بإمامة عبد الله بن معونة بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقالوا: إنه حي لم يمت. ومنهم من يقول بنبوة نبي بعد رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول إن علياً عليه السلام والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي بن الحنفية وجعفر بن محمد أنبياء كلهم. وكان المختار بن أبي عبيد منهم، وقد ادعى النبوّة لنفسه، فالحذر من أهل البدع.

١٨ ـ **وأما الإسماعيلية**(١)، فهم المنسوبون إلى محمد بن إسماعيل عليه السلام، وليسوا على دينه، بل قالوا: إنه الذي إليه كتم السر الباطن عندهم الذي أنزل الله على رسول الله ﷺ وأمره بكتمه من الناس إلاَّ عن وصيه وخليفته علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، قالوا: لأنه سبحانه أمره أن يختار من أمته أفضلهم ويعلّمه شطر ما اطلع عليه من أنوار ذلك العلم فاختار علياً رضي الله عنه فأخبره بذلك واستكتمه أن لا يخرج منه ذلك إلاَّ إلى من يخلفه من الأئمة المعصومين من ذريته حتى انتهى ذلك إلى محمد بن إسماعيل. قالوا: لأن إيجاب التأويل وستر وجوه الحق سنّة الله في تركيب الخلق واللبّ مستور بالقشر. فاللفظ عندهم قشر والتأويل لب ولا يصل إلى اللب إلاَّ الخواص دون العوام بعد الأخذ على الخواص بالعهود والمواثيق والإيمان وترددهم إلى أبواب الدعاة والمأذونين وخزنة هذا العلم يحرسونه من العوام، وهذا منهم محال واضح وإفك عظيم ولو كان في ذلك كما زعموا لما شاع ذلك في الناس، ونسخ منهم التصانيف غير ما ذكروا من أهل مذهبهم وعلم ذلك المسلمون منهم وكفروهم لاعتقادهم لذلك، بعد أن علموه منهم. وقد نطق القرآن ببطلان ما ذهبوا إليه وكذّبهم الله تعالى بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: الآية ٦٧] فلو كتم شيئاً مما أنزل عليه لم يكن مبلغاً لذلك، وهذا عام لا يختص بتبليغ من ذكروا وحده. وبدليل قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨].

قال أبو محمد: ولأهل هذا المذهب في بدء كلامهم لطف عظيم توحيد وكلام معقول لا تنفر عنه القلوب حتى إنهم إذا سمعوا من يطعن في مقالتهم هذه تغافلوا عنه وقالوا: من يقول بهذا نعوذ بالله من القول به. وذلك لئلا ينفر عنهم المسلمون وهم

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٩١)، الفرق بين الفرق للبغدادي (٨١)، التبصير في الدين للإسفراييني (٢٣)، فضائح الباطنية للإمام الغزالي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٦٥)، شرح المواقف للجرجاني (٣٣)، تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة (١/ ٥٩) وما بعدها.

أكثر الفرق تشكيكاً وتلبيساً واستدراجاً لمن أحسّوا منه جهلاً وقلّة معرفة في أمر الدين لكنهم لا يعالجونه بشيء ينفر عنه قلبه أولاً، بل يأتون كل أحد من حيث هو وإن كان يميل إلى الزهد حسّنوا له ذلك وذموا له الدنيا وبكوا على ذنوبهم السالفة. وإن كان منهمكاً في حب الدنيا حسّنوا له ذلك وهوّنوا عليه من الآخرة وأوعدوه أن ما تمّ شيء إلاّ ما هو عليه إلى أن يطمئن إليهم ويصغي إلى قولهم ويستحسنه ويدخل في قلبه صدقهم ونصيحتهم فحينئذٍ ينخدع لهم ويميل إلى ما هم عليه بعد أن يأخذوا عليه العهود والمواثيق على ما يريدون.

قال أبو محمد: ثم إنهم يرسمون لمذهبهم رسوماً وأعواداً، يوافقون بينها قد اصطلحوا عليها إذا سمعها الجاهل منهم اعتقدوا أن تحتها فائدة فيجتهد في مباحثهم عنها ليقع على عود ذلك فيقع في أشراكهم التي نصَبوها وتلابيسهم التي قصدوها.

وقال أبو محمد صاحب كتاب[1] «الفرق»: ولهم كتب صنفوها ومخاريف ألفوها تؤدي إلى تعطيل الشريعة وسقوط التكاليف، أذكر بعضها لئلاّ يغترّ بها من وقف عليها من جهّال المسلمين أو يعتقد صحتها، وأنها موافقة للحق ويظن أنها من تصانيف المسلمين أهل السنّة والجماعة فيحملها على الصحة ويعمل بها ويعلم منها جاهلاً مثلها. فإذا عرف أسماءها تجنّبها ورفضها وعلم بطلانها وأنها أكاذيب مؤلفة وأباطيل مزخرفة جعلوها شركاً للجاهل وحديثاً للضلال. قال: وهي كتاب الافتخار وكتاب الجفر وكتاب المسألة وكتاب المؤبدة وكتاب رسائل إخوان الصفا وكتاب المماثلة والمحاضرة وكتاب تأويل الشريعة وكتاب تأويل القرآن وكتاب الاسترشاد وكتاب تأويل النحو وكتاب الازدواج وكتاب شجرة الدين وكتاب الحضر وكتاب اللذة وكتاب المقاليد وكتاب البرهان وكتاب الرسالة الدريّة وكتاب البشارة وكتاب الرسالة الملقبة بالروضة وكتاب الرسالة الملقبة بالنظم وكتاب الهداية وكتاب كشف الكشف وكتاب السر وكتاب الدعائم، وغير ذلك مما يكثر تعداده.

ثم إنهم يسمون كلمة (كن) الأمر، ويفرعون في ذلك ضلالات كثيرة، ثم إنهم عمدوا إلى كتاب الله تعالى وسنّة نبيه ﷺ فقالوا: ليس فيهما ناسِخ ولا منسوخ، بل جميع ذلك مستعمل ليجعلوا ألفاظهما وأحكامهما متناقضة فيجعلون ذلك سبباً للطعن فيهما والتعطيل لأحكامهما فيلبسون بذلك على الجهال.

وقالوا: بواطن هذه الألفاظ والأحكام أتي فيها بخلاف ظاهرها على ما أسسته الباطنية واصطلحت عليه وشرّعته لنفسها. فمن ذلك الماء الجاري الذي ثبت له هذا

(١) مؤلف كتاب الفرق بين الفرق.

الاسم في عرف الشرع واللغة، أنكروا أن يكون هو الماء الذي يتوضأ به ويغتسل به، بل الماء عندهم: علم الحقيقة ببواطن الأشياء ومنها أسماء العبادات الشرعية كالزكاة والصلاة وسائر الواجبات نقلوها إلى أشياء أخر اصطلحوا عليها فقالوا: الصلاة ولاية الأولياء الذين يجب على الخلق طاعتهم. والزكاة: العلم. وهو قول أبي يعقوب ـ داع من دعاتهم ـ. والصيام: عندهم، الإمساك عن كشف ما اعتقدوه. والحج: أفراد وقِرانٌ لا سواء، فالإفراد عندهم: الرجل الذي لا يظهر أمر الأساس والأساس عندهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه والقِران هو الداعي إلى مذهبهم والدخول في طاعة الأئمة منهم.

ثم إنهم أنكروا القيامة والحشر والبعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار التي أخبر الله عز وجل ورسوله عنها واعتقده أهل السنة والجماعة ورؤته الصحابة ونقلته العلماء فحملوا ذلك على أشياء اصطلحوا عليها تلبيساً منهم على المسلمين وجحوداً لما نزل به القرآن ووردت به السنة.

فقالوا: القيامة: حدوث شر وحاصل بقيام أشرفهم وأفضلهم في زمان مسعود وليس هي نشر الموتى ولا يقوم الباري سبحانه وتعالى لمحاسبة الزنوج والعلوج والأنباط وغيرهم.

وقالوا: البعث: هو الانتباه من نومة الغفلة واليقظة من رقدة الجهالة والخلاص من أسر الطبيعة والنجاة من بحر الهيولا وهو عندهم جوهر لا صورة ترجعها إلى عالمها الروحاني وعنصرها وجوهرها النوراني الذي هو أصلها.

وقالوا: الميزان هو ميزان الحِكمة، والصراط المستقيم هو الجواز على الأفلاك السبعة التي هي عندهم النار وفيها يعاقبون وفيها أرواح الكفار إلى الفلك الثامن الذي هو الجنة عندهم وفيها أرواح المؤمنين وبذلك يثابون ويُخلدون في ذلك أبد الآبدين وذلك لمن مات منهم قبل ظهور الظاهر وهو صاحب الدور والقيامة عندهم الذي قدمت ذكرها في فصل الإمامية. فأما من كان منهم حياً وقت ظهوره فإنه يستقبل به ديناً جديداً ودوراً جديداً ويأتي بشريعة جديدة. فكذّبوا في ذلك كله، فلا وفّقهم الله تعالى فما أجمعهم للأقاويل وأحفظهم للأباطيل.

١٩ ـ **وأما السبائية**(١)، فهم أصحاب عبد الله بن سبأ بن السوداء، كان يهودياً

---

(١) ويقال لها: السبابية. انظر في شأنهم: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٥)، الفرق بين الفرق (٢٣٣)، الملل والنحل (١/ ١٧٤)، شرح المواقف (٤١٩)، الفصل (٥/ ٣٦)، التبصير في الدين (١٢٣)، الخطط (٢/ ٣٥٢).

من أهل صنعاء ثم أسلم لا رغبة في الإسلام ولكن ليغرّ المسلمين بإسلامه فيفسد أمورهم ويغري بينهم إلى أن حمل أهل مصر والشام على الاجتماع على قتل عثمان رضي الله عنه، وقصته مشهورة.

وكان هو وفرقته يقولون بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت، وهو أول من قال بذلك وأبطل الآخرة وهو كاعتقاد الرافضة، نعوذ بالله من اعتقاد أهل البدع.

فصل: العقائد الأخرى

١ ـ **البراهمة**[1]: قد ذكرت من فرق هذه الأمة ما تقدم ذكره وشرحنا بعض اعتقادهم ليستدل بفساد البعض على الكل، وأنا الآن أذكر بعض اعتقاد ضلال الأمم السالفة فمن ذلك البراهمة.

وسمّوا براهمة لإقرارهم بالله تعالى وتكذيبهم بالوسائط، وهم الرسل إلاّ إبراهيم عليه السلام فإنهم يقولون برسالته فسموا بذلك براهمة.

ويروى أن أهل الهند سبعة أصناف، منهم: الشاركية وهم أشرفهم وفيهم الملوك وأنهم يعبدون الأصنام ويسجدون لها وسائر المماليك يسجدون لهم.

والبراهمة الذين تقدم ذكرهم وهم لا يشربون الخمر ولا الأنبذة.

والسكرية: وهم يشربون من الخمر ثلاثة أقداح فقط ولا تزوجهم البراهمة ولا يتزوجون منهم وهم أصحاب الزراعة والفلاحة.

والعبسية، وهم أصحاب الصناعات.

والمولانية: وهم أصحاب الغناء والألحان وفي نسائهم جمال.

والدبيلية: وهم أصحاب اللعب وما شاكله. ويقال: إن مللهم اثنان وأربعون ملّة منهم من يحرِّم الخمر ويبيح الزنى، ومنهم من يثبت الخالق تعالى وينفي الرسل. ومنهم من ينفي الجميع ويدّعون السحر والرقي والتخاييل التي تتحير منها العقول، ويسقون من السم ويحلون ويعقدون ويدعون أنهم ينفعون ويضرون بالوهم والفكر، ويدعون صرف البرد وحبس المطر فإن كان ذلك منهم صحيحاً فلا يكون ذلك منهم إلاّ بإذن الله تعالى وإرادته وأسمائه.

٢ ـ **وأما الدهرية**، فإنهم ينفون الربوبية ويحيلون الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى، ويقولون: هذا مستحيل في العقول ويجعلون الطينة قديمة وينكرون الثواب

---

(١) انظر: التبصير في الدين (١٥٠).

والعقاب ولا يفرّقون بين الحلال والحرام، وينفون أن يكون في العالم دليل يدل على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق ويرون أن أبا نواس كان منهم ويضيفون النوازل بهم إلى الدهر فيسبونه. ومنه الحديث(١): «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» أي لا تسبوا الذي فعل بكم ذلك، فإن الذي فعل بكم ذلك هو الله تعالى.

٣ ـ وأما اليهود(٢)، فسمّوا يهوداً لميلهم. وهو رجوعهم من شيء إلى شيء.

والهود: الميل.

وقيل: لأنهم من ولد يهوذا بن يعقوب عليه السلام، وقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم من اعتقادهم ما دلّ على كفرهم من قولهم: عزير ابن الله، وقولهم هم والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: الآية ١٨] وغير ذلك مما نزل به القرآن.

ومع ذلك بدّلوا صفة النبي ﷺ التي وجدوها في التوراة حسداً منهم له وعناداً وبدّلوا أحكام التوراة فأحلُّوا الحرام وحرّموا الحلال وشرّعوا لأنفسهم شرعاً باطِلاً غير ما شرّع الله لهم فأحلوا نكاح بنات الأخوة وبنات الأخوات. ومن طلّق منهم زوجته أي طلاق كان استحلها بعقد نكاح جديد ما لم تتزوج غيره، فإن تزوجت غيره وطلقها الزوج الثاني أو مات عنها لم تحل للزوج الأول أبداً. ومن مات منهم عن امرأة وله أخ فإن كان له فيها ولد أو من غيرها لم يحل لأخيه أن يتزوجها أبداً. وإن لم يكن له منها ولد ولا من غيرها فإنها توقف عليه ولا يجوز لأحد منهم نكاحها قبل أن يُحلها منه. وذلك أن هذا الأخ يحضر عند عالمهم فيقول له: أترغب في نكاح هذه المرأة؟ فإن رغب فيها نكحها وإن كره ذلك خلعت منه نفسها. وصورة ذلك أن تأخذ نعله من رجله وترميه به وتتفل في الأرض، فإذا فعلت ذلك حرّمت عليه على التأبيد وحلّت لغيره.

ومما شرّعوه لأنفسهم خلاف ما شرّع الله تعالى لهم في التوراة فيما بينهم، أنّ من مات منهم وخلف أباً وأماً وزوجة فإنهم يجعلون المال كله للأب بعد صداق الزوجة ولا شيء للأم والزوجة من الميراث وذلك إن لم يكن للميت أولاد فإن خَلّفَ أولاداً كان المال كله لهم ولا شيء للأب والأم، فإن كان الأولاد ذكوراً وإناثاً فإنهم يفرضون للبنت الأولى عشر المال وللتي بعدها عشر ما بقي وعلى هذا إلى انقضائهن، وما بقي قسّم بين البنين بالسوية إلاّ أن يكون أحدهم بكراً لأبيه دون أمه فإن يكون له سهمان ولكل واحد من أخوته سهم، وغير ذلك مما بدّلوه من الأحكام.

---

(١) في مسلم (٤٥)، وأحمد في مسنده (٢/٢٣٨، ٢٥٩)، الموطأ (١٨٣).

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢/٤٩)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١١١).

٤ ـ **وأما السامرية**[١]، من اليهود، فهم أصحاب السامري، وكانوا في أرض فلسطين والأردن فصالحهم أبو عبيدة بن الجراح على جزية رقابهم وأطعمهم أرضهم. فلما ولي يزيد بن معاوية جعل على كل بالغ من رجالهم بفلسطين خمسة دنانير وعلى كل بالغ بالأردن ديناران، فلما ولي المتوكل شكى أهل فلسطين ضعفهم وثقل جزيتهم فجعل عليهم ثلاثة دنانير وأزاح عنهم دينارين وهم عبدة العجل وهو الذي عمله السامري من الحلي وهو حينئذٍ ليس فيه روح بل تدخل فيه الريح فيسمع له خوار كما أخبر تعالى عنهم وهم منسوبون إليه لأنه هو الذي أغواهم.

٥ ـ **وأما المجوس**[٢]، فكان بدء مذهبهم في زمان شريعة موسى عليه السلام. قاله الجوهري في صحاحه والمجوسية فعلة والمجوسي منسوب إليها.

واختلف فيهم: هل كان لهم كتاب أم لا؟ فمن العلماء من قال: لم يكن لهم كتاب، ومنهم من قال: لهم كتاب. قال في «البيان»: وهو الأصح.

فلما وقع ملكهم على ابنته أو أخته في حال سكره واطلع عليه أهل مملكته وأرادوا أن يقيموا عليه الحد فامتنع ورفع الكتاب من بين أظهرهم وذهب العلم من صدورهم، وهم الذين تابعوه على دينه وأما الذين خالفوه فقتلهم. ويروى أن كسرى نكح ابنته وكينوس وهو ملك الفرس، وهو مجوسي، فلما مات أيام عرسه على ابنته قال الشاعر:

يا ليت شعري عندك جينوس إذْ أتاها الخبر المرموس
أتحلق القرون أم تميس لا بل تميس أنها عروس

يقول: لا ندري هل تحلق ضفائر شعرها من الحزن على أبيها وزوجها أم تميس في ميسها لأنها عروس بأبيها؟ وهم يعبدون النار. قالوا: لأنها أعظم شيء في الدنيا، ويسجدون للشمس إذا طلعت وينكرون نبوّة آدم ونوح عليهما السلام. وقالوا: لم يرسل الله عز وجل إلاّ رسولاً واحداً لا ندري من هو؟ ويستحلّون نكاح الأمهات والبنات والأخوات وسائر المحرمات ويتطهرون بأبوال البقر تديناً.

٦ ـ **وأما النصارى**[٣]، فهم منسوبون إلى قرية بالأردن تسمى ناصرة لأنه كان بدء خروجهم منها.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٢١٨)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١١٤).
(٢) انظر: موسوعة الإسلام المختصرة (٢٩٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٣٢).
(٣) انظر: موسوعة الدين والأخلاق (٣/ ٥٧٤)، تفسير الرازي (٣/ ١٠٥)، تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي (٦/ ٥٨٦)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١١٥).

قال في كتاب «الأنفاس»: ويقال إلى قرية بالشام اسمها نصروية، وهم من قوم عيسى عليه السلام فهم من قال: «إن الآلهة ثلاثة»، ظهر منها اثنان هما مريم وعيسى عليهما السلام وخفي منهم واحد وهو الله تعالى.

ومنهم من قال: إن الله تعالى هو المسيح ابن مريم وهم اليعقوبية(١) أصحاب يعقوب، وليس هو يعقوب أبو يوسف عليهما الصلاة والسلام. وكذّبوا في كل ذلك، لعنهم الله، وهم متفرّقون على اثنتين وسبعين فرقة كما أخبر نبينا ﷺ. وقد قالوا في ابتداء أمرهم: كنا نؤمن بإله واحد «الله تعالى» خالف ما يرى وما لا يرى. ثم نقضوا ذلك فقالوا: المسيح خالق غير مخلوق. ثم نقضوا ذلك فقالوا: هو ابن الله. ثم نقضوا ذلك فقالوا: هو الله. وكانوا إذا كتبوا كتاباً كتبوا في أوله: بسم الأب والابن والروح القدس، وهم يعتقدون الصلبان. فهذا ما أجمعوا عليه، وأما ما اختلفوا فيه فكثير.

٧ ـ وأما الصابئون(٢)، فاسمهم مأخوذ من صبأ إذا خرج من شيء إلى شيء، ومن دين إلى دين.

فمن العلماء من يقول إنهم من النصارى وصبوا إلى المجوسية، ومنهم من قال إن كتابهم الزبور الذي أنزل على داود عليه السلام وهو مواعظ بلا أحكام، وقيل إنه أحكام، نزل بها جبريل عليه السلام على داود كالأحكام التي نزل بها على النبي ﷺ من غير القرآن.

ومنهم مانى(٣) أحد علمائهم يريدون كلامه، كان يقول: إن الله تعالى قديم عزيز لا يشبهه شيء. ثم نقض ذلك فقال: إن الكلمة قديمة وإن الله تعالى مقهور وإن حزبه مأسور. والصابئة يعتقدون أن الكواكب السبعة مدبرة كما يعتقد أصحاب النجوم. وأما الفلاسفة فهم أصحاب الطب والنجوم المتقولون في ذلك، فمنهم من قال: إن الله تعالى يظهر، ومنهم من قال: إنه لا يظهر بل هو علة لكل شيء والشيء معلول. وهذا القول يقرب من قول من يقول: إن الله تعالى ممازج لجميع الأشياء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومنهم من قال: هو طبيعة، ومنهم من قال: هو نور، ومنهم من قال: هو

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١١٧)، محاضرات في النصرانية (١٥٧).

(٢) انظر: الملل والنحل (٢/ ٥ ـ ٧٥)، التبصير في الدين (٦٧)، مروج الذهب (١/ ٢٢٣)، الاعتقادات للرازي (١٢٥)، الفهرست (٣٨٣)، الموسوعة المختصرة للإسلام (٤٧٧).

(٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٨١).

ظلمة، ومنهم من قال: هو نور وظلمة، والجميع خطأ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١]، والملجىء لهم إلى ذلك أنهم وضعوا مذهبهم على قوانين ومقدمات وفرّعوا أشياء لم يجدوا لها أصولاً، وأصلوا أشياء لم يجدوا لها فروعاً، فأفسدوا أكثر مما أصلحوا ولم يجدوا للباري جل جلاله اسم موجود فرجعوا في ذلك إلى الظن لينتظم لهم ما وضعوا من قوانينهم ولم يبالوا صح لهم التوحيد أم لم يصح، وأرادوا أن يحكّموا عقولهم في ذلك، والعقول مخلوقة، والمخلوق لا مجال له في إدراك معرفة الخالق. ولم يندبنا الله عز وجل إلى التفكير في تكييف ذاته وصفاته بل ندبنا إلى التفكير في مخلوقاته بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم: الآية ٨] وذلك ليستدل بوجود الصنعة على صانعها وأنه خلق مخلوقات ودبّر تدبيرات بعزيز قدرته وبديع حكمته لا يقدر عليها أحد غيره. فالذي يجب على المكلف الإيمان بالله عز وجل والإقرار بوحدانيته وإجراء صفاته كما أنزل بها القرآن العظيم ووردت بها السنّة من غير تكييف ولا تمثيل، والله أعلم.

فصل

قد ذكرت من فرق هذه الأمة الاثنين وسبعين فرقة، وذكرت بعض عقائدها وما ذهبوا إليه من الضلالة وخرجوا به عن طريق الحق واستوجبوا به الهلاك بدليل الحديث النبوي الذي قدمته في صدر هذا الكتاب وذكر بعض ضلال الأمم السالفة وبعض ما اعتقدوه وأنا الآن أذكر الفرقة الثالثة والسبعين.

الفرقة الناجية: أهل السنّة والجماعة

وهي الفرقة الناجية[1] المختصة بالاستقامة والهداية وأهل السنّة والجماعة.

وقد سمّتها كل فرقة من فرق الضلال باسم غير موافق للحق حسداً منهم لها وافتراء عليها ونسبوها إلى غير ما تعتقده.

فسمتها القدرية: مجبرة، لقولها: إن أفعال العباد بقضاء الله وقدره وإرادته وخلقه.

وسمتها المرجئة: الشكاكية، لكون الواحد منهم إذا سُئل: أمؤمن أنت؟ قال: أنا مؤمن إن شاء الله.

وتسميها الرافضة: ناصبة، لقولها باختيار الإمام ونصبها له بالعقد.

وتسميها الجهمية: مشبهة، لقولها بإثبات الصفات لله تعالى من العلم والقدرة والحياة وغير ذلك من صفاته جل جلاله.

وتسميها الأشعرية: مجسمة، لقولها: إن الله عز وجل تكلم بالقرآن بحرف وصوت.

وتسميها الغالية: حشوية، لكثرة ولعها بالأخبار وكلام السلف الصالح.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢)، التبصير في الدين للإسفراييني.

وتسميها الباطنية: مسودة، لكونها السواد الأعظم الذي لا يجوز إجماعهم على الخطأ.

وتسميها المنصورية، وهم أصحاب عبد الله بن زيد: مرجئة، لقولها: إن تارك الصلاة إذا لم يكن جاحداً لوجوبها مسلم على الصحيح من المذهب. ويقولون: هذا يؤدي إلى أن الإيمان عندهم قول بلا عمل: وجميع ذلك غير صحيح في حقها بل هي الفرقة الهادية المهدية، واعتقادها هو الاعتقاد الصحيح والإيمان الصريح الذي نزل به القرآن ووردت به السُّنَّة وأجمع عليه علماء الأمة من أهل السنة والجماعة وهو: أن الله عز وجل واحد فرد صمد موجود قديم أزلي باق أول بلا بداية وآخر بلا نهاية لا شريك له ولا وزير ولا معين ولا ظهير، عالم قادر سميع بصير لا ولد له ولا والد ولا صاحبة، مريد بإرادته في ذاته، عالم بما كان وما هو كائن، متكلم بكلام مسموع مفهوم جامع للحرف والصوت، غني رازق قابض باسط ذو الأسماء الحسنى والصفات العلا لم يزل متصفاً بصفات ليست بأغيار له فتفارقه كما قالت الكرامية، ولا ذاته متماثلة كما قالت النصارى، والهيولية ليس بجسم مركب فيكون محدثاً كما قالت المجسمة، يوصف بما وصف به نفسه ووصفه رسوله ﷺ من غير تمثيل ولا تكييف على العرش استوى بلا كيف، مباين لجميع خلقه ليس بممازج لهم ولا مختلط بهم، كما قالت الجهمية وبعض الصوفية ولا حال في جميع الأمكنة، كما قالت الحلولية بل علمه محيط بالأشياء ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصَص: الآية ٨٨] نفذت مشيئته وسبق الأشياء علمه، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، خالق المخلوقات وصانع المصنوعات، لا خروج للخلق عما علمه وقدره.

إيمان العباد وطاعتهم له بهدايته وتوفيقه وتركهم للسيئات بعصمته وكفرهم ومعصيتهم بتقديره ومشيئته لا يملك العباد لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. يخلق ويرزق ويعطي ويمنع ويعز ويذل ويخفض ويرفع لا تكيّف ذاته ولا تُشبه صفاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١] يراه في الآخرة عباده الأبرار ويحجب عن رؤيته الكفار، ويعتقدون أن الموت حق وأن عذاب القبر حق، والنعيم حق وأن منكراً ونكيراً حق، وأن البعث حق، وأن الحوض حق، وأن الحساب حق، وأن الصراط حق والميزان حق، وأن الوقوف بين يدي الله حق، وشفاعة النبي ﷺ لمذنبي أمته حق يرجون لمحسنهم ويخافون على مسيئهم لا يكفرون بكبيرة بل يكلون الأمر إلى الله تعالى إن عاقب فبعدله، وإن غفر فبفضله، سامعون مطيعون لمن وُلّيَ عليهم من أئمة المسلمين غير خارجين عليهم محبون لأصحاب رسول الله ﷺ، يقدّمون في الخلافة أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم

أجمعين على ما ورد به الأمر وسبق به القدر، مصدقون بخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم والمعراج، ونزول الآيات وكرامات الأولياء، يعتقدون أن الدعاء والصدقة نافعان عند الله تعالى بإذنه ملازمون لأحكام الكتاب والسنة، متّبعون السلف الصالح غير مبتدعين، معتقدون وجوب ما فرض عليهم من العبادات مؤدون لذلك على الوجه الذي فرض عليهم، محللون لما أحلّ الله ورسوله، محرمون لما حرّم الله ورسوله، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لا يزالون على الحق ظاهرين، معتقدين بأن القرآن الكريم محفوظ في الصدور، متلو بالألسنة، مكتوب في المصاحف، غير متغير، ولا مخلوق ولا منقوص، يحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويتبعون أحكامه، وأنه كلام قديم أزلي، أنزله على نبيه ﷺ له أول وآخر، وسور وآيات، أنزله باللغة العربية وهو كلام الله تعالى حقيقة لا مجازاً، ويعتقدون أن كل معبود سوى الله تعالى باطل، وأن كل نعيم سوى نعيم الجنة زائل، وأن الله عز وجل يضل من يشاء ويهدي من يشاء بتوفيقه وإرشاده، أراد من خلقه ما هم عاملوه ولو شاء منهم الطاعة لأطاعوه ولو عصمهم ما عصوه ولا خالفوه. أحاط علماً بما يعملون ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٣]، وإن الآجال محتومة والأعمال معلومة والأرزاق مقسومة لا يقطعها قاطع ولا يمنعها مانع ولا يردها دافع، يتيقنون أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، راضون بما أصابهم من خير أو شر لا يتطيرون ولا يتنجمون ولا يتكهنون وعلى ربهم يتوكلون.

فصل: الصوفية

قد ذكرت هذه الفرقة الهادية المهدية وأنها على طريقة متبعة لهذه الشريعة النبوية، مقلدة لهم في أحكام عبادتها وأنكحتها ومعاملتها من وجوب الواجبات وحظر المحظورات وجواز الجائزات وإباحة المباحات وغير ذلك مما هو داخل تحت الشريعة المطهرة لم يشذ أحد منهم عن ذلك سوى فرقة واحدة تسمى: بالصوفية، يعتزون إلى أهل السنّة وليسوا منهم، قد خالفوهم في الاعتقاد والأفعال والأقوال.

أما الاعتقاد فسلكوا مسلكاً للباطنية الذين قالوا: إن للقرآن ظاهراً وباطناً، فالظاهر ما عليه حملة الشريعة النبوية، والباطن ما يعتقدونه وهو ما قدمت بعض من ذكره.

فكذلك أيضاً فرقة الصوفية قالت: إن للقرآن والسنة حقائق خفية باطنية غير ما عليه علماء الشريعة من الأحكام الظاهرة، التي نقلوها خلفاً عن سلف، متصلاً بالنبي ﷺ بالأسانيد الصحيحة والنقلة الثقات وتلقته الأمة بالقبول وأجمع عليه السواد الأعظم، ويعتقدون أن الله عز وجل حال فيهم، وممازج لهم وهو مذهب الحسين بن منصور الحلاج المصلوب ببغداد، وفي أيام المقتدر الذي قدمت ذكره في الروافض في فصل فرقة الخطابية. ولهذا قال: أنا الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأما ما هجس في نفوسهم وتكلموا به في تفسير قرآن أو حديث نبوي أو غير ذلك مما شرعوه لأنفسهم واصطلحوا عليه أنه منسوب إلى الله تعالى وأنه الحق، وإن خالف ما عليه جمهور العلماء وأئمة الشريعة، وفسرته علماء الصحابة وثقاتهم بناء على الأصل الذي أصلوه من الحلول والممازجة، ويدعون أنهم قد ارتفعت درجتهم عن التعبدات اللازمة للعامة، وانكشفت لهم حجب الملكوت، واطلعوا على أسرارهم وصارت عبادتهم بالقلب لا بالجوارح.

قالوا: لأن عمل العامة بالجوارح سلم ومرقاة إلى علم الحقائق إذ هو المقصود على الحقيقة وهي البواطن الخفية عندهم لا عمل بالجوارح.

قالوا: ونحن قد وصلنا واتصلنا واطلعنا على الحقائق الذي جعلته العامة وحملة الشرع.

وطعنوا حينئذ في الفقهاء والأئمة والعلماء وأبطلوا ما هم عليه من أحكام الشريعة المطهرة وحقروهم وصغروهم عند العوام والجهال. وقالوا: نحن العلماء بعلم الحقيقة الخواص الذين على الحق، والفقهاء هم العامة لأنهم لم يطلعوا على علم الحقيقة. وأعوذ بالله من الضلالة، فلما أبطلوا علم الشريعة وأبطلوا أحكامها أباحوا المحظورات وخرجوا عن إلزام الواجبات وأباحوا النظرة للمرأة الأجنبية في الخلوة وإلى المردان، والتلذذ بسماع أصوات النساء والصبيان، وسماع المزامير والدفوف والرقص والتصفيق في الشوارع والأسواق بقوة العزمة وترك الحشمة وجعلوا ذلك عبادة يتدينون بها ويجتمعون لها ويؤثرونها على الصلاة ويعتقدونها أفضل العبادات ويحضرون لذلك المغاني من النساء والصبيان وغيرهم من أهل الأصوات الحسنة للغناء بالشبابات والطالب والصغة والدفوف المجلجلة وسائر آلات اللهو المطربة وأبيات الشعر الغزلية التي يوصف بها محاسن النساء ويذكر فيها من تقدم من النساء التي كانت الشعراء تهواها وتتشبب بها في أشعارها وتصف محاسنها كليلى ولبنى وهند وسعاد وزينب وغيرهن.

ويقولون: نحن نكنى بذلك عن الله عز وجل ونصرف المعنى إليه.

وقد ذكر الفقيه موسى بن أحمد ذلك في الرسالة التي رد بها عليهم وبيَّن فيها فساد مذهبهم، فقال في بيت شعر أنشده فيهم:

يكنون عن رب السماء بزينب ... وليلى ولبنى والخيال الذي يسري

ويختلط الرجال والنساء، ويتصافحون، وإذا حصل فيهم الطرب وقت السماع من الأصوات الشجية والآلات المطربة اضطربوا وصرخوا وقاموا وقفزوا وداروا في الحلقة، فإذا دارت رؤوسهم واختلطت عقولهم من شدة الضرب وكثرة القفز والدوران وقعوا على الأرض مغشياً عليهم، فيسمون ذلك الوجدان، أي أن ذلك من شدة ما يجدون من المحبة والشوق.

وقالوا: فأما الخوف والرجاء فإنا لا نخاف النار ولا نرجوا دخول الجنة لأنهما ليستا شيئاً عندنا فلا نعبده خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة. وهذا يخالف الكتاب والسنة والإجماع ومجوزات العقول.

ثم إنهم يحملون الأشياء كلها على الإباحة فيقولون: كل ما وقع في الدنيا من حلال وحرام فهو حلال لنا. ولا يبالون هل أكلوا من حل أو حرام.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن علي القلعي في كتاب «أحكام العصاة»: وهذان الصنفان من الكفر والضلال أشد وأضر على الإسلام وأهله من غيرهما وجميعهم ممن يساق إلى النار من غير مسألة ولا محاسبة ولا خلوص لهم منها أبد الآبدين ـ يعني هذه

الفرقة التي ذكرتها من الصوفية وفرقة من الإسماعيلية والباطنية ـ وهم قوم منهم يدعون أنهم قد اطلعوا على أسرار التكليف وأحاطوا علماً بموجبه، وأنه إنما شرع ذلك للعامة ليرتدعوا من الأهواء المؤدية إلى سفك الدماء ويتحفظ بذلك نظام الدنيا. وذلك من المصالح العظيمة التي لم يطلع عليها إلا الأنبياء ومن قام مقامهم في السياسة.

قالوا: ولهذا اختلفت الشرائع لاختلاف مصالح الناس واختلاف الأزمنة فشرع في كل وقت ما فيه المصلحة لأهله.

قالوا: وفي كمال حكمتنا وبقوة رأينا ووافر أحلامنا ما سيغني عن التزام سياسة غيرنا. والانتظام في سلك المبايعة لغيرنا ولا حظر علينا ولا واجب.

وإذا سئلوا: لأي شيء تصومون وتصلون وتأتون بما تأتي به المسلمون من الواجبات؟ قالوا: لرياضة الجسد وعادة البلد وصيانة المال والولد لأن هذين الصنفين متفقان في أصل الاعتقاد وإن اختلفا في التأويل إلاَّ من عصمه الله تعالى منهم ـ أعني من الفرقة الصوفية ـ والتزم أحكام الشريعة وعمل بها وعرف حق العلماء والفقهاء ولم يدخل في شيء من هذه الخزعبلات والأباطيل التي دخلوا فيها وصح اعتقاده وصفت سريرته فإنه مبرأ مما هم عليه.

فأسأل الله العصمة والتوفيق وأن يهدينا إلى ما يحبه ويرضاه ويجنبنا الأهواء والبدع وجميع الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يحبب إلينا الإيمان ويكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، إنه بالإجابة جدير وبعباده لطيف خبير وعلى كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين

المخالفة للسنة والمبتدعين

للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي

المتوفى سنة ٧٦٨ هـ

ترجمة مختصرة للمؤلف

هو الشيخ العلامة الرباني عبد بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي اليمني المكي الشافعي.

ولد قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث.

كان من أهل الطريق، على نهج شيخه أبي الحسن الشاذلي. وصنّف مصنفات نافعة منها:

١ ـ الإرشاد والتعزير في فضل ذكر الله العزيز.

٢ ـ الدر النظيم.

٣ ـ الأحاديث النبوية في (الترغيب والترهيب) ط التوفيقية ـ القاهرة.

٤ ـ روض الرياحين في أخبار الصالحين.

٥ ـ وذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين ـ وهو كتابنا هذا.

٦ ـ مرآة الجنان في أعيان الزمان.

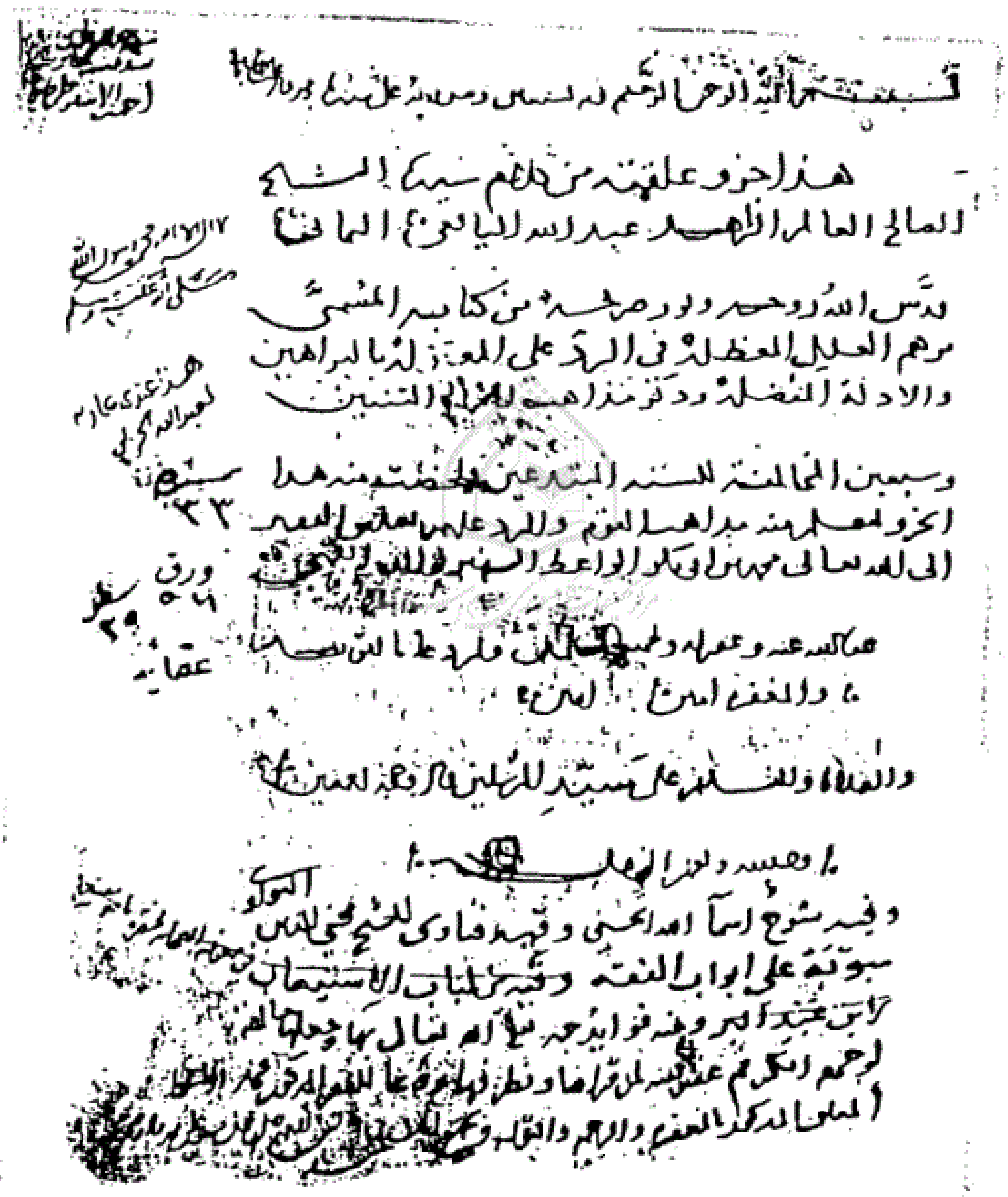
وتوفي رحمه الله سنة ٧٦٨هـ بمكة المكرمة.

وانظر: الطبقات الكبرى للشافعية لابن السبكي (٦/ ١٠٣)، وشذرات الذهب (٦/ ٢١٠)، والبدر الطالع (١/ ٢٥٥)، والأعلام (٤/ ١٩٨)، ومعجم المؤلفين (٦/ ٣٤).



بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
قال المؤلف رحمه الله ذكر أسماء الفرق الاثنين والسبعين المتشعبة
من الفرق الأربع الجامعة للمبتدعين المخالفين للفرقة الناجية أهل
السنة والجماعة المتبعين آثار النبي في الحديث المروي عنه صلى الله عليه
وسلم أن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة وأن هذه الأمة
ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية وهي المتبعة لما كان
عليه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ثم المتبعين لما كان صلى الله عليه وسلم عليه
هو وأصحابه هم أهل السنة والجماعة وهذا الذي قال فيه لا تزال طائفة
من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة الحديث الصحيح وفي الرواية
الأخرى حتى يأتي أمر الله قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله
عنه إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أعرف من هم وفي قوله هذا قال
الإمام أبو الفضل عياض رضي الله عنه إنما أراد أحمد أهل السنة
والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث انتهى قلت لأن أهل
السنة هم العاملون بالحديث والعاملون بمجرد العقل والنقل معروف
وأهل البدع لا يعملون بالحديث ولا عاملون بل بمحض الرأي والهوى يعرفون
وقال الإمام أبو عبد الله البخاري هم أهل العلم قلت وهذا أيضا
موافق للمعنى للقول الأول لأن مادة العلم علم الكتاب والسنة
قال الإمام محيي الدين النووي رضي الله عنه وفي هذا الحديث معجزة
ظاهرة فإن هذا الوصف بحمد الله تعالى ما زال من زمن النبي صلى الله عليه وسلم
إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث قال وفيه دليل
لكون الإجماع حجة وهو أصح ما يستدل به من الحديث وأما حديث لا تجتمع
أمتي على ضلالة فضعيف قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم حتى يأتي أمر الله
أي الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة والمراد بقيام الساعة
قرب قيامها وهو خروج الريح المذكورة انتهى قلت الريح الطيبة المذكورة
في الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم ثم يبعث الله ريحا طيبة فتتوفى كل

صورة الصفحة الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الجزء علقته من كلام سيدنا الشيخ الصالح العالم الزاهد عبد الله اليافعي اليمني قدس الله روحه ونور ضريحه من كتابه المسمى مرهم العلل المعضلة في الرد على المعتزلة بالبراهين والأدلة المفضلة وذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة المبتدعين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

صورة الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهم صلِّ على سيّدنا محمد وآله وحمّد وسلِّم

قال المؤلف رحمه الله:

ذكر أسماء الفرق الاثنتين والسبعين المتشعبة من الفرق الأربع الجامعة للمبتدعين المخالفين للفرقة الناجية أهل السنّة والجماعة، المتبعين، المشار إليهم في الحديث المروي عنه ﷺ: «أن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية»[١]، وهي المتبعة لما كان عليه ﷺ هو وأصحابه، ثم المتبعين لما كان ﷺ عليه هو وأصحابه هم أهل السنة والجماعة، وهم الذين قال فيهم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» الحديث الصحيح وفي الرواية الأخرى: «حتى يأتي أمر الله»[٢].

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أعرف منهم».

وفي قوله هذا قال الإمام أبو الفضل[٣] عياض رضي الله عنه: «إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»[٤] انتهى.

قلت: لأن أهل السنّة هم القائلون بالحديث والعاملون به، من العقل والنقل جامعون، وأهل البدع لا به عالمون ولا عاملون، بل لمحض الرأي والهوى متبعون، وقال الإمام أبو عبد الله البخاري[٥]: هم أهل العلم.

---

(١) أبي داود (٤/ ١٩٨)، أحمد (٣/ ١٢).

(٢) البخاري (٣/ ١٣٣١)، مسلم (٣/ ١٥٢٣)، أبي داود (٤/ ٩٧ـ ٩٨).

(٣) انظر ترجمته في: الأعلام (٥/ ٢٨٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٧).

(٥) المرجع السابق (١٣/ ٦٦).

قلت: وهذا أيضاً موافق في المعنى للقول الأول، لأن مراده بالعلم علم الكتاب والسنّة.

قال الإمام محيي الدين النووي[١] رضي الله عنه: وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فإن هذا الوصف بحمد الله تعالى ما زال من زمن النبي ﷺ إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث، قال: وفيه دليل لكون الإجماع حجة وهو أصح ما يستدل به من الحديث، وأما حديث: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» فضعيف[٢].

قال: ومعنى قوله ﷺ: «حتى يأتي أمر الله» أي الريح التي تأتي وتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة. والمراد «بقيام الساعة» قرب قيامها وهو خروج الريح المذكورة. انتهى.

قلت: الريح الطيبة المذكورة في الحديث الصحيح في قوله ﷺ: «ثم يبعث الله ريحاً طيبة يتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»[٣].

وها أنا أشرع فيما وعدت من ذكر أسماء الفرق، ثم أذكر سائر أقوالهم المخالفة لأهل الحق على وجه الإيجاز إن شاء الله تعالى والاختصار دون البسط والاستيعاب.

قال أئمتنا: جميع الفرق المبتدعة ترجع إلى أصناف أربع: الخوارج والمرجئة والمعتزلة والشيعة، وكل صنف منها افترق ثماني عشرة فرقة، غير الشواذ، ومجموع ذلك اثنان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون هي فرقة أهل السنّة والجماعة كما تقدم.

فأما الخوارج: هم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه لما حكّم الحكمين، وقالوا لا حكم إلا لله.

وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[٤] الحديث الصحيح.

ويقال لهم أيضاً: «الشكاكية»، لأنهم قالوا لعلي: شككت في دينك، وحكمت عدوّك في نفسك.

ويقال لهم أيضاً: «الحرورية» بحاء مهملة وبراء مكررة، ثم ياء النسبة إلى حروري، أرض نزولها عن علي.

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٦٧).
(٢) مسند أحمد (٦/ ٣٩٦).
(٣) مسلم (١/ ١٩٠١)، ابن ماجه (٢/ ٥١٢).
(٤) البخاري (٣/ ١٣٢١)، أبي داود (٤/ ٢٤٣).

ويقال لهم أيضاً: «الشُّراة»[١] لأنهم قالوا: إنا شرينا أنفسنا من الله.

فلما استقروا في حروراء وهم في ستة آلاف، وقيل: ثمانية آلاف مقاتل، مضى إليهم علي بنفسه وخطبهم متكياً على قوسه وقال: هذا يوم من فلح فيه ـ يعني من ظهرت فيه حجته ـ فلح يوم القيامة، أنشدكم الله هل تعلمون أن أحداً كان أكره مني للحكومة، قالوا: اللهم نعم، قال: فهل علمتم أنكم أكرهتموني عليها. قالوا: اللهم نعم، قال: فعلام خالفتموني ونابذتموني. قالوا: لأنّا أتينا ذنباً عظيماً فتبنا إلى الله تعالى منه فتب إلى الله تعالى أنت منه واستغفره نعد إليك.

قال علي: فإني أستغفر الله من كل ذنب، فرجعوا معه، فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم وتاب منه ورآه ضلالاً، فأتاه الأشعث بن قيس[٢] وقال له: يا أمير المؤمنين إن الناس قد تحدثوا أنك قد رأيت الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفراً وأنك قد رجعت وبدا لك فرجعت عنها، فخطب الناس وقال: من زعم أني قد رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فهو أضل منها، فلما سمعت الخوارج منه هذا خرجت من المسجد فقيل: إنهم خارجون. فقال: لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون، فوجه إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فلما أتاهم رحبوا به وأكرموه وقالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟ فقال: جئتكم من عند صاحب رسول الله وابن عمه وأعلمنا بربه وسنّة نبيه محمد ﷺ ومن عند المهاجرين والأنصار، قالوا: يا ابن عباس إنا أتينا ذنباً عظيماً حين حكمنا الرجال في دين الله تعالى فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا إليه، فقال لهم ابن عباس: أنشدكم الله إلا ما صدقتم أما علمتم أن الله تعالى أمر بتحكيم الرجال في أرنب يساوي ربع درهم يصاد في الحرم، فقال عز من قائل: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: الآية ٩٥].

وكذلك في شقاق رجل وامرأته بقوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: الآية ٣٥] الآية. قالوا: اللهم نعم، قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمسك عن الهدنة بينه وبين قريش في الحديبية قالوا: اللهم نعم. ولكن علياً محا نفسه عن الخلافة بالتحكيم، قال ابن عباس: ليس ذلك يزيلها عنده لأن رسول الله ﷺ محا اسم النبوة يوم الصحيفة[٣] فلم يزل ذلك عنه اسم النبوة، حيث قال لعلي: اكتب الشرط بيننا، بسم الله الرحمٰن الرحيم. هذا ما قاضى عليه محمد رسول

---

(١) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.

(٢) انظر: الأعلام (١/ ٣٣٣).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٣٠٨).

الله، فقال له المشركون: لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك ولما صددناك عن البيت، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فأمر علياً أن يمحاها فقال علي: والله لا أمحاها، فقال رسول الله ﷺ: أرني مكانها فأراه مكانها فمحاها، وكتب محمد بن عبد الله.

فلما سمع الخوارج من عبد الله بن عباس ذلك رجع منهم ألفان، وبقي أربعة آلاف أو ستة على الخلاف، فاجتمع رأيهم على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي(١) فبايعوه وخرج بهم إلى النهروان فتبعهم علي رضي الله عنه، فأوقع بهم، فقتل منهم ألفين وثمان مئة رجل، وفيهم ذو الثدية(٢) الذي ذكره رسول الله ﷺ علامة على الفرقة التي تمرق من الدين مروق السهم من الرمية، كما سيأتي ذكر ذلك بعد أن قال لهم علي: ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب(٣). قالوا: كلنا قتلناه وشرك في دمه، وذلك أنهم لما خرجوا إلى النهروان لقوا مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم وأطلقوا النصراني وأوصوا به خيراً، وقالوا: احفظوا وصية نبيكم ﷺ ثم لقوا بعده عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ وفي عنقه المصحف ومعه جاريته وهي حامل، فقالوا: إن هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك، فقال: أحيوا ما أحيا القرآن، وأميتوا ما أمات القرآن.

قلت: يعني أحيوا ما حكم القرآن بإحيائه وأميتوا ما حكم القرآن بإماتته.

فقالوا له: حدثنا عن أبيك.

قال لهم: نعم حدثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تكون فتنة بعدي يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، فكن عند الله المقتول ولا تكن عند الله القاتل»(٤).

قالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى خيراً، قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم، وفي عثمان قبل الحدث؟ فأثنى خيراً أيضاً، قالوا: فما تقول في الحكومة والتحكيم؟ قال: أقول إن علياً رضي الله عنه أعلم بالله منكم وأشد توقياً على دينه، قالوا: إنك لست تتبع الهدى فأخذوه وقرّبوه إلى شاطىء النهر فذبحوه فاندفق دمه على الماء يجري مستقيماً وقتلوا جاريته.

قلت: ومما جاء في الخوارج من الأحاديث الصحيحة ما رويناه في الصحيحين

---

(١) انظر: الأعلام (٤/ ٢٨٨).
(٢) انظر: صحيح مسلم (٢/ ٧٤٨).
(٣) انظر: أسد الغابة (٣/ ١٥٠).
(٤) انظر: سنن ابن ماجه (٢/ ٤٧٠).

من لفظ البخاري، عن علي رضي الله عنه قال[١]: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثاً، فوالله لئن أخر من السماء، أحب إليّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة».

وروينا في البخاري[٢] أيضاً عن أبي سعيد الخدري أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج في هذه الأمة ـ ولم يقل منها ـ قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية».

وروينا فيه أيضاً[٣] عن أبي سعيد الخدري أيضاً قال: بينا النبي ﷺ يقسم، جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: «ويحك، ومن يعدل إذا لم أعدل» قال عمر بن الخطاب: ائذن لي فأضرب عنقه، قال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» الحديث.

قال: «آيتهم رجل إحدى يديه، أو قال: ثدييه مثل ثدي المرأة، أو قال مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ، قال: فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: الآية ٥٨].

وروينا فيه[٤] أيضاً عن سهل بن حنيف قال: سمعت النبي ﷺ يقول وأهوى بيده قبل العراق: «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية».

قلت: فهذه الأحاديث الخمسة كلها رواها البخاري فيهم عن أربعة من الصحابة

(١) صحيح البخاري (٦/ ٢٥٤٠) رقم (٦٥٣٢).
(٢) البخاري (٦/ ٢٥٤٠) رقم (٦٥٣٢).
(٣) البخاري (٦/ ٢٥٤٠) رقم (٦٥٣٤).
(٤) البخاري (٦/ ٢٥٤١).

كما ترى، عن علي وابن عمر[١] وأبي سعيد وسهل بن حنيف.

قال البخاري[٢]: وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

(١) البخاري (٦/ ٢٥٤٠) رقم (٦٥٣٣).

(٢) البخاري (٦/ ٢٥٣٩).

بيان فرق الخوارج

اعلم أن كثيراً من العلماء صنفوا في الفرق المبتدعة تصانيف مشهورة مستقلة متسعة، اختصرت منها لمعة ليعتبر بهم المعتبر، ويحذر من اعتقادهم الغرّ.

فأما فرق الخوارج فهي: الأزارقة[١]، والأباضية[٢]، والصفرية[٣]، والبيهسية[٤]، والعجاردة[٥]، والفضيلية[٦]، والنجدات[٧]، والعونية، والمطيخية، والأخنسية[٨]، والشمراخية[٩]، والبكارية، والبكرية، والمعلومية[١٠]، واليزيدية[١١]، والعبدلية، والثعالبة، والصلتية[١٢]، فهذه فرقهم الثمانية عشرة غير الشاذة وكل فرقة منها منسوبة إلى شيخها ومصنف كتبها، وهذه الفرق اجتمعت على أشياء وانفرد بعضها عن بعض بأشياء.

فأما ما اجتمعوا عليه: فالقول بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان إلى وقت الحدث، وعلي إلى وقت التحكيم، قالوا: ومن أتى كبيرة مما أوعد الله عليها بالعذاب فهو كافر، ومن نظر إلى امرأة أجنبية أو قبّلها فهو مشرك لما تقدم.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٦٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٦١)، خطط المقريزي (٢/ ٣٥٤).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص (١٠٣)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرزاق ص (٦٤).

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص (٦٥)، خطط المقريزي (٢/ ٣٥٤).

(٤) انظر: الفرق للبغدادي ص (١٠٨)، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٩١).

(٥) انظر: الفرق للبغدادي ص (٩٣)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٧٢).

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٧).

(٧) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص (٥٥).

(٨) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (١/ ١٠١)، المقالات للأشعري (١/ ١٨٠).

(٩) انظر: خطط المقريزي (٢/ ٣٥٥).

(١٠) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص (٦٣).

(١١) انظر: خطط المقريزي (٢/ ٣٥٥).

(١٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٩).

قلت: وقد قدمت عن بعض أئمتنا النظار المحققين ما يخالف هذا من وجهين:

وممن نص عليه إمام الحرمين(١) رضي الله عنه:

أحدهما: أن جملة الذنوب عندهم كباير.

والثاني: أن الأباضية منهم ذهبوا إلى أن مرتكب الذنب وصفه بالكفر مأخوذ من كفران النعمة دون الكفران الذي هو الشرك.

وذهبت الأزارقة منهم إلى أن ذلك كفر شرك.

واتفقوا كلهم على أن من قارف ذنباً واحداً ولم يوفق للتوبة حبط عمله ومات مستوجباً للخلود في العذاب الأليم، وكل هذا تقدم.

قالوا: ومن زنا وهو بكر أو سرق ما يجب به القطع وأقيم عليه الحد استتيب فإن تاب وإلاّ قتل.

الفرقة الأولى: الأزارقة(٢)

انفردت بإباحة قتل الأطفال، والعجائز، والعميان، والعرجان، والمرضى، والزمنى.

وهم أصحاب نافع بن الأزرق، أحد شيوخهم وعظمائهم، حتى إنهم كانوا يطرحون الأطفال في قدور الأقط وهي تغلي.

واستحلّوا الأمانات(٣)، فبلغ ذلك نجدة بن عامر أحد شيوخ الخوارج فكتب إلى نافع بن الأزرق:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، أما بعد: فإن عهدي بك يوم فارقتك وأنت لليتيم كالأب الرحيم، وللضعيف كالأخ اللطيف، لا تأخذك في الله لومة لائم، ولا ترضى معونة ظالم، فلما شريت نفسك في طاعة ربك مبتغياً رضوانه، وأصبت من الحق عينه تجرد لك الشيطان فأغواك، ولم يكن أحد أثقل عليك وطأة منك ومن أصحابك، فاستمالك وأغواك فغويت حتى كفّرت الذين عذرهم الله تعالى في كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال عز من قائل: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: الآية ٩١] ثم سماهم بأحسن اسم فقال: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: الآية ٩١]، واستحللت أنت

(١) انظر: الأعلام (٤/٣٠٦).

(٢) سبق الكلام عنها.

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص (٥٥).

قتل الأطفال وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتلهم، ثم كان من رأيك ألا تؤدي الأمانات إلى أهلها فاتق الله يا نافع وانظر لنفسك فإن الله بالمرصاد، وحكمه العدل، وقوله الفصل، والسلام».

فكتب إليه نافع بن الأزرق:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، أما بعد: فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكرني وتنصح لي وتزجرني، وتصف لي ما كنت عليه من الحق، وما كنت أوثره من الصواب، وأنا أسأل الله أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وعِبْتَ عليّ ما دِنْتُ به من إكفار القَعَد وقتل الأطفال، واستحلال الأمانات، وسأفسر لك إن شاء الله، أما هؤلاء القَعدُ فليسوا كمن ذكرت ممن كان على عهد رسول الله ﷺ لأن أولئك كانوا بمكة، حرسها الله تعالى، مقهورين لا يجدون إلى الهرب سبيلاً، وهؤلاء بخلافهم. وأما الأطفال فإن نبي الله نوحاً كان أعرف بالله يا نجدة مني ومنك حيث قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: الآية ٢٦] فسماهم بالكفار وهم أطفال، فكيف جاز ذلك في قوم نوح ولا يجوز في قومنا، وما بيننا وبينهم إلاّ السيف، وأما استحلال الأمانات ممن خالفنا فإن الله أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم، فاتق الله يا نجدة وراجع نفسك فإنه لا عذر لك إلا بالتوبة ولا يسعك خذلاننا والقعود عنا، والسلام على من أقر بالحق وعمل به».

قلت: فانظر أرشدك الله أيها الواقف على كلامه ـ وهداك وإيانا لنور الحق، وحمانا جميعاً من ضلال الباطل وظلامه ـ وشدة مروقه من الدين بما بهرجه في كتابه من زخرف غرور شيطنته بجوابه، التي ملأ بها قلوب شيعته ضلالاً وشروراً، وإلى دخوله في قوله: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: الآية ١١٢] وانظر كيف قاس الطعن بالسنان على الطعن باللسان، وأولاد المسلمين على أولاد الكفار، وكيف افترى على الله تحليله دماء المسلمين حتى قاس عليها الأموال، هذا والدم قد حل دون المال، كالقتل دفعاً إذا ما أحد بغى عليه الأموال، هذا والدم قد حل دون المال، كالقتل دفعاً إذا ما أحد بغى عليه أو صال، ولا يتبع الباغي والجريح منهم ولا يذفف عليه، وأما أخذ ماله فلا سبيل عليه فكيف أهل العدل لو كان له عقل، نسأل الله الكريم الحماية ودوام الهداية.

الفرقة الثانية: الأباضية[1]

أصحاب عبد الله بن أباض أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم، انفرد هو وفرقته بأن

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٨٣).

قالوا: لا ربا في النسيئة، وجوّزوا بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة وغير ذلك من الربويات متفاضلاً إذا كان يداً بيد، وخالفوا قول رسول الله ﷺ[١]: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الورق بالورق، إلا سواء بسواء» الحديث الصحيح.

وقوله ﷺ[٢] في الحديث الصحيح الآخر: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد».

وقوله ﷺ[٣] في الحديث الصحيح الآخر: «فمن زاد واستزاد فقد أربا...». ومما انفردوا به أن من ارتكب معصية كبيرة كانت أو صغيرة كَفَرَ كُفْرَ شرك[٤].

قلت: وهذا خلاف ما قدمت من نقل أئمة الأصول أن ذلك عند الأباضية من كفران النعم، لا الكفر الذي هو الشرك، وما قدمت عنهم أن جملة الذنوب عند الخوارج كبائر، ولكن هذا يحتمل وجهين، والله أعلم.

أحدهما: أنه من قول الناقل عنهم، أيَّ كبيرة كانت أو صغيرة عندهم.

الثاني: أنه من قولهم. ويكون المراد بالقول المتقدم من كون جملة الذنوب عند الخوارج كبائر، التخصيص. أي عند معظم الخوارج فلا يلزم دخول الفرقة المذكورة. فعلى الاحتمال الأول يكون الكلام عاماً، وعلى الثاني خاصاً، وكلا الأمرين مستعمل صحيح فيصح الكلام ويسلم عن التناقض في هذه المسألة دون الأولى المذكورة في الكفر.

وقد ذكرت عنهم حماقات كثيرة يطول ذكرها.

الفرقة الثالثة: الصفرية

أصحاب زياد بن الأصفر[٥]، أحد شيوخهم، ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: من عرف الله وكفر بما سواه من كتاب أو نبي أو جنة أو نار، أو غير ذلك، وعمل سائر المعاصي من قتل أو زنا أو غيره فهو بريء من الشرك، ومن جهل الله تعالى وأنكره فهو مشرك.

---

(١) مسلم: (٣/ ١٢٠٨) رقم (١٥٨٤).
(٢) مسلم: (٣/ ١٢١١) رقم (١٥٨٧).
(٣) مسلم: (٣/ ١٢١١) رقم (١٥٨٨).
(٤) انظر: الفرق بين الفرق ص (١٠٣).
(٥) انظر: خطط المقريزي (٢/ ٣٥٤).

قلت: وهذا القول وأشباهه مما مضى وما سيأتي لا يحتاج إلى احتجاج على بطلانه لقوة وضوحه وبيانه، وهو مخالف أيضاً لما تقدم عن الخوارج من كون ارتكاب الذنوب عندهم كفر، لكن يجوز أن يكون المراد بذلك بعضهم إذ إطلاق الحكم على الشيء قد يراد به بعض ذلك الشيء.

وزعمت هذه الفرقة أن علياً رضي الله عنه هو الحيران الذي ذكره الله في القرآن، وكذبت فيما زعمت وافترت عظيماً من البهتان.

الفرقة الرابعة: البيهسية

أصحاب أبي بيهس[١]، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: لا يكون الرجل مسلماً حتى يعلم جميع ما أحل الله له وما حرّم عليه.

وزعموا أن من ارتكب ذنباً يوجب الحد ورفع إلى الحاكم فأقامه عليه، حكم بكفره حينئذ.

الفرقة الخامسة: العجردية[٢]

الخارجين إلى الملّة المجوسية، ويقال: العجاردة أصحاب عجرود، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بالقول: بجواز نكاح بنات الأولاد من البنين والبنات، وبنات الأخوة، وبنات الأخوات، كالمجوس المستحلين نكاح المحرمات[٣].

الفرقة السادسة: الفضيلية[٤]

أصحاب المفضل، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: من قال: لا إلٰه إلاَّ الله بلسانه، وهو يعني بقلبه صنماً أو غير ذلك فهو مسلم، وكذا إن قال بلسانه: محمد رسول الله، ونوى بقلبه إنساناً غيره حياً كان أو ميتاً فهو مسلم لا يضره ما قال بلسانه واعتقد بقلبه خلافه.

ومما انتحلوه غير ما تقدم أن الفضيلية جوّزت على الأنبياء عليهم السلام المعاصي، مع اعتقادهم أن كل معصية كفر.

---

(١) سبق الكلام عن هذه الفرقة.

(٢) سبق الكلام عن هذه الفرقة.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٧٨).

(٤) سبق الكلام عن هذه الفرقة.

الفرقة السابعة: النجدات

أصحاب نجدة بن عامر من بني حنيفة[١] أحد شيوخهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: من كذب كذبة صغيرة كانت أو كبيرة قاصداً لها وهو مصر عليها فهو مشرك.

قلت: وقد تقدم أن نجدة هذا وفرقته أمثل فرق الخوارج.

الفرقة الثامنة: العونية

أصحاب ابن عون[٢]، أحد شيوخهم ومشهوري أئمتهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إذا حكم الإمام حكماً جوراً ببلد من البلدان عمداً كفر بذلك في الوقت هو وجميع رعيته من أهل الإسلام.

قلت: وحكمهم هذا يبنى عن عظيم حماقة من همَّ به.

والعجيب أنهم مع تكفيرهم الإمام الجائر بغير مستند مع قيام البرهان القطعي على بطلان ما ذكروا من المعتقد، جاؤوا بالطامة الكبرى فكفروا الرعية البرآء، وبينهم كتاب الله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٤]

ولعمري أن الاهتمام بالاحتجاج على فساد عقيدة كل أحمق من هذه الفرق مما يجعل له قدراً ويشهر، وهو أحقر من أن يلتفت له ويذكر.

الفرقة التاسعة: المطيخية[٣]

الدافعة للبراهين القطعية من الإجماع والنصوص المتواترة، بجحد الضرورة والمكابرة، أصحاب أبي إسماعيل المطيخي أحد شيوخهم، ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: لا صلاة واجبة غير ركعة بالغداة، وركعة بالعشي، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [هود: الآية ١١٤].

وعمى المارقون الفجار عن قوله تعالى في إكمال الصلوات الخمس: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ﴾ [هود: الآية ١١٤]، وقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ﴾ [الإسراء: الآية ٧٨] فالصبح والعصر داخلان في طرفي النهار، والمغرب والعشاء في زلف من الليل، والظهر في الدلوك، بل هي في الآية الأخرى مجموعة، وقرآن الفجر الذي تشهده الملائكة الكرام كناية عن صلاة الصبح التي هي في الختام.

---

(١) سبق الكلام عن هذه الفرقة.

(٢) سبق الكلام عن هذه الفرقة.

(٣) سبق الكلام عن هذه الفرقة.

والمطبخية إنما نعرفهم في المطابخ وأكل الطعام، لا في الكناية والاستعارة، والمجاز، والحذف، والإضمار، والتقديم والتأخير، والعموم والخصوص، والمنطوق والمفهوم، وسائر أنواع الكلام.

الفرقة العاشرة: الأخنسية(١)

الخانسة عن الطريقة: المرضية، أصحاب الأخنس، أحد شيوخهم.

انفرد وفرقته بقولهم: يجوز للسيد أخذ زكاة عبده، وللعبد أخذ زكاة سيده مع حماقات لهم.

قلت: فإن قيل هذه المسألة فروعية، وليست من الأصول التي تقتضي مخالفيها كفراً أو بدعة، ولا من الفروع المعلوم حكمها بالضرورة التي يشترك في معرفتها العام والخاص والكافر جاحدها، فما وجه عد هذه الفرقة من الفرق المذكورة.

الجواب: أنها مشاركة لها في التكفير بالذنب الواحد وإحباطه للعمل القديم، واستحقاقه الخلود به في العذاب الأليم كما قدمنا من حيث الجملة عن الخوارج المارقة، وإنما نذكر الآن ما تختص به كل فرقة لغيرها مفارقة.

الفرقة الحادية عشرة: الشمراخية(٢)

السالكة في الطريق الطاغوتية، أصحاب عبد الله بن شمراخ أحد شيوخهم.

انفرد هو وفرقته بجواز قتل الأبوين في دار التقية وإن كانا مسلمين.

الفرقة الثانية عشرة: البكارية(٣)

الأشرار مجهولة النسبة، ولعل اسم شيخها بكار.

انفردوا بتحريم ذبائح أهل الكتاب، وسب الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، العلمين الزاهدين رضوان الله عليهما وعلى أبويهما.

الفرقة الثالثة عشرة: البكرية

أصحاب بكر، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن من عصى الله ولو مرة واحدة، وسرق ولو حبة خردل فهو

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٨٠)، الفرق بين الفرق (١/ ١٠١).

(٢) انظر: خطط المقريزي (٢/ ٣٥٥)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٨).

(٣) وقيل: البكارية، التكاريه. انظر: الأباضية عقيدة ومذهباً د/ صابر (٥٠).

كافر، وزعموا أن طلحة والزبير كافران لكنهما من أهل الجنة بسبب كونهما من أصحاب بدر.

قلت: أما ما نقل عن هذه الفرقة من التكفير بذنب واحد مع ما قدمت من النقل بأن ذلك مذهب الخوارج مطلقاً من غير تفصيل ففي ظاهره تناقض، ولكن يحمل، والله أعلم، أن الناقلين بالتكفير بذلك مختلفين ولعلهم، والله أعلم، اشتركوا في إطلاق لفظتين وافترقوا في تفسيرها فأما اللفظان كالذنب والكفر، وأما التفسير فبعضهم أراد مطلق الذنب، وبعضهم أراد الكبائر، وأراد بعضهم في تفسير اللفظ مطلق الكفر، وبعضهم أراد كفران النعم، ولكن المشهور ما تقدم والله أعلم.

وأما ما نقل عن هذه الفرقة أيضاً من تكفير طلحة والزبير رضي الله عنهما مع موافقتنا في كونهما من أهل الجنة ففيه بدعة شنعاء بالطعن في الأصحاب الكرام النجاب، وتخليط يشهد بالصم كالدواب، وكفرهم بتكذيبهم بنص الكتاب.

وأما تخليطهم فجمعهم بين الكفر بالله وإكرام الكفار بدخول الجنة.

وأما ما كذبوا به من الكتاب الكريم الذي يكذب به كافر بالله العظيم بإجماع كل المسلمين فقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: الآية ٧٢].

وكذلك كل قول بالسنة إذ قال ﷺ: «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة»(١).

الفرقة الرابعة عشرة: المعلومية(٢)

ـ بل هي المجهولية في الحقيقة ـ إلى أي شيء هي معزية؟.

فهذه الفرقة انفردت بأن من لم يعلم جميع أسماء الله تعالى فليس بمؤمن.

قلت: ولعل تلقيبهم بالمعلومية من أجل أن ذلك عندهم معلوم، أو لكون أنه عندهم يجب أن يكون معلوماً عند الخلق على العموم.

الفرقة الخامسة عشرة: اليزيدية(٣)

أصحاب يزيد بن أنيسة الخارجي ليس يزيد المحدِّث السني.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: ينسخ شريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ ينسخها نبي من العجم، يأتي بدين الصابئين، وبقرآن غير هذا القرآن.

---

(١) في مسلم (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٩)، الفرق بين الفرق (٩٧).

(٣) انظر خطط المقريزي (٢/ ٣٥٥)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٤).

قلت: وهذا من أعظم الكفر والطغيان، ففيه تكذيب كلام رب العالمين، حيث قال في سيد المرسلين: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٠].

الفرقة السادسة عشرة: العبدلية

الخارجة إلى مذهب التناسخية، أصحاب عبد الله بن عيسى أحد شيوخهم الذي هو أكبر تيوسهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: البهائم والأطفال والمجانين لا يألمون إلاّ ليثابوا على ذلك يوم القيامة، وزعموا أن أرواح البهائم والأطفال كانت أرواح قوم بالغين عصاة فنقلت أرواحهم إلى هؤلاء.

قلت: وهذا مذهب قوم من غلاة الروافض والإسماعيلية، ذهبوا إلى القول بالتناسخ وفي ذلك كلام طويل، وسنذكر ذلك بعد، إن شاء الله، وقد بلغت في الرد على العالمين بهذا المذهب وإقامة البرهان في جواب الشبهة الثالثة.

الفرقة السابعة عشرة: الثعالبة[1]

بالعين المهملة ولا يعلم إلى أي شيء هذه النسبة لأنهم مع شيخهم مجهول، والعجمة بهم أليق وأنسب لما يقتضيه المذهب فإن هذه الفرقة ذهبت إلى أنه: إذا وقعت قطرة خمر في إناء فيه ماء فشرب منه إنسان كفر. علم بوقوع القطرة منه أم لم يعلم.

قلت: وهذا القول أفحش من القول بالتكفير بالذنب، وأعظم من أقوال كثيرة مما تقدم، وهذا غلو عظيم في العالم بذلك، فيا ليت شعري ما كفر من لم يعلم بذلك، بل ما ذنبه في ذلك، فضلاً عن الكفر الأعظم.

الفرقة الثامنة عشرة: الصلتية[2]

أصحاب عثمان بن الصلت، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: من دخل في مذهبهم وله طفل صغير لم يحكم بإسلامه حتى يبلغ ويسلم، فإن أسلم وإلا قتل.

قلت: والعجب كيف لم يجعلوه كولد الكافر وهو أقل الأقسام، فإنه إذا أسلم أبوه أو غيره من أصوله تبعه في الإسلام، وكذا إذا سباه مسلم لا يقع السابي في إسلامه، ولكنهم يذهبون من مذهب الضلال في داجي ظلامه، وما أحد من الخوارج في ظلام الضلال بخارج، وقد يفضي منهم الكلام. والصلاة والسلام على سيد الأنام وآله وصحبه الكرام.

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٦٠٠)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٤٩).

(٢) انظر: خطط المقريزي (٢/ ٣٥٥).

بيان فرق المعتزلة[1]

اعلم أن هذا الكتاب من حيث الجملة لمحاربة المعتزلة والرد عليهم، والاحتجاج، والإيراد، والاعتراض مع التنصيص على ذكر مذهبهم، ولجماعة من أئمتهم.

ومقصودنا هنا: ذكر جميع فرقهم ولا حاجة إلى الرد عليهم والحجاج، فقد مضى ما فيه الكفاية من الاحتجاج، وإنما كانت محاربتنا معهم أكثر من سائر الفرق لأنهم مع كونهم مبطلين أقوى الخصوم حجة على أهل الحق.

وإنما لقبوا بالمعتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن[2]، وقيل: مر عليهم الحسن وهم معتزلون فقال: هؤلاء معتزلة فلزمهم هذا اللقب، وكذلك لقبوا بالقدرية لنفيهم القدر السابق، وزعمهم أنهم خالقوا أفعالهم، وليست خلق الله، وهذه فرق المعتزلة الثماني عشرة.

الجبائية، والضرارية، والبشرية، والهذيلية، والنظامية، والعطارية، والبهشمية، والفوطية، والقضبية، والغفارية، والحايطية، والرعينية، والميسرية، والبيعجورية، والعبادية، والمعمرية، والإسكافية، والمبتورة.

نقل المصنفون في عدد الفرق وأسمائها عن كل فرقة أشياء اختصت بها دون غيرها من الفرق، بعضها يتعرض لذكره أئمة الأصول، وبعضها تعرضوا له ولكن نقلوه عن الجميع، ولم يخصوا به فرقة دون أخرى.

وها أنا أذكر بعض ما نقله المصنفون في الفرق المذكورة من علماء أهل السنة، وعليهم في ذلك العمدة، أعني مما أعزيه إلى كل فرقة ممن سأذكره ومن قد ذكرته فيما تقدم.

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (١١٤)، التبصر في الدين للإسفراييني (٦٣)، المنية والأمل لابن مرتضى اليماني (١٢٦).

(٢) انظر ترجمته: الأعلام (٢/ ٢٤٢).

الفرقة الأولى من المعتزلة: الجبائية[١]

أصحاب أبي هاشم الجبائي، أحد أئمتهم، وقيل: كبير رؤسائهم في زمانه.

قلت: هكذا نسبوها إلى أبي هاشم المذكور، ولم ينسبوها إلى أبيه المشهور بأبي علي الجبائي[٢].

انفرد أبو هاشم وفرقته المذكورة بأنه يجب على الله أن يريح العباد عن كل ما أمرهم به، وأنه لا يحل لأحد أن يتمنى الشهادة، ولا أن يريدها.

ونقلوا عنهم أئمة الأصول عن المعتزلة مطلقاً مما تقدم ذكره.

قلت: كما قال علماء الأصول إن الله تعالى لا يجب عليه شيء.

فقولهم: يجب عليه أن يريح العباد. باطل ظاهر الفساد.

قلت: وكذا قولهم في تمني الشهادة باطل مخالف لكتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: الآية ١١١] وفي ذلك ندب إلى طلبها، والحرص عليها، وبذل النفس لأجلها، والرغبة في عوضها الذي هو الجنة.

وأما السنّة فما رويناه في صحيح البخاري عنه ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا»[٣].

وبوّب عليه البخاري، باب تمني الشهادة.

وروينا في صحيح البخاري عنه ﷺ أنه قال: «ما أحد يدخل الجنة، يجب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شيء إلاّ الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة»[٤].

وقد روينا في صحيح البخاري أيضاً أنه قال ﷺ: «من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه»، وهذا لفظ مسلم[٥]، وفي الرواية الأخرى: «من سأل الله

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٧٨)، المنية (١٧٠)، التبصير (٨٥).

(٢) انظر ترجمته في: الأعلام (٧/ ١٣٦).

(٣) في البخاري (٣/ ١٠٣٠).

(٤) في البخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣/ ١٤٩٨).

(٥) في مسلم (٣/ ١٥١٧).

الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[(١)].

الفرقة الثانية: الضرارية

أصحاب ضرار بن عمرو الكوفي.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: ليس في النار حرق، ولا في الثلج برد، ولا في الزيتون زيت، ولا في العنب عصير، ولا في العسل حلاوة، ولا في الصبر مرارة، ولا في العروق دم، وإنما يخلقه الله تعالى عند اللمس أو الذوق أو القطع.

وقولهم هذا يكذبه قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: الآية ٦٦].

أخبر بوجود الدم الذي زعموا أنه لا يوجد إلاّ عند القطع، وقس البواقي على هذا.

قلت: بل يفهم أن حرارة النار موجودة فيها مخلوقة لله تعالى قبل اللمس، قال الله تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: الآية ٦٩].

وبيانه: أنه لو لم تكن حارة لكانت باردة. وأما البارد أن يكون بارداً ليحصل الحاصل محال باطل. وكلام الله هو الحق الكامل.

فبطل ما زعمه في ذلك كل جاهل من المبتدعة الأشرار، فرقة ضرار.

الفرقة الثالثة: البشرية

أصحاب بشر بن المعتمر[(٢)]، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بقولهم: إن الله لم يخلق طعماً ولا لوناً ولا رائحة، ولا قوة ولا ضعفاً ولا زماناً، ولا عمى ولا صماً ولا بكماً، ولا شجاعة ولا جبناً، ولا كسلاً ولا صحة ولا مرضاً، بل الخلق فاعلون ذلك بطباعهم.

قلت: وصاحب هذا القول أحمق جهول جاحد كفور، مكذب لقواطع المعقول والمنقول من نصوص الكتاب، الذي لا يخفى إلاّ على الدواب، وجاحد كافر برب الأرباب، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: الآية ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: الآية ٢٣].

---

(١) في مسلم (٣/١٥١٧).

(٢) انظر ترجمته وحال فرقته في: معجم المؤلفين (٣/٤٦)، الفرق بين الفرق (١٥٦)، الملل والنحل (١/٦٤).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ [الرُّوم: الآية ٥٤] وغير ذلك، فمن أنكر ذلك فهو ظاهر المحال لا يحتاج إلى استدلال، وكلام الدواب ليس له جواب.

الفرقة الرابعة: الهذيلية[1]

أصحاب أبي الهذيل محمد بن مكحول البصري مولى عبد القيس، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

زعم هو وفرقته أن أهل الجنة لا حركة لهم، وأن الله لا يقدر على تحريكهم بل يكونون جماداً لا يقدرون على الحركة والبراح من مواضعهم.

قالوا: ومع هذا إنهم أحياء يتلذذون لكنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يُجَامِعُون.

وبمثل هذا قالت فرقة من الباطنية واليهود.

وهذا تكذيب بالكتاب العزيز وجحود، وإبانة تدل على تكذيب القائل بهذا صدق الشهود: ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: الآية ٦٢]، ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [الحاقّة: الآية ٢٤].

وقوله: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨﴾ [الواقِعَة: الآيتان ١٧، ١٨] الآية، إلى قوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾ [الواقِعَة: الآية ٢٤].

ومما نقل عن هذه الفرقة أنهم قالوا: إن الله ليس بخالق خلقه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. فقد كذّب المارقون بقول المتعالي عن الشبيه والنظير: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١].

الفرقة الخامسة: النظامية[2]

أصحاب إبراهيم بن سيّار النظام مولى يحيى بن الحارث البصري.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: الإنسان روح من غير جسم، وزعموا أن أحداً لم يرى النبي ﷺ وإنما رئي جسمه.

قلت: هكذا نقل عنهم، فلا أدري أهم قالوا: إن أحداً لم ير النبي ﷺ نطقاً صريحاً أم مفهوماً لهم لازماً.

وعلى الجملة، فليس يجحد مشاهدة النبي ﷺ إلاّ جاحداً الضرورات، ومكذّب

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٤٩)، الفرق بين الفرق (١٢١).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ٥٥).

لجميع الأمة الأحياء والأموات، فإنهم قاطعون بأن الصحابة رضي الله عنهم شاهدوه، وسمعوا كلامه، وصلوا خلفه، وجاهدوا معه، ولم ينقل أحد قط عن أحد من أئمة اللغة خلافاً في صحة ما كثر استعماله بين الخلق من قولهم: رأيت إنساناً، وهذا مشهور في كل عصر ومصر، وشواهد هذه أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تُذكر.

وزعمت هذه الفرقة أيضاً: أن الإجماع يجوز أن يكون على الضلالة، فخرق النَّظام الإجماع بحد حدة الجهالة، فزعم أنه ليس بحجة.

وكذلك نقل عن هذه الفرقة أنهم قالوا: ليس القرآن بمعجزة، والاستدلال بالبراهين القاطعات على أنه أعظم المعجزات، وبيان لوجه الإعجاز فيه من جهات متعددات في آخر جواب الشبهة الثالثة. ويكفي منكر ذلك لو كان أعمى البصيرة بصيراً قوله عز من قائل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: الآية ٨٨].

الفرقة السادسة: العطارية

أصحاب العطار البصري، مولى سليم، أحد شيوخهم ورؤسائهم.

انفرد هو وفرقته بجواز موجودات لا نهاية لها، وأن الله تعالى لا يحصيها، ولا لها عدد مقدر معلوم.

وهذا تجهيل لله تعالى، وتكذيب لقوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: الآية ٣]، وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: الآية ١٢]، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: الآية ٢٨]. ومما يطول ذكره من الآيات الكريمات.

الفرقة السابعة: البهشمية[(١)]

أصحاب أبي هاشم بن الجبائي، شيخ الفرقة الأولى. هكذا نقل عن بعض العلماء وصرّح به في مصنفه، وعجبت من ذلك.

ويحتمل أن تكون الأولى منسوبة إلى أبيه، وهذه إليه.

ويحتمل أيضاً أن تنسب إليه فرقتان، إحداهما: وافقته في بعض اعتقاده، والأخرى في البعض الآخر، فنسبتا إليه جميعاً، وهو يعتقد جميع معتقد الفرقتين، فيصح أن يقال: انفرد هو وهذه بكذا وكذا، وانفرد هو وتلك بكذا وكذا، ولا يصح أن يقال: إحداهما متقدمة في الزمان، والأخرى متأخرة، لأنا إذا قدرنا اختلاف الفرقتين

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (١٨٣)، الملل والنحل (١/ ٧٨).

بحسب التقدم والتأخر بالزمان، لا يتصور إلا أن يكون قد رجع عن اعتقاده الأول، وأما إذا بقي على اعتقاده فليس له اعتقاد آخر حتى تتبعه فيه فرقة أخرى، وحينئذ لا يصح أن يبقى ذلك الاعتقاد المرجوع عنه منسوباً إليه، ولا يصح أن يقال فيه قولان، فأخذت كل فرقة بقول.

فمما نقلوا عن أبي هاشم هذا وفرقته أنهم انفردوا بقولهم: المعدوم شيء، وجوهر، وعرض، وسواد، وبياض، ومخالف، وموافق.

ونقل عنهما أيضاً أنه: شيء، وجوهر، ولون، وقدرة.

قلت: والمشهور أن هذا مذهب المعتزلة، وجمهورهم عليه.

بيان حدّ الشيء

ذهبت المعتزلة إلى أن حدّ الشيء: ما يصح العلم به، والإخبار عنه.

والدليل على بطلان قولهم: قوله عز وجل ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريَم: الآية ٩] فنفى أن يكون شيئاً قبل خلقه له وذلك موجود، فوجب أن لا شيء إلاّ الموجود.

فإن قيل: معنى الآية، ولم يك شيئاً موجوداً منتفعاً به، فقد أجاب عنه أئمتنا من وجهين:

أحدهما: أن هذا ترك لظاهر الآية، لأن الظاهر نطق بنفي كونه شيئاً على الإطلاق، فمن قيد الوجود والنفع، فقد أبطل حقيقة الظاهر، وذلك لا يجوز إلا بدليل يلجيء إلى ذلك.

والثاني: أن قولهم: لم يكن شيئاً موجوداً، أو كان شيئاً يؤدي إلى أن يكون وجود الشيء المعني ليس هو الشيء، لأنه إذا كان شيئاً في حالتي العدم، والوجود عندهم، ثم طرأ عليه في حالتين، وطرأ عليه في إحداهما وصف متحرك، صار متحركاً كالمعني.

ولما لم يكن القول بذلك صحيحاً باتفاق، بطل هذا التأويل من هذا الوجه أيضاً.

وقد احتجوا بآية أخرى، وأجاب عنها أئمتنا بثلاثة أوجه، أطالوا الاحتجاج فيها، ولا ضرورة بنا إلى ذكرها، هذا المنقول.

وأما المعقول، فنقول على وجه الإيجاز: الثبوت هو الوجود، فالمعدوم غير ثابت. قالوا: ثبوت الشيء حقيقته القابلة للعدم والوجود. فالممتنع نفياً اتفاقاً.

دليلنا: أن الحقائق الثابتة تشترك في الثبوت وتخالف بحقائقها وثبوتها غير ماهيتها وهو الوجود.

قالوا: المعدوم متميز لكونه متصوراً ومقدوراً ومراداً بعضه دون بعض، وأن الامتناع نفي لأنه صفة للمتنع المنفي، فالإمكان ثابت، والمعدوم الموصوف به ثابت.

والجواب عن الأول: أنه منقوض متصور وجوده قبل أن توجد الممتنعات والمحالات.

وعن الثاني: أن الإمكان والامتناع من الأمور العقلية التي لا وجود لها في الخارج.

قلت: ومما انفرد به أبو هاشم عن أئمة المعقول أيضاً: إثبات واسطة بين الوجود والعدم تسمى حالاً، وسنذكر قول أئمتنا فيها.

رجعنا إلى ذكر أبي هاشم وفرقته.

وزعموا أيضاً: أن من أذنب ذنوباً كثيرة وتاب منها إلاّ ذنباً واحداً، لا تقبل توبته حتى يتوب من الجميع.

قلت: هكذا نقله بعض أهل السنة عن أبي هاشم وفرقته، ونقله بعضهم عن بعض المعتزلة، وبعضهم عن المعتزلة مطلقاً.

قال الإمام محيي الدين النووي: تصح التوبة من الذنب وإن كان مصراً على ذنب آخر، وإذا تاب توبة صحيحة بشروطها ثم عاود ذلك الذنب، كتب عليه الذنب الثاني، ولم تبطل توبته، وهذا مذهب أهل السنة في المسألتين، وخالفت المعتزلة فيها.

قال أصحابنا: ولو تكررت التوبة، ومعاودة الذنب صحت.

قال: واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة، وأن ذلك على الفور ولا يجوز التأخير، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة.

قال: والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده. ووجوبها عند أهل السنة بالشرع، وعند المعتزلة بالعقل. ولا يجب على الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلاً عند أهل السنّة، لكنه يقبلها الله تعالى كرماً منه وفضلاً، وعرفنا قبولها بالشرع والإجماع خلافاً للمعتزلة.

ومعرفة ذلك من الشرع ظاهر من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: الآية ٢٥].

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم: الآية ٨] الآية، وغير ذلك من الآيات.

ومن السنّة قوله ﷺ: «إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله، تاب الله عليه»[1]. أخرجه البخاري.

وقوله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[2]. أخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن غريب، وغير ذلك من الأحاديث.

وأما النصوص الدالة على وجوب التوبة فمنها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: الآية ٨]، وغير ذلك من الآيات.

وقوله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة»[3]. وغير ذلك من الأحاديث.

الفرقة الثامنة: الفوطية[4]

أصحاب هشام بن عمرو الفوطي، أحد شيوخهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن الله تعالى عن قولهم إذا خلق شيئاً لم يقدر أن يخلق مثله، ولا يقدر أن يحيي الأرض بالمطر، وأنه لا يقدر أن يؤلف بين القلوب.

قلت: وقائل هذا أكفر أو من أكفر الفرق المارقة المكذبين، بكلام الله تعالى، الزنادقة.

والآيات المكذبة له ـ وتكذيبه لها ـ أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر ـ قاتل الله من كذب بها ـ وقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [النحل: الآية ٦٥].

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤].

وقوله: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: الآية ٥٥].

الفرقة التاسعة: القضبية

أصحاب جعفر القضاب، بياع القضب، أحد شيوخهم.

انفرد هو وفرقته بقولهم: القرآن ليس هو المكتوب في المصاحف.

---

(١) في البخاري (٤/ ١٥٢١)، ومسلم (٤/ ١٣٥).
(٢) في الترمذي (٥/ ٥٧) برقم (٣٦٠٣).
(٣) في مسلم (٤/ ٢٠٧٥ـ٢٠٧٦).
(٤) انظر مبادئهم في: الملل والنحل (١/ ٢٧٢)، الفرق بين الفرق (١٥٩).

قلت: إن مذهب أهل الحق أن كلام الله تعالى قديم قائم بذاته، ليس بحرف ولا صوت[١]، ولا يشبه كلام المخلوقين، كما لا يشبه وجوده تعالى وجود المحدثين، وأنه مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، غير حالّ في شيء من ذلك.

وأن الكلام عند المعتزلة: هو الأصوات المقطعة، والحروف المنتظمة، وأن كلامه مخلوق مكتوب في المصاحف، حال فيها، هذا مذهبهم المعروف، خلاف ما نقل عن هذه الفرقة المذكورة.

وهو عند الظاهرية كما هو عندهم ـ أعني المعتزلة ـ سواء الحدوث، بل الحروف عندهم قديمة.

والكلام عند أهل الحق هو القائم بنفس المتكلم المعبر عنه بالحروف والأصوات الحادثات، المخلوقات، المتعال عنها من تقدس عن سمات المحدثات، وعن الجسم والجوهر والعرض والجهات، سبحانه وتعالى.

الفرقة العاشرة: الغفارية

أصحاب أبي غفار أحد شيوخهم، ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته باعتقادات شنيعة منها:

قولهم: بتحريم لحم الخنزير، دون شحمه ودماغه، وهذا باطل، مخالف للشرع والدين.

الفرقة الحادية عشرة: الحائطية[٢]

أصحاب أحمد بن حائط أحد كبرائهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن الله تعالى عن قول من كفر وجحد وألحد.

قالوا: للعالم خالقان: قديم وحديث. أحدهما هو الله، والآخر الكلمة التي يخلق بها، وهذا كفر واضح البيان لا يحتاج إلى إقامة البرهان إذ قائله مكذّب القرآن ومنكر مما فيه من الشواهد، قول الحي القيوم: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل: الآية ٥١].

---

(١) وهذا هو مذهب السلف والخلف وما عليه أهل السنة والجماعة خلافاً لمن توهم بعقله أن (كلامه الحروف والمعاني) وهو غير سليم.

(٢) الملل والنحل (١/ ٦٠).

الفرقة الثانية عشرة: الرعينية

أصحاب إسماعيل بن عبد الله الرعيني، أحد شيوخهم.

انفرد هو وفرقته بقولهم: إن الله تعالى لا يبعث الأجسام، وإنما يبعث الأرواح.

قلت: وهذا القول هو الكفر الصراح، وهو اعتقاد الفلاسفة، والرعينية الكافرين بالكتاب والسنة بالكلية، والمخالفين لإجماع المسلمين، من جميع البرية، والمكذّبين بنصوص الشريعة وتفسيرها، وهم يسمعونها تقول: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: الآية ٥٦]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: الآيتان ٧٨، ٧٩]، ويقول: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾ [القيامة: الآيات ١-٤].

الفرقة الثالثة عشرة: الميسرية

أصحاب أبي ميسرة، أحد شيوخهم.

انفرد هو وفرقته بقولهم: إن النبوّة مكتسبة، فمن بلغ الغاية في التقوى والصلاح أدرك النبوة والرسالة.

وهذا باطل كاذب قائله لا محالة، وأن ما ذكروا من البلوغ في الصلاح إلى الغاية التقوى قيل فيه: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم: الآيتان ٢٩، ٣٠].

بل بشّر بنبوّة ولد هو بعد من المعدومين من قال له: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٣٩].

ويكفي قول الحق في محكم آياته: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤].

الفرقة الرابعة عشرة: البيعجورية

بالموحدة، ثم المثناة تحت، ثم العين المهملة، ثم الجيم، ثم الراء، ثم ياء النسب. أصحاب أحمد بن علي البيعجوري، أحد شيوخهم، ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: من ارتكب كبيرة كقتل نفس أو زنى أو أخذ مال أو غير ذلك ثم ندم على فعله وتاب منه سقطت عنه أحكامه، ولا يلزمه منها شيء، وكذا إن عاد إلى ذلك ثم تاب وتكرر منه ذلك مراراً.

قلت: وهذا باطل في حقوق الآدميين بلا خلاف، وفي حدود الله تعالى اختلاف لأنها مبنية على المسامحة وحقوق الآدميين على المشاحة، ولا يسقط إلا بالخروج عنها بالوفا، أو الإسقاط بالإبرا، ولو كانت التوبة مسقطة لها كما زعمت هذه الفرقة، لاتخذ

ذلك ذريعة إلى القتل والنهب والسرقة ولزم كل أحد أن يترك حقه.

الفرقة الخامسة عشرة: العبادية(١)

أصحاب عباد بن سليمان، أحد تلامذة الفوطي، خالف شيخه بأن قال: لا يجوز أن يقال إن الله تعالى خلق المؤمنين، ولا أنه خلق الكافرين، ولكن يقال: إن الله خلق الناس أجمعين لأن المؤمن بزعمه إنسان وإيمان والكافر إنسان وكفر.

قلت: والظاهر، والله أعلم، أنه يعني من هذا أن الإيمان والكفر خلق الله، وهو خلاف مذهبهم فإنهم يقولون: العباد خالقون لأعمالهم، وقد تقدم الاستدلال على بطلان مذهب أهل الاعتزال ومن تابعهم على ذلك من الضلال.

وزعم أيضاً هو وفرقته: أن الله تعالى لم يخلق القحط ولا المجاعة، وهذا تكذيب منهم، ومما يكذبهم من كلام قول الحق المبين: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٥].

وما يكذب بآيات الله إلاَّ المارقين.

الفرقة السادسة عشرة: المعمرية

أصحاب معمر البصري(٢)، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

وافقت هذه الفرقة الفرقة البشرية في قولهم: إن الله تعالى لم يخلق لوناً ولا طعماً ولا قوّة ولا ضعفاً إلى آخر ما تقدم.

وانفردوا بأن قالوا: إن الله تعالى لم يخلق موتاً ولا حياة، وإنما ذلك فعل الجسم بطبعه، وذهبوا في هذا إلى مذهب الطبائعيين من الفلاسفة الكافرين، وكذّبوا بقول أصدق القائلين: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المُلك: الآية ١].

الفرقة السابعة عشرة: الإسكافية(٣)

أصحاب محمد الإسكافي(٤)، أحد شيوخهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن الله تعالى لم يخلق العيدان ولا الطنابير، وإنما الخالق لها ابن آدم.

وقد تقدم الاستدلال على أن العباد وأعمالهم خلق لله بنصوص الكتاب والسنة،

---

(١) انظر: التبصير في الدين (٧٦).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ٦٥).

(٣) انظر: الفرق بين الفرق (١٦٩).

(٤) انظر ترجمته في: الأعلام (٦/ ٢٢١).

وليس في هذه المذكورات من عمل العبد سوى الصنعة، والله خلق كل صانع وصنعته، الحديث الصحيح، وقد تقدم ذلك.

الفرقة الثامنة عشرة: المبتورة[١]

أصحاب كثير النواء، الملقب بالأبتر، أحد شيوخهم وكبرائهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: بيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما صحيحة لأن علياً ترك ذلك لهما، وتوقفوا في إمامة عثمان رضي الله عنه وقالوا: علي إمام حتى بويع.

قلت: هكذا نقل بعضهم أن فرقة الأبتر النواء تسمى المبتورة، وأنها من فرق الزيدية، ونقل هذا الثاني قد تقدم، والله أعلم.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٤)، الفرق (٣٣).

بيان فرق الشيعة[1]

الذين قال فيهم الشاعر:

إذا الشيعي أبدل بغض صحب ... وسوّل أن يقاسي موت نفسه

وصلّى على النبي وصاحبيه ... ضجيعيه وجاريه برمسه

كذلك عُم صحباً لا لبعض ... تسم بعضاً كشيعي وجنسه

وقال في القلب إجلال وحسب ... لضرغام وشبليه وعرسه

وقد روي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: العلم كثير فخذ منه أحسنه، أحبب أهل البيت ولا تكن رافضيا، وقل الإيمان قول وعمل ولا تكن مرجئياً، وقل ما شاء الله كان ولا تكن قدرياً.

وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام في بيان الإسلام والإيمان.

ومذهب أهل السنة في ذلك بعد ذكر فرقة المرجئة، فلهذا أخّرتها.

وأما القدر: فهو وإن تعلق بالمعتزلة فإنما لم أذكره بعد ذكر فرقتهم وأستدل على صحة مذهب أهل الحق لكوني قد قدمت ذلك وأشبعت القول فيه تقريراً وتبياناً واحتجاجاً وبرهاناً.

وقول الإمام الشافعي المذكور في العلم قد نظمه القائل:

ما جمع العلم جميعاً أحد... إلى آخره

بيان طوائف الشيعة وكم افترقت على طائفة

اعلم أن علماء هذا الفن نقلوا أن الشيعة افترقت على ثلاثة طوائف: زيدية وغالية وباطنية.

ثم افترقت هذه الطوائف على ثماني عشرة فرقة كل طائفة منها ست فرق، على

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٦)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٥٢-٦٦).

ما نقله بعض علماء أهل السنّة، وأدخل فرقة الإمامية مع جملة فرق الباطنية.

الطائفة الأولى: الجارودية(١)

أصحاب أبي الجارود، زياد بن المنذر العبدي.

انفرد هو وفرقته بقولهم: لا تحل ذبائح أهل الكتاب، وهذا باطل مخالف للكتاب والسنة وإجماع من يقتدى به من الأمة.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٥] والطعام يتناول كل ما يتطعم من اللحم وغيره.

ومن السنّة قوله ﷺ في المجوس: «سُنوا بهم سنّة أهل الكتاب»(٢) غير نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم.

قلت: فدل على دخولهم في أحكام أهل الكتاب لأن الاستثناء إخراج ما تناوله اللفظ بإلاّ وأخواتها، وأيضاً فإن المعطوف يشارك المعطوف عليه في حكمه، وحكم المعطوف عليه هنا وهو حكم نساء أهل الكتاب الحل بنص الكتاب وهو قوله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ﴾ [المائدة: الآية ٤] إلى قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٥] فيشاركه المعطوف وهو: أكل ذبائحهم في حكمه وهو: الحل المذكور، وكذا ما صح في السنة أنه ﷺ أكل من لحم الشاة التي جعلتها اليهودية مسمومة.

وكذلك الإجماع معلوم قبل ظهور المبتدعين الخصوم.

الفرقة الثانية: المخترعة

انفردت هي وشيخها ـ ولم يذكر اسمه ـ بأن قالوا: عرق الحائض في غير موضع النجاسة نجس، وكذا قالوا في عرق الجنب، ومني الآدمي، أنهما نجسان.

قلت: وهذا باطل، فقد كان ﷺ يبيت مع نسائه في لحفهن وهن حُيض، ويناولنه بأيديهن من أراد من حاجة، ولأن جسمها ـ أعني الحائض ـ طاهر، وكذلك الجنب ما لم تصبه نجاسة فعرقها طاهر. وقد نقل أئمتنا الإجماع عليه.

وأما المني: فقد اختلف العلماء رضي الله عنهم في طهارته.

فذهب الإمام مالك وأبي حنيفة رضي الله عنهما إلى نجاسته، إلا أن أبا حنيفة قال: يكفي في تطهيره فركه إذا كان يابساً. وهو رواية عن أحمد.

---

(١) انظر: الإبكار للآمدي (٥/ ٧٠).

(٢) الموطأ: (١٨٨) في كتاب الزكاة.

وقال مالك: لا بد من غسله رطباً ويابساً.

وقال الليث: هو نجس ولا تعاد الصلاة منه.

وقال الحسن بن صالح: لا تعاد من المني في الثوب، وإن كان كثيراً وتعاد منه إن كان في الجسد وإن قل.

قال الإمام محيي الدين النووي: وذهب كثيرون إلى أن المني طاهر، روي ذلك عن علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وعائشة رضي الله عنهما. وروي عن داود وأحمد في أصح الروايتين وهو مذهب الشافعي، وأصحاب الحديث. قال: وقد غلط من أوهم أن الشافعي منفرد بطهارته.

ودليل القائلين بالنجاسة الحديث الصحيح أن رجلاً نزل بعائشة رضي الله عنها فأصبح يغسل ثوبه، فقالت عائشة: إنما كان يجزئك، إن رأيته أن تغسل مكانه، فإن لم تر، نضحت حوله، ولقد رأيتني وأنا أفركه من ثوب رسول الله ﷺ فركاً[1].

ودليل القائلين بالطهارة الحديث الصحيح أيضاً، وهو قول عائشة رضي الله عنها: «كنت أفركه من ثوب رسول الله ﷺ»[2].

وفي الرواية الأخرى: فيصلي فيه.

وفي الرواية الأخرى: لقد رأيتني وإني لأحكه من ثوب رسول الله ﷺ بظفري[3].

قال أصحابنا: ولو كان نجساً لم يكف فركه كالدم وغيره.

قالوا: ورواية الغسل محمولة على الاستحباب، والتنزه واختيار النظافة[4].

قلت: ومما استدل به على الطهارة بعض أئمتنا أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: الآية ٧٠]، والمكرّمون المذكورون مخلوقون منه، فيكون طاهراً لكرامتهم، بل منه خلق أكرم الأكرمين وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. هذا معنى ما أشار إليه من استدل من أئمتنا، وفي المسألة تفاريع كثيرة في ذكر مني المرأة وغير الآدمي من الحيوانات المأكولة وغيرها. والطاهر العين ونجسها مما يطول ذكره، وليس هذا موضعه، وإنما نبهت على مني الآدمي للحاجة إلى معرفته.

---

(١) في مسلم (١/ ٢٣٨).

(٢) في مسلم (١/ ٢٣٨).

(٣) في مسلم (١/ ٢٣٩).

(٤) في مسلم بشرح النووي (٣/ ١٩٧).

ومن فروع هذه المسألة أن العلماء اختلفوا في المني الذي كانت تفركه من ثوب رسول الله ﷺ هل كان من جماع أو من حلم.

فذهبت جماعة من العلماء إلى أن الاحتلام مستحيل في حق النبي ﷺ لأنه من تلاعب الشيطان بالنائم، فلا يكون المني الذي على ثوبه إلاَّ من الجماع.

وذهب بعضهم إلى منع استحالة الاحتلام منه ﷺ وكونه من تلاعب الشيطان، بل الاحتلام منه جائز وليس من تلاعب الشيطان، بل هو فيض يخرج في وقت، والله أعلم. هذا ما اختصرته من أقوال العلماء في هذه المسألة.

الفرقة الثالثة: المطرفية

أصحاب مطرف الشهابي.

انفرد هو وفرقته بقولهم: الصلاة في غير الثوب الذي يلبسه المصلي دين قويم، وسبُّ الصحابة رضي الله عنهم فيه ثواب عظيم.

وهم أكثر الزيدية علوّاً في السبّ.

قلت: أما السب فزيغ وضلال.

وأما الصلاة في غير الثوب الذي يلبسه المصلي فمخالف لما كان النبي ﷺ يفعله في عموم الأوقات، ما خلا الأعياد والجمع، فإنه ندب فيهما إلى لبس أجمل الثياب، وذلك معروف في الأحاديث الصحيحة ولذلك كان النبي ﷺ يلبس الثياب الجميلة عند قدوم الوفود عليه.

قلت: وهنا شيء ينبغي أن يتنبه له، وذلك أن الأنبياء صلوات الله عليهم كانوا كاملين الفضل والحسن ظاهراً وباطناً، وكان نبينا محمداً ﷺ أكملهم فضلاً، ومحاسن في الظاهر والباطن، وكان مع هذا يلبس الثياب الجميلة، ويُرجّلُ شعره ويدهنه، ويتطيب ويكتحل، وينظر وجهه في المرآة، ويتحرى ذلك عند لقاء الوفود ليروه كاملاً من كل وجه يستحسنوه، فيتبعوه فيما جاء به، ولا يخل بشيء من ذلك لئلا يراه الجاهل من أجلاف العرب بعين نقص، لما جرت به العوائد عندهم، من عد الزي والرسوم الظاهرة في الكمال فلا يتبعه مع كونه ﷺ قد قال: «البذاذة من الإيمان»[(١)].

والبذاذة: ترك فاخر الثياب والزينة.

وقال: «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»[(٢)].

---

(١) أبو داود (٤/ ٧٥) برقم (٤١٦١).
(٢) ابن ماجه (٢/ ٥٢٧).

وفي هذا إشارة إلى أن ترك الزينة من فاخر اللباس وغيره أفضل ما لم يقترن ذلك بعرض صحيح، أو كان في جامع الإسلام المتقدم ذكرها من الجمع والأعياد ونحوها، مما ورد الندب إلى ذلك فيه، وأحوال النبي ﷺ وأصحابه في ذلك معروف من عدم التقيد بهيئة مخصوصة والتبذل في أغلب الأحوال وفي ذلك احتقار للدنيا وعدم الزينة فيها.

وفيه للمريدين المبتدئين مقته القلب إذ هو أقرب إلى الخشوع والخضوع، وذوق طعم العبادة وغير ذلك مما ليس هذا موضع ذكره مما هو مجرّب معروف عند أهله.

الفرقة الرابعة: الصالحية

أصحاب صالح، وقيل: أبي الحسين بن صالح.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: الاستنجا من الريح، دون غسل الثوب فرض معروف، والعقد الأول دون الثاني شيء مألوف.

قلت: وهذا قول مبتدع عن السنة معروف.

وقالت أيضاً هذه الطائفة: بنجاسة مني الآدمي كما قالت المخترعة.

الفرقة الخامسة: السليمانية[1]

أصحاب سليمان بن جرير.

قال هو وفرقته كما قال من قبله.

وانفردوا بأن قالوا: كانت إمامة أبي بكر وعمر ضلالة ممن أقامهم وتابعهم. وقد تقدم من الاستدلال أنها حق، وأن الإجماع حجة، والمجمعون أهل هداية ما فيه الكفاية.

الفرقة السادسة: اليعقوبية

أصحاب يعقوب[2].

أجمعوا على ما أجمع عليه من قبلهم، وخالفوا السليمانية بأن قالوا: ليست إمامة أبي بكر وعمر ضلالة، وإنما كان عليٌّ أحق بها ابتداء منهما.

وقد نقل أيضاً عن الصالحية والسليمانية أنهما قالا بإمامتهما، لكن افترقا في تكفير عثمان كما تقدم، والله أعلم.

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٣٢).

(٢) مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٥).

وسمّوا طائفة منهم الزيدية لانتسابهم بزعمهم إلى مذهب زيد بن علي بن الحسين رضوان الله عليهم أجمعين.

وكذلك سائر فرق الشيعة يزعمون أنهم على مذهب أهل البيت، كل طائفة تنسب إلى واحد منهم، كالإسماعيلية إلى إسماعيل بن جعفر.

والإمامية إلى الإمام المنتظر.

والزيدية إلى زيد بن علي الذي اشتهر بزين العابدين.

وكذلك كل من انفرد منهم بمذهب فإلى واحد من أهل البيت بمذهبه قد انتسب.

ثم إن كل طائفة منهم تلعن الأخرى، مباينة لها شديدة المخالفة.

فأهل السنّة هم الظاهرون على الحق إلى قيام الساعة والمعروفون من بين سائر الفرق بأهل السنّة والجماعة والعاملون بالكتاب، والموفقون للصواب، والممنوحون معرفة الحق واتباعه، جعلهم بتوفيقه لنا أئمة، فله الحمد على ذلك وعلى كل نعمة.

ولعمري أن غيرنا من سائر الفرق يدعي كل منهم أنه على الحق وفي دعواهم لائق المثل السائر، وصادق قول الشاعر:

وكـل يـدعـي لـوصـال لـيـلـى ... ولـيـلـى لا تـقـرّ لـهـم بـذاكـا

وأما الغالية[١]: إنما سمّوا بذلك لغلوهم في علي رضي الله عنه، وإفراطهم فيه حتى جعله بعضهم نبياً على ما تقدم، وهم ست فرق: الخطابية، والبيانية، والمفوضية، والمغيرية، والمنصورية، والسبأية.

فأما الخطابية: أصحاب أبي الخطاب محمد بن زينب[٢].

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: الأئمة أنبياء، ولا بد في كل وقت من رسولين أحدهما ناطق والآخر صامت.

فالناطق: محمد ﷺ.

والصامت: علي رضي الله عنه.

وقالوا: باستحلال المحارم، ورخص لهم شيخهم بترك الفرائض، وأباح لهم شهادة الزور، وكانوا كلما شق عليهم فرض جاؤوه وقالوا: يا أبا الخطاب خفّف عنا، فيأمرهم بتركه.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٧٣).

(٢) المرجع السابق (١/ ١٧٩).

وكان يقول: من عرف إمام عصره حلّ له كل شيء حرّم عليه.

وأعلن هو وفرقته إلٰهية جعفر بن محمد.

ومنهم من قال بإلٰهية شيخهم أبي الخطاب المذكور، ولهم كفر شهير، وحمق كبير، اقتصرت منه هذا اليسير.

قلت: وقد تقدم النقل عن الخطابية. أن الكذب عندهم كفر، ولذلك لا تقبل شهادتهم لأنه لا يجوز عندهم أن يشهد أحدهم لموافقته في اعتقاده، إذا ادعى على غيره شيئاً وإن لم يعلم بذلك اعتماداً على أنه لا يكذب، وهذا يخالف ما ذكر هنا من استباحتهم للمحارم وشهادة الزور مطلقاً. ولا تعلم خطيئة أحد حتى يجمع بين الثقلين، ويحتمل أن يكون المراد بشهادة الزور: شهادة أحدهم لموافقته لما ذكرنا لا مطلقاً، وباستحلال المحارم بعضها وهو ما للنفس فيه شهوة غالبة، والله أعلم.

وأما البيانية: أصحاب بيان بن سمعان التميمي(١).

زعم هذا المذكور أنه نبي وأنه المشار إليه بقوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٨].

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: إن الله تعالى عن قولهم علوّاً كبيراً، يفنى إلاّ وجهه، واستدل الدواب لهم بنص الكتاب قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: الآية ٨٨] فيا ترى ماذا يقول كل أحمق سألته عن قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٥] أتقول ثم وجهه دون ذاته، أم تخالف ما ذكرنا من كفره وحماقته.

وأما المفوضية(٢): ينسبون إلى التفويض، وقد يسمون السحابية.

انفردوا هم وشيخهم ـ وهو مجهول الاسم ـ بأن قالوا: إن الله تعالى فوّض أمر تدبير الخلق إلى الأئمة وأنه لم يخلق من ذلك شيئاً بل هم الخالقون.

وقالوا: إن علياً لم يمت وإنما هو في السحاب، حتى صاروا إذا أظلت عليهم سحابة قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، وقد تقدم ما قيل فيهم من الشعر بسبب ذلك وأنهم قالوا بإلاهيته.

وينبغي أن يسألوا: هل هو في سحابة واحدة أم في كل سحابة.

فإن قالوا: في كل سحابة.

قيل لهم: ما نراكم إلا قد جعلتم في كل سحابة عضواً.

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٥٢)، التبصير في الدين (٧٢).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (٢٥١).

وإن قالوا: في سحابة واحدة.

قيل لهم: فهل لكم على تلك السحابة من أمارة تعرفونه بها حتى إذا مرت بكم سلمتم عليه.

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: هذا باطل، لأن السحاب يشبه بعضه بعضاً وقد يتراكم ولا يتميز بعضه من بعض.

فإن قالوا: لا.

قيل لهم: فكيف تسلمون على سحابة لا تعلمونه فيها.

فإن قالوا: نسلم احتياطاً.

قيل لهم: فينبغي لكم أن تسلموا على كل سحابة مرت بكم، لاحتمال أن تكون هي التي هو فيها.

وقال بعضهم: بل هو متوارٍ عن الناس ولا بد من ظهوره ورجوعه إلى الدنيا. واستدلوا على ذلك بخطبة رووها عن علي ووضعوا لها صنعة وسموها: خطبة الكرات، جمع كرة، على معنى ما افتروا عليه من أنه يرجع مرة بعد مرة.

ـ حذفت ذكر الخطبة لما أكثروا فيها من الإكذاب التي تمجها الأسماع وتستسمجها الألباب ـ.

وقد نقل بعض أهل السنة أن رجلاً جاء إلى الحسن بن علي، وذكر له أن قوماً يزعمون أن أباه مبعوث قبل القيامة إلى الدنيا.

فقال له: كذبوا، لو كان كذلك لما قسمنا أمواله ولا زوّجنا نساءه.

قلت: ولقد أحسن الحسن رضي الله عنه في هذا الجواب القاطع.

المغيرية: أصحاب المغيرة بن سعيد[1] مولى بجيلة، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

زعم أن جعفر بن محمد أوصى إليه بالإمامة بعده إلى خروج المهدي، ثم ادعى النبوة بعد ذلك، وزعم أنه يحيي الموتى، وأنه بُعث جعفر رسولاً فبايعه على ذلك كثير من الناس.

وروي عن الأعمش أنه قال: سألت المغيرة بن سعيد ذات يوم عن فضائل علي

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٢٣٨ـ ٢٤٢)، التبصير في الدين (٧٣).

فقال: إنك لا تحملها.

قلت: بلى، فذكر وذكر آدم ﷺ ثم قال: علي أفضل منه، أو قال: خير منه، وذكر من دونه من الأنبياء صلوات الله عليهم، ثم قال: علي خير منهم، إلى أن انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: علي مثله، فقلت له: كذبت عليك لعنة الله، فقال: ألم أقل إنك لا تحتمل فضائله.

وكان يقول: لو أراد علي لأحيا عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً. فقتله خالد بن عبد الله القسري وصلبه بواسط.

قلت: وليس هذا الذي ذكره هذا اللعين عن علي من إحياء الموتى كالذي ذكره إمام الحرمين وغيره من كبار أئمتنا من جواز إحياء الموتى في كرامات الأولياء، وأن هذا لا يقارن بمعجزات الأنبياء عليهم السلام إلا من حيث ادعاء النبوة فحسب على القول الصحيح المختار، لأنهم يشهدون أن الله تعالى قادر على أن يحيي الموتى عند دعوة الأولياء، فذلك كرامة لهم، مع أنهم عاجزون في نفوسهم، لا يقدرون على شيء كما يفعل ذلك سبحانه وتعالى للأنبياء عليهم السلام مع عجزهم عنه أيضاً.

وهذا المارق يريد: أن علياً رضي الله عنه يقدر على ذلك بنفسه استقلالاً، لأنه من جملة الغلاة الذين زعموا أن علياً إله.

ولقد بلغني عن بعض الفقهاء المنكرين لبعض الكرامات، أنه قال: والله ما يقدر الأولياء يحيون ذباباً. فلما التقينا قلت له: ولا الأنبياء عليهم السلام؟ والله يقدرون على ذلك ولكن بقدرة الله، فانقطع عن الجواب والمراجعة في الخطاب، ثم رجع يقول: يجوز ذلك عقلاً.

فقلت له: إذا جاز ذلك في العقل لزم إمكان وقوعه، وهو المراد من المسألة والحمد لله.

ومن هذه الفرقة: المغيرية، قوم يقال لهم: الغرابية[١].

زعموا أن علياً أشبه بالنبي ﷺ من الغراب بالغراب.

وقد نقل عنهم: أنهم قالوا أخزاهم الله: أرسل جبريل عليه السلام بالوحي إلى علي ولكنه أخطأ بعدوله إلى محمد ﷺ.

المنصورية: أصحاب المنصور الملحد[٢]، زعم أنه صعد إلى السماء ومسح

---

(١) انظر: التبصير في الدين (٧٤).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٧٤)، الملل والنحل (١/ ١٧٨).

الرب سبحانه وتعالى عن قوله، رأس. بيده.

وزعم أيضاً، قاتله الله، أنه قال: يا بني اذهب فبلغ عني ـ بضم الموحدة من بُني تصغير ابن ـ تعالى الله عما يقول الملحدون والجاحدون علواً كبيراً.

قال بعض المصنفين في هذا الشأن: فصارت فرقته الآن إذا حلفت قالت: لا والكلمة، يعنون ما زعم الملعون أن الله، تعالى عن قوله، قال له: يا بُني.

وقالت المنصورية أيضاً: من قتل أربعين من أهل القبلة دخل الجنة، أخزاهم الله.

وأما السبأية: أصحاب عبد الله بن سبأ[1]، ذكروا أنه كان يهودياً من أهل صنعاء، فأسلم لا رغبة في الإسلام بل للإفساد بين الآنام.

قالوا: وهو الذي أغرا وثور النيران حتى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وقيل: إنه أول من قال بالرجعة إلى الدنيا، وأبطل الآخرة هو ورفقته كما قالت السحابية من أن علياً لم يمت.

وانفردوا بأن قالوا: ما هناك آخرة ولا قيامة سوى قيام القتلى، ويدور الزمان كما كان، ثم يعود الناس إلى الدنيا مستقبلين لأولها.

قالوا: فمن كان مضى في الدور الأول سلخت روحه سلخ البهيمة في الدور الثاني، لتعذر رجوعه فيها، ومن هؤلاء كان السيد الحميري، الشاعر القائل في تصحيح الرجعة إلى الدنيا حيث يقول:

إذا ما المرء شاب قد آل ... وعلله المواشط بالخضاب
فقد ذهبت بشاشته وأودى ... . . . فابك على الشباب
إلى يوم يؤوب الناس فيه ... إلى دنياهم قبل الحساب
فليس بعائد ما فات منها ... إلى أحد إلى يوم الإياب
أدير الدهران هذاك حق ... وما أنا بالنشور بذي ارتياب
لأن الله أخبر عن رجال ... حيوا من بعد دسّ في التراب

ومنهم: بشار[2]، الشاعر، كان يؤمن بالرجعة، ويكفر الأمم، ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، وقد ذكر ذلك بقوله:

---

(١) انظر عنهم: الفرق بين الفرق (٢٣٣)، التبصير في الدين (٧١).

(٢) انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٣/ ٣٨).

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

ومنهم: المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي خرج في الكوفة أيام ابن الزبير وغلب عليها هو وأصحابه وقتل بشراً كثيراً، فخرج إليه مصعب بن الزبير فقتله.

وكان لهم كرسي يستنصرون به، خدعهم به بعض الملحدين، وقال لهم: هذا كرسي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فصدقوه واشتروه منه بأربعة آلاف درهم، وغشوه بالديباج، وكانوا يقدمونه في الحرب بين أيديهم ـ فاعجب أيدك الله ـ من سخافة عقولهم، واعلم أن لهذه الفرق حماقات كثيرة عجيبة، وأشعار غريبة، وخطباً بليغة، أوهموا بها ضعفاء العقول، حتى أغووا بها كثيراً من العوام أولى الحماقات العظام، فبايعوهم عليها، عصمنا الله تعالى والمسلمين منها.

وأما فرقة الباطنية(١) وألقابهم، وسبب تلقيبهم بها، سيأتي إيضاح ذلك، إن شاء الله تعالى.

ويلقبون بـ: الخرمية، والقرامطة، والتعليمية.

وهم مفترقون أيضاً ست فرق: الكيسانية، والنصيرية، والجريرية، والطريفية، والإمامية، والإسماعيلية. هكذا ذكر بعض أهل السنة المصنفين في هذا الشأن.

وذكر الإمام أبو حامد الغزالي: أن لهم عشرة ألقاب: الباطنية، والقرامطة، والقرمطية، والخرمية، والخرمدينية، والإسماعيلية، والسبعية، والبابكية، والمحمرة، والتعليمية. فزاد فرقتين، ولم يذكر أبو حامد لهم ألقاباً سوى الألقاب المذكورة، وذكر غيره أن من ألقابهم: الملاحدة.

قال أبو حامد: ولكل لقب سبب:

أما الباطنية: فإنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظاهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية، وهي عند العقلاء الأذكياء نور وإشارات إلى حقائق خفية، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار، والبواطن والأغوار، وقنع بظواهرها متسارعاً إلى الاغترار كان تحت الأواصر والأغلال.

وأرادوا بالأصار: الأثقال والأوزار. وبالأغلال: التكليفات الشرعية. قالوا

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٢٨٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١١٩)، التبصير في الدين (٨٣).

بزعمهم: إن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه، بزعمهم.

قالوا: وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧].

قال: وربما موهوا بالاستشهاد عليه بقولهم: إن الجهال المنكرين للباطن هم الذين أريدوا بقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية ١٣] الآية.

قال: وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع، فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على التحكيم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين، أو تسقط البينة بموجب الألفاظ الصريحة، فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه، ولا يعول عليه.

قلت: هذه الآية التي استشهدوا بها الأنسب أن يكونوا هم من أهل العذاب المذكور فيها، لا من أهل الرحمة، لأن في الآية المذكورة: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: الآية ١٤]، وهم الذين غرتهم الأماني حتى جاء أمر الله بإسقاطهم التكاليف، وإبطالهم ظواهرها، وتركهم الأوامر والنواهي، وزعمهم أنهم قد بلغوا إلى حالة أسقطت عنهم التكاليف، وكل هذه المذكورات من جمل الأماني والغرور، فالعذاب المذكور في الآية بهم أليق وأنسب، هذا إذا اقتصرنا في الاستدلال على مجرد مفهوم الآية، وإلا فمعنا قواطع الكتاب والسنة وإجماع الأمة على كونهم مبطلين، بل من الدين مارقين، وأن العذاب إنما يستحقه من نحا نحو مذهبهم في جحد الشرائع والتلاعب بالدين.

وأما القرامطة[1]: فإنما لقبوا بها نسبة إلى رجل يقال له: حمدان قرمط، كان أحد دعاتهم في الابتداء، فاستجاب له في دعوته جماعة، فسموا: قرامطة، وقرمطية.

وأما الخرمية: فهو بالخاء المعجمة مضمومة، والدال مفتوحة، وفي آخره ياء النسبة.

ويقال لهم: الخرمدينية على ما ذكر من الضبط مع إسكان الميم، وكسر الدال المهملة وإسكان الياء المثناة في تحت.

قال الإمام أبو حامد: لقبوا بها نسبة لهم إلى حاصل مذهبهم وزبدته، فإنه راجع

(١) انظر: فضائح الباطنية للإمام الغزالي ص (١٢).

إلى طيِّ بساط التكليف، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين، وتسليط الناس على اتباع الشهوات، وطلب اللذات، وقضا الوطر من المباحات والمحرمات.

وقد كان هذا لقباً للمزدكية[١]، وهم أهل الإباحة من المجوس، الذين نبغوا في أيام قباذ وأباحوا النساء وإن كن من المحارم، وأحلّوا كل محظور في الشريعة فكانوا يسمون: خرمدينية، فهؤلاء أيضاً لقبوا بها لمشابهتهم إياهم في آخر المذهب، وإن خالفوهم في المقدمات، وسوابق الحيل والاستدراج.

وأما البابكية[٢]، فاسم طائفة منهم بايعوا رجلاً يقال له: بابك الخرمي.

قال أبو حامد: وكان خروجه في بعض الجبال بناحية أذربيجان، في أيام المعتصم بالله تعالى، فاستفحل أمرهم، واشتدت شوكتهم، وقاتلهم أفشين، صاحب حبس المعتصم، مداهناً له في قتاله، ومتخاذلاً عن الجد في قمعه، إضماراً لموافقته في ضلاله، فاشتدت وطأة البابكية على جيوش المسلمين حتى فرقوا جند المسلمين، وبدروهم منهزمين، إلى أن هبت ريح النصر واستولى عليهم المعتصم، المترشح للإمامة في ذلك العصر، فصلب بابك، وصلب أفشين بإزائه.

قال: وقد بقي من البابكية جماعة يقال إن لهم ليلة في كل سنة يجتمع رجالهم ونساؤهم، ويطفئون سرُجُهَم، ثم يتناهبون النساء، فيثب كل رجل إلى امرأة يظفر بها، ويزعمون أن من احتوى على امرأة بالاصطياد استحلها، فإن الصيد من أطيب المباحات.

قال: ويدّعون، مع هذا، نبوّة رجل كان من ملوكهم قبل الإسلام، يقال له: شروين.

وأما الإسماعيلية: فنسبتهم إلى إسماعيل بن جعفر رضي الله عنهما.

زعموا أنه إمامهم، وأن دور الإمامة انتهى إليه، إذ كان هو السابع من محمد ﷺ وأدوار الإمامة عندهم سبعة، وأكبرهم يثبتون له منصب النبوة، وأن ذلك يستمر في أعقابه ونسبه.

قال: وقد أورد أهل المعرفة بالنسب في كتاب الشجرة: أنه مات ولا عقب له.

وأما السبعية: فإنهم إنما لقبوا بها لأمرين:

أحدهما: لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة، وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر

---

(١) انظر: بغية المرتاد (١٥).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (٢٦٦).

الدور، وهو المراد بالقيامة، وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر لها قط.

والثاني: لقولهم إن تدبير العالم السفلي، وهو ما يحويه مقعر فلك القمر منوطة بالكواكب السبعة التي أعلاها زحل، ثم المشتري، ثم المريخ، ثم الشمس، ثم الزهرة، ثم عطارد، ثم القمر.

قال أبو حامد: وهذا المذهب مسترق من ملحدة المنجمين وملتفت هذا إلى مذاهب الثنوية في أن النور يدبر أجزاؤه الممتزجة بالظلمة بهذه الكواكب السبعة، فهذا سبب تسمية هذا اللقب.

وأما **المحمرة**: قيل: إنهم لقبوا بذلك لأنهم صبغوا الثياب بالحمرة في أيام بابك ولبسوها، وكان ذلك شعارهم.

وقيل: سببه أنهم يقررون أن كل من يخالفهم من الفرق وأهل الحق: حمير، وكان ذلك شعارهم.

قال أبو حامد: والأصح التأويل الأول.

وأما **التعليمية**، فإنما لقبوا بها لأن مذاهبهم مبدأها إبطال الرأي، وإفساد تصرف العقل، ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم.

ويقولون في مبدأ مجادلتهم لأهل الحق: العلم إما أن يعرف بالرأي وإما أن يعرف بالتعليم، وقد بطل التعويل على الرأي لتعارض الآراء، وتقابل الأهواء، واختلاف ثمرات نظر العقلاء، فينبغي الرجوع إلى التعليم والتعلم.

قال أبو حامد: وهذا اللقب هو الأليق بباطنية هذا العصر، فإن تعويلهم الأكبر على الدعوة إلى التعليم، وإبطال الرأي، وإيجاب اتباع الإمام المعصوم، وتنزيله في وجوب التصديق والاقتداء به، منزلة النبي ﷺ[١].

---

(١) كل ما نقل عن الغزالي رحمه الله من فضائح الباطنية.

بيان معتقد الباطنية في التكاليف الشرعية ومبتدأ ظهورهم في بعض الجهات، وتظاهرهم باستباحة المحرمات، وانتهاكهم الحرمات المعظمات مختصر الإمام أبو حامد، وغيره من أهل المقالات

قال أبو حامد: والمنقول عنهم الإباحة المطلقة، ورفع الحجاب، واستباحة المحظورات، واستحلالها، وإنكار الشرائع، إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك إذا نسب إليهم.

قلت: وقد نقل بعض المصنفين في هذا الفن من علماء اليمن أنهم تظاهروا بهذا المنسوب إليهم في قديم الزمن عندما استولوا على مواضع كثيرة من بلاد اليمن، سيأتي ذكرها، تغلبوا عليها بالحرب مع أهلها في جبال اليمن وتهامتها، وكان ذلك على يدي بعض دعاتهم، رجل من شياطينهم، يقال له: علي بن فضل من ولد جعفر بن سبأ، وكان مولده ومنشأه في قرية يقال لها جيشان، بالجيم والمثناة تحت، والشين المعجمة، وقيل: حيسان، بالحاء المهملة.

وهي ما بين عدن وصنعاء اليمن. وكان من أهل بيت تشيع، فرغب في علم الأدب وكان لسناً، جريء القلب، صبوراً، نظاراً، فانتحل مذهب الإمامية، ثم إنه حج في بعض السنين، وزار مسجد النبي ﷺ، ثم دعته نفسه إلى زيارة قبر النبي ﷺ، ومن بعده قبر علي، وقبر ابنه الحسين رضوان الله عليهما، فخرج مع الصادرين من حج العراق، فلما وصل إلى الكوفة وزار قبر الحسين رأى عنده زواراً كثيراً فاجتهد في البكاء والجزع وفي أولئك الزوار شيخ ينظر إليه ويراقبه ـ قيل إنه ميمون بن القداح ـ وهو أول من أظهر هذه المقالة على ما ذكروا، ولم يزل يرعى أحواله، ويتفرس فيه مدة مقامه هناك، فرآه كثير التوجع والبكاء والنحيب، فخلا به وبسطه من نفسه، وألقى عليه من مقالته فركن إليها ولازمه وبحث عما عنده فوجده على ما يحب، فذهب به إلى موضعه، وأخذ عليه العهد في كتم سره، ومضى به إلى الإمام المستور، الذي وَهَّمَ به أنه من أهل البيت وهو ولد بعينه دعا إليه، ونسبه إلى ذرية علي بن أبي طالب، على ما نقل عنه.

فقال له الشيخ: اعلم أن البيت يماني، والركن يماني، والدين يماني، ولن يقوم

هذا الدين الذي نحن عليه إلاَّ من ناحية اليمن، وكان عند هذا الإمام المستور رجل يقال له: أبو القاسم، مواظب معه على مراده.

فقال له: يا أبا القاسم، هذا الرجل الذي كنا نطلبه من لهج اليمن فما رأيك في الخروج معه إلى بلده، وتدعوان الناس إلى هذه المقالة.

فقال له: يا مولاي الأمر إليك فمر بما شئت.

فقال له: اعزم على بركة الله تعالى وعونه، وجهزهما داعيين له. وقال لهما: تصلان إلى عدن لاعة ـ بالعين المهملة ـ يعني موضعاً عند جبل مستور في بلاد حرار فإن منها يظهر أمرنا، وتعز دولتنا، ولقبه أبا القاسم بمنصور اليمن، فمضيا ودخلا مع الحاج مكة، حرسها الله تعالى، ثم خرجا إلى اليمن في أول سنة ثمان وستين ومائتين، فلما وصلا افترقا، فمضى علي بن فضل إلى ناحية بلده من جيشان وأبو القاسم إلى عدن لاعة فمكثا يدعوان الناس سراً، ويجدعان من انخدع لهما، ثم ظهرت مقالتهما سنة سبعين ومائتين، وأجابهما خلق كثير، فلم يزل أبو القاسم يحتال في طلوع جبل مستور حتى أدرك ذلك وأخرج منه من كان فيه، ثم بنى داراً، أو قال: حصناً، وجمع أصحابه إليه، وكثر عدده، واستجاب لعلي بن فضل بعض قبائل اليمن، وبنى حصناً في جبل السر ويافع، كما بنى صاحبه أبو القاسم في جبل مستور. فلما استقام لعلي بن فضل هذا مراده، جمع الجموع وسار بهم إلى مخلاف خدير ـ بالخاء المعجمة والدال المهملة والياء المثناة من تحت والراء ـ، فحارب أمير تلك الناحية، وهو أبو المغلس أحمد بن منصور، وهو إذ ذاك في حصن الدملود فاستنزله منها وحبسه ثم قتله في الحبس، واستعمل على البلد، ومضى إلى بلد ذي مناخ ـ بفتح الميم وبعدها نون وخاء معجمة في آخره ـ.

فحاصر الأمير جعفر بن إبراهيم المناخي في قلعة رَيمه ـ بفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحت ـ فاستنزله منها، واستولى على البلاد، فمضى جعفر إلى زبيد واستنجد بالأشاعر وغيرهم، ثم التقوا فهزم علي بن فضل جعفر بن إبراهيم ومن معه وقَتَلَ جعفراً، هو وولديه وابن عم له يقال له: أبو الفتوح.

ثم استعمل علي بن فضل على البلاد، وسار إلى إبْيَن، وأميرهم يومئذ محمد بن أبي العُلا الأصبحي، وهو نازل هناك في مدينة خنفر ـ بفتح الخاء المعجمة والفاء وسكون النون بينهما وفي آخره راء ـ، فحاربه فانهزم علي بن فضل هو وأصحابه إلى المواضع، فلما جن الليل قال علي بن فضل لأصحابه: إن محمد بن أبي العلا وأصحابه قد أمنوا، واغتبطوا بالظفر، فعودوا بنا عليهم، فرجع هو ومن صبر معه، فلم يشعر أهل خنفر إلا وقد دخل علي بن فضل وأضرموها بالنار، فخرج الأمير ومن معه

فأصاب محمد بن أبي العلا سهم فقتله، فأخذوه واحتزوا رأسه، وتوجه ابن فضل إلى داره فغنم منها أموالاً عظيمة، قيل إن مبلغ النقد ثمان مائة كيس، وأما الأمتعة والآلات والفرش والحلي والثياب والدواب، فغير محصى في حساب.

ثم سيّر جيشاً مع بعض أصحابه إلى المعافر ـ بالعين المهملة والفاء بين الألف والراء ـ ففتحها، فلما ظفر بها سار إلى صنعاء في عسكر نحو من عشرين ألفاً فدخلها، وقتل فيها خلقاً كثيراً، واستباح هو وعسكره ما كان فيها، وكان أميرها يومئذ: أسعد بن أبي يعفر. فانهزم إلى بعض بلاد همدان.

قلت: هي بالدال المهملة، وسكون الميم: قبيلة مشهورة.

وأما بالمعجمة وفتح الميم: فبلد في العجم.

ثم إن علي بن فضل استعمل عليها، وخرج بمن معه إلى قرية بشام ـ بفتح الموحدة والشين المعجمة ـ ولقيهم إلى هناك أصحاب منصور اليمن في جبل مستور، ثم ساروا جميعاً لحرب ابن الخطاب، فهرب منهم، فدخلوا بلده واستباحوا ما فيها.

ثم إن علي بن فضل نزل تهامة فلقيه أمر سُرْدُدٍ، إبراهيم بن محمد الأزدي، فهزمه، وفر هارباً إلى بلاد عكم فدخل علي بن فضل المهجم والكدر فاستباح ما فيها، ثم سار إلى مدينة زبيد وفيها أحمد بن محمد الأزدي، فقتل من كان فيها، وترك بعض عسكره، ولعله في المهجم والكدر أو خلف على المهجم والكدر أخو الأمير أحمد بن محمد الأزدي، فقتل من كان فيها. فبلغ علي بن فضل الخبر فانهزم حتى صار إلى مستقره، ثم بعث عسكراً مع اثنين من أصحابه لحرب أحمد بن محمد الأزدي المرادي، فحارباه فقتلاه وجماعة معه، واستولوا على بلاده فلما استقام لعلي بن فضل الأمر وشاع ذكره وجبا الأموال وقتل الرجال واستمكن من البلاد وأمن العدو، أظهر ما أبطنه أهل هذه المقالة، وأشاع ما كتموه. وقال لأصحابه: أنا الإمام المهدي الذي كنت دعوتكم إليه، فاحلقوا رؤوسكم. فحلق منهم قدر مائة ألف نفس، يظنون أن ذلك شيء من الدين، وأباح لهم كل ما حُرم عليهم. وقال لهم: إنما الجنة التي ذكرها الله في كتابه: الدخول في اللذات المكتومات عن هذا الخلق المنكوس، ولهذا سميت الجن جناً لاستتارهم عن أعين الناس، وقد أبحت لكم إظهارها. فصدقوه وانهمكوا في المحارم، وشرّع لهم شرائع.

وادعى بعد ذلك النبوّة، وأنه نبي نسخ الله تعالى به نبوّة غيره بتحليل ما حرم عليه، وتحريم ما أحلّ له.

وقال لهم: إني بعثت بالراحة السمحة، والاستباحة المحضة.

يعني بالراحة: العبادات.

وبالاستباحة: فعل المحظورات. متفق على ذلك خلق كثير.

وساروا إلى صنعاء، فأظهر بها ذلك، ثم مضى لقتال صاحب زبيد المظفر بن حاج أمير المقتدر بالله، فانهزم هو وأصحابه، ودخل علي بن فضل وأصحابه، وعملوا فيها المنكرات ثم سار إلى الحصيب وأمر جواريه أن يضربن بالدفوف على المنبر، ويغنين بشعر قال في أوله:

خذ الدف يا هذه واضربي وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب
فقد حط عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب

فأقام على ذلك إلى أن سنّ القُمصَ المفتوحات للنساء، وأنه أمر نساء صنعاء أن يخرجن من بيوتهن ويلبسن القمص المفتوحات، ويقفن صفاً واحداً، فلما فعلن ذلك دخل تحت ثيابهن من أول الصف إلى أن خرج من الجانب الآخر حتى تعورهن كلهن ـ أي نظر إلى عوراتهن ـ هكذا ذُكر، فاحتالوا في سمّه فسموه ومات. لا رحمه الله وعليه لعنته.

قالوا: ثم قام من بعده بقرمطيته ابنه محمد بن علي بن فضل، وأعطى أصحابه الأموال، فأجابوا له وأطاعوه.

فلما علم المسلمون ذلك تكاتبوا وتراسلوا في حرب هذا ـ محمد بن علي بن فضل ـ واجتمع الكبراء ومن معهم من العساكر، وساروا إلى الأمير أسعد بن أبي يعفر، فسار بهم وبمن معه إلى قتاله، فظفروا بمحمد بن علي، فأسره أسعد وقتل أصحابه، وأخذ أمواله، وسبا حُرمه، ومنهن أختان له، فوهب الأمير أسعد إحداهما لابن أخيه قحطان والأخرى لابن أخيه الخطاب.

ثم مضى بهذا ـ محمد بن علي ـ وعدد من أصحابه القرامطة الذين أسرهم معه إلى صنعاء في موكبه، فحبسهم، ثم أمر بهم فقتلوا، وأمر برؤوسهم فطليت بالصبر، وجعلت في صناديق، ثم بعث بها إلى أمير مكة، شرفها الله، فنصبت بمنى يوم التروية، ثم نصبت بعرفات يوم عرفة، ثم نصبت على أبواب مكة بأعلاها وأسفلها، وقطع الله دابرهم، وأظهر ما كتموا من فسقهم، وذلل قوتهم، فتحاشى أولو العقول مذهبهم، وعرفوا باطن مقالتهم، وأنها الكفر الصريح، ستروها بالكتمان مع ادعاء الإسلام، وموالات أهل البيت بزعمهم، فمن استمر على كتمان سرايرهم وأسرارهم سموه مؤمناً، ومن رجع إلى الإسلام سموه منافقاً وجنباً لا ترتفع جنابته إلاّ بالرجوع

إليهم، وتجديد العهود المؤكدة، ومن تظاهر بالذي أباحوه وانتهكوه من المحارم، سموه قرمطياً، وسبوه أقبح سب، وقرمطيتهم ثابتة لكنها مكتومة، وكأنهم ما يظهرون ذلك، إلا إذا ظهروا على بعض بلاد المسلمين، لا أظهرهم الله، كما تقدم في قصة علي بن فضل عند استيلائه على ما ذكرنا من بلاد اليمن، وكما فعل أهل المقالات أيضاً مما يطول ذكره، وها أنا أذكر لك تستعجب.

اعلم أن من جملة القرامطة: أبو طاهر، المتصف بنجاسة القلب والدين، فتظاهر بدين أبيه، وزندقته، وإلحاده وقرمطيته، وهو أبو سعيد بن الحسن بن بهرام، قام بحقوق دعوتهم، وانتهج طريق التشيع، وكان أنصاره رجال البحرين، وتنوخ، قتله غلامان له وهو في الخلى غيلة.

فقام بعده ولده أبو طاهر، فتبعه خلق كثير، وأعطاهم كثرة الأموال، فسام المسلمين الهلاك، وأذاقهم العذاب اليم، وأمرهم بترك الصلاة والصوم، وأباح لهم ارتكاب المحرمات، وكان يأمر أحدهم فيقتل أباه وابنه وأخاه تقرباً بزعمه إلى الله فيفعلون، ويسير بهم كل يوم إلى بلد من البلدان، فيقتل الرجال، ويذبح الأطفال، ويسبي النسوان، ويأخذ الأموال، ويسترق الأحرار، ثم سار بهم نحو البصرة، فقتل أميرهم، وحمل وقر عشرة آلاف جمل من الأمتعة، وقتل فيها خلقاً كثيراً، ثم اعترض للحاج، فقتل من قواد المقتدر بالله وأم المؤمنين، وغيرهم ممن كان معهم في طريق الحج من بني العباس، وذرية علي ومن الفقهاء، والقراء، وعطل التجار وغيرهم مما لا يحصيهم إلا الله تعالى، وأسر أمماً، وانفلت آخرون فماتوا في الفلوات ظمأ وجوعاً، وسبا كل امرأة وجدها معهم من المحصنات الخارجات لأمور الحج وزيارة مسجد النبي ﷺ، وأخذ سمسمة البيت الحرام فلم يحج في تلك السنة أحد.

ثم خرج الحاج في السنة الثانية من جميع البلدان في العَدد والعُدد والشوكة، فاعترضهم الشيطان أبو طاهر، وقتل رجالهم، وسبا نسائهم، وغنم أموالهم وأزوادهم، فبعث المقتدر بالله إليه جيشاً كثيفاً إلى الكوفة، فلما سمع بمقدمهم لقيهم بمن معه إليها، فالتقت الجيوش على مكان يقال له الخندق، فاقتتلوا يومهم ذلك، ثم اليوم الثاني، فانهزم جيش المقتدر، ودخل أبو طاهر الخبيث ومن معه إلى الكوفة من فورهم، فغلَبُوا عليها، وقتلوا فيها خلقاً كثيراً، وخرج من بقي هارباً، فورد الخبر إلى بغداد فخاف الناس خوفاً شديداً أن يَرد عدو الله بغداد، وانزعجوا انزعاجاً عظيماً، وأقام بالكوفة سبعة أيام، والقرامطة معه يستبيحون المحرمات، وحملوا ما كان فيها من الأمتعة ما لا يحد، ومضوا إلى مستقرهم في البحرين، وشاع الخبر في البلدان، وقويت شوكته، وزاد عتوه وفجوره، فلم يجسر أحد أن يستقر، ولم يحج، ثم سار

عدو الله من البحرين قاصداً نحو العراق بخلق كثير، ومعه الأموال والأثقال.

قيل: إنه كان معه أربعون ألف بعير خاصة نفسه في تلك الرحلة، ثلاثون ألفاً تحمل المال، والباقي للأثقال، وكان في سنة خمس عشرة وثلاثمائة، فورد الخبر إلى بغداد أنه قاصدهم، فكتب المقتدر بالله إلى بعض قواده بواسط أن يتقدم بالجيش إلى الكوفة، فتقدم في أربعة وعشرين ألفاً، فلقيهم أبو طاهر القرمطي بخيله ورجله، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم جيش الخليفة، وقتل القائد، وأخذوا جميع ما كان في المعسكر، فقويت شوكتهم، وازدادت حرمتهم، ودخل الأنبار وهيت والرحبة وهدم المساجد حيث كانت، وانقطع الحج من خوفه سبع سنين، ثم إن عدو الله قصد مكة في أيام الحج بجموعه فأتى وادي الأبطح غفلة يوم السابع من الحجة، فالتقى هو وأهل مكة بالأبطح واصطفوا للقتال، فما كانت إلا ساعة حتى انهزم المكيون وهرب أميرهم، وقتل منهم خلق كثير، وهرب الباقون على وجوههم، وضرب عدو الله أبو طاهر قباءً بالأبطح، ودخلت طائفة من أصحابه مكة، فقصدوا المسجد الحرام، فقتلوا من فيه من الناس، وانصرفوا فباتوا مع أصحابهم في الأبطح فلما كان يوم التروية دخلوا بأجمعهم مكة، ووقف عدو الله أبو طاهر بالأبطح فعاثوا بمكة وانتهكوا حرمتها، ووضعوا السيف في سائر الناس، فقتلوا الرجال، وسبوا النساء والصبيان، وأخذوا الأمتعة، والتجأ قوم إلى المسجد الحرام فدخلوا عليهم فقتلوهم، وكان عدد من قتل في المسجد ألفي رجل، وفي سائر مكة نحو عشرة آلاف، وهم بالأبطح يترددون، ومكة خالية خاوية، يقتلون كل من بقي فيها، فلما فرغوا من القتال، دخلوا المسجد وفتحوا الكعبة واقتلعوا جميع ما عليها من الذهب والفضة وما فيها من المحاريب المذهبة والمنقوشة المنطقة المضروبة عليها، واقتلعوا بابي الكعبة، فأخذوا ما عليها من صفائح الذهب، ثم عمدوا إلى الحجر الأسود فاقتلعوه بالمناقير وأخذوه معهم إلى الإحساء مكان في البحرين وكان مدة مكثهم بمكة ثمانية أيام، ثم ارتحلوا وساقوا معهم جميع ما أخذوه، ثم تراجع من هرب من الناس من أهل مكة إليها بعد مسير عدو الله وأصحابه أعداء الله القرامطة عليهم لعنة الله. فنظروا منظراً فظيعاً وأمراً شنيعاً، ودخلوا المسجد الحرام فوجدوا القتلى فيه ممرغين في موضع الطواف والحجر وسائر المسجد قد انتفخوا وجيفوا، فاجتمع رأي من حضر من الناس أن يحفروا خندقاً عميقاً في المسجد، ففعلوا ذلك وطرحوهم فيه، وطمسوا عليهم التراب رحمهم الله ورضي عنهم وأخرجوا من سقط في بئر زمزم، ونزحت حتى صفا ماؤها، وغسلوا الدماء من جوانبها، ومن جدار الكعبة والحجر وسائر المسجد، وبقي موضع الحجر الأسود مجوفاً لا شيء فيه، يتمسح الناس بداخله لا غير، فأقاموا على ذلك إلى أن استفدى خليفة ذلك الزمان

الحجر بخمسين ألف مثقال وأعاده حيث كان.

قلت: ونقل غير واحد من العلماء أن الملعون أبا طاهر المذكور قتل بفجاج مكة وظاهرها زهاء ثلاثين ألفاً، وسبا من النساء والصبيان نحو ذلك، وقتل في المسجد ألفاً وسبعمائة نسمة، ثم صعد على باب الكعبة رافعاً صوته قائلاً، قاتله الله:

أنا بالله وبالله أنا ... يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وأنهم ذهبوا بالحجر الأسود إلى هجر وبقي هنالك نيفاً وعشرين سنة.

وفي سنة ثلاث عشرة وأربع مائة تقدم بعض المصريين ـ يعني الذين تغلبوا على مصر من الباطنية ـ فضرب الحجر الأسود بدبوس ثلاث ضربات وقال: إلى متى يعبد الحجر ولا محمد ولا علي، فيمنعني محمد مما أفعله، فإني اليوم أهدم هذا البيت. فاتقاه أكثر الحاضرين، وكاد أن يَفلَتَ، وكان أحمر سميناً طويلاً، وكان على باب المسجد عشرة فوارس يبصرونه، ويسمعون كلامه فاحتبسه رجل ورماه بخنجر، ثم تكاثر الناس عليه فقتلوه وأحرق، وقتل جماعة ممن اتهم بمعاونته، وتخشن الحجر وتشقق، وتساقط منه شظايا يسيرة، فعجنت بالمسك وحشيت في الشقوق.

قال العلماء: قطعت خطبة بني العباس من مصر مائتي سنة وتسع سنين بخطبة بني عُبيد من الباطنية العبيديين، والدهم عبيد الله ـ الملقب بالمهدي ـ افترى أنه من ولد جعفر الصادق، وكان بسلمية من بلاد الشام ابتناها داراً، وسمَّاها المهدية وبعث دُعاة إلى اليمن وإلى المغرب ثم انتقل إلى المغرب واستولى على مملكتها، وامتدت دولته بضعاً وعشرين سنة، ثم مات اثنين وعشرين سنة وثلاثمائة في المهدية التي بناها، وكان يُظهر الرفض، ويبطن الزندقة.

قال أبو الحسن القابسي: قتل عبيد الله وبنوه بعده في دار النحر في العذاب أربعة آلاف رجل ما بين عالم وعابد ليردوهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت.

ثم خلفه القائم بأمر الله، ثم المنصور، ثم المعز لدين الله، ثم العزيز بالله، ثم الحاكم بأمر الله، وملك مصر، والشام، والحجاز، والمغرب، ثم الظاهر لإعزاز دين الله، ثم المستنصر بالله، ثم المستعلي بالله، ثم الحافظ لدين الله، ثم الظافر بالله، ثم الفائز بنصر الله، ثم العاضد لدين الله.

قلت: هكذا لقبوا أنفسهم.

قالوا: والعاضد المذكور آخر خلفاء الباطنية، وفي زمنه قطع الملك الناصر صلاح الدين خطبته بمصر، وخطب للمستضيء بالله من بني العباس، في أول سنة سبع وستين وخمس مائة، ثم استمرت الخطبة للخلفاء العباسيين.

ونقل أن العاضد مات غماً لما سمع بقطع خطبته في مصر وكان قد قلّد منصبه صلاح الدين يوسف بن أيوب المذكور، فلما وصل الخبر إلى بغداد زينت فرحاً وسروراً، وأرسل الخليفة بالخلع إلى الملك العادل، والملك الصالح، وهما: نور الدين، وصلاح الدين رحمهما الله.

وكان نور الدين بالشام، وصلاح الدين بمصر، تحت طاعة نور الدين، فلما توفي نور الدين استولى صلاح الدين على الشام أيضاً.

قالوا: وقطعت خطبة الباطنية أيضاً بالحجاز في سنة اثنين وستين وأربع مائة وأقيمت لبني العباس، والله أعلم.

بيان شيء من مقالات أخرى
مشتملات على الطامة الكبرى والزندقة العظمى

اعلم، عافاك الله وإيانا من جميع الضلالات في الدين والدنيا والآخرة، أني وقفت على كراسة[1] ذكر لي أنها من كلام الباطنية، ووجدت في أولها:

هذه نسخة من كتاب الباطنية، ووجدتها بعد أن وصلت من الشام إلى صنعاء اليمن في سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة.

ورأيت فيها كلاماً مشتملاً على كفر أعظم مما نقله الإمام أبو حامد الغزالي وغيره.

فلا أدري هل ذلك اعتقاد طائفة منهم، أو كلام بعض الزنادقة المجوس، أو بعض الكفار المجوس، لأنه صرح فيها بنكاح البنت والأخت.

وتنقص الملعون بالنبي ﷺ، وتكلم فيه بكلام من لم يصدق بنبوّته، وأخذ يوصي فيه بتعلم علم الشعبذة والتنجيم، وزعم أن ذلك علم الأنبياء عليهم السلام وناموسهم، فإن ما ثم وحي، وأن القرآن كلام محمد ﷺ، وأن الجنة استباحة ما حرّم الله تعالى، والنار ترك المحرمات، وفعل الواجبات، يعني جمل التكاليفات، وبالغ في الازدراء بمن يصلي ويصوم ويحج وغير ذلك مما اشتمل على عظيم الزندقة والسخرية بأحكام الدين وبالتكذيب بالنبوّة إلى غير ذلك مما لا يقوله منتمٍ إلى الإسلام.

ومن جملة كلام ذلك الخبيث والزندقة العظيمة حيث قال: وما العجب من شيء كالعجب من رجل يزن نفسه بعقل وما له دين ينتحله تكون له بنت حسناء، أو أخت

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٢٩٤) ستجد أنه أشار إليها.

حسناء، فيحرمها على نفسه، وهو إليها محتاج، ويدفعها إلى رجل أجنبي ينكحها، وكان بالواجب أن يكون ذلك الجاهل أحق بها، وأولى بابنته وأخته لأنه أولى بستر عورتها.

انظر إلى القدماء من المجوس هل كان ذلك عليهم محرماً.

أو ليس يروي الخلف عن السلف أن بني آدم كانوا يتزوجون أخواتهم، أفترى أن إلٰههم هذا أحلّ لهم هذا وحرّمه في وقت آخر، إن كان يفعل ذلك فما له يفعل شيئاً ويبدو له عنه بعد ذلك.

ومن لم يقبل منه عذبه.

ثم قال الملعون: اعتبر يا هذا، فإن في ذلك عبرة لك.

كل القصد لتعلم به بطلان ما يعتقدونه، وأي شيء أشنع من جمع يجتمعون ويشهدون على نكاح امرأة وبيع فرجها بالأثمان، وإطلاقها وإباحتها بالأجور. أو قال: بالأجرة للرجال.

انظر أيهما أحسن هذا، أو نكاح يكون مستوراً من الناس بغير ثمن ولا أجرة.

وزعموا أنه خلق الوجوه الحسان وركب شهوة الجماع في الخلق، وجعل في ذلك اللذة التامة، وجعل النساء للرجال، والرجال للنساء.

وقالوا: قد سبق في علمه أنه لا بد من الجماع ثم نهاهم عما خلقه لهم، وخلقهم له، وما قد سبق في علمه منهم، ويعاقبهم على ما خلقهم له، وخلقه لهم.

ثم قال الملعون لعنه الله: إن كان هذا هو العدل فالشدغ عادل في قضائه.

قلت: الشدغ ـ بالشين المفتوحة والغين المعجمتين والدال المهملة بينهما.

ثم قال الملعون: يا ويلهم ما لإلٰههم في منعهم ما هو أشهى، ولو انتفع الذكور بالذكور والإناث بالإناث كما يحبون يمتعون أنفسهم.

ثم قال الملعون: قد قال إلٰههم: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: الآية ٣٢].

وقد أطلق لهم صاحبهم نكاح من أحبوا من النساء إطلاقاً مصرحاً، ولكن بجهلهم عموا عن ذلك فقال: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: الآية ٣].

قيل له: هذا تثبيت للإباحة، لأنه لم يقل خماس وسداس وسباع وثمان، فيكون هذا إلى ما لا نهاية له، وإنما قال: مثنى وثلاث ورباع، وهو يريد العدد الكبير، كما

يقال: (أ ب ت ث) والمراد جميع حروف المعجم.

ثم قال عدو الله الملعون الذي هو بالزندقة مشحون: فمن أعجبه من إخوانه شيء من النساء وحسان الذكور فلا لوم عليه ولا خطر.

ثم قال عدو الله أخزاه الله: وهل الصلاة إلا الدعاء إلى أمرنا؟ وهل الزكاة إلا بث علومنا عند إخواننا الذين يتزكون بها؟ وهل الصوم إلاّ كتمان الأمر الجليل النفيس عن أهل الظاهر.

قلت: وقوله هذا مما يشهد أنه من بعض فرق الباطنية، ولكن كلامه الماضي والآتي وما أفحش فيه من عظم الزندقة، والاستهزاء بالأمور، لم ينقل مثله أبو حامد ولا نقله فيما علمت أحد من العلماء الأعلام.

ويحتمل أن كاتبه بعض المجوس أو البونية إلى بعض أهل الحماقة ممن يروم، ومادة كفره من الباطنية الذين نصروهم بهذا المذهب وندبوهم إليه.

ثم قال الملعون: وهل الحج إلاّ طلب هذا العلم الذي تشد رحال أهل العقول إليه، يا ويحهم ما لإلٰههم في أن يضع أحدهم جبهته وخدّه على الأرض ويرفع دُبره وما له في أن يجوعهم ويعطشهم، وما له في سعيهم حول البيت، وعدوهم حفاة عراة وهرولتهم ورميهم بالحجارة وتقبيل الحجر الذي لا يصلح إلاّ للاستنجاء. هكذا قال الزنديق لعنه الله وغضب عليه.

ثم قال عدو الله: وهل ما رأيت من صلواتهم وصيامهم وحجهم إلاّ عذاب عذّبوا به، ونقم انتقم منهم بها لجهلهم وعمى أبصارهم. ألم يسمعوا قول صاحبهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧] وذكر الآية إلى قوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧] وأوّلها عدو الله على وفق مذهبه الخبيث.

فإن قوله: قول صاحبهم، فإنه يشهد أنه من بعض الملل الخارجة عن ملّة الإسلام الكافرين بالنبي ﷺ.

وكذلك عَدّه الطاعات من الصلوات وغيرها من العبادات نقماً انتقم منهم بها، شاهد عليهم أنه لم يدخل قلبه الإيمان الذي تذوق القلوب حلاوته.

ثم قال الملعون في تأويل الآية الكريمة: الرسول: هو الراعي في كل عصر وزمان، وهو الأمي لأنه أم الله لمستجيبيه لأنه أمرهم بعد بلاغهم والثقة بهم بما يعرفون، وهو معروف عندهم من أكل الطيبات وشربها ولبسٍ ولا يحرمون على أنفسهم شيئاً من خمر أو ديباج أو حرير أو خز أو قز أو غير ذلك.

وينهاهم عن المنكر: وهو ما لم يعرفوه من هذه التكليفات.

ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. قال الملعون: وهي ما كلفوا من الصلاة والصيام والحج والجهاد. فهذا وما شاكله ثقل ثقيل، وأصرار وأغلال لازمة وعذاب أليم.

فإذا ارتقى المؤمن إلى أعلا درجات أهل الإرتقى سقط عنه العمل كله واستراح، فلا صوم عليه، ولا صلاة، ولا حج، ولا جهاد، ولا يحرم عليه شيء البتة من طعام أو شراب أو ملبس أو منكح.

ثم أشار عدو الله: أن ذلك جنة المؤمنين.

قال: ونار الكافرين وعقابهم هو ما حرّم عليهم من الطيبات، وكلفوه من هذه الأعمال التي هي إصر عليهم، وأغلال في أعناقهم، لا ينفكون منها، وعذاب المنافقين مثل ذلك.

وزيّن لهم الامتناع من المآكل الطيبة، والمشارب اللذيذة، والمناكح الوطيبة، وملازمة الحج، والقتال، وصلاة الليل والضحى، ولبس الخشن، وما أشبه ذلك.

وقد قال صاحبهم ـ يعني النبي ﷺ ـ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: الآية ٣٢].

ثم قال عدو الله: وانظر إلى دليل واضح في جهلهم، أن تحريم الطيبات عقوبة، وهو ما قال صاحبهم حكاية عن اليهود: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٦٠].

وقال في موضع آخر: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ إلى قوله: ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٦].

وقال في موضع آخر: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٦٣].

قلت: والعجب من حماقة هذا اللعين كيف استدل بتحريم الشيء على الفسق، يعني اعترافه بأنهم كانوا يفسقون، مع ما صرح به من اعتقاد رفع التكليفات، وذلك يلزم منه عدم الفسق مطلقاً، فكيف يفسقون ولا تكليف عليهم يقتضي وجوب الطاعة، والفسق هو الخروج عن الطاعة، فلولا أنهم خرجوا عن الطاعة التي كلفوها في فعل الواجبات وترك المحرمات لما سموا فاسقين.

فقد ظهر لك بهذا تعاقب كلامه وتناقضه.

ثم قال الملعون: وقال صاحبهم: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: الآية ٣٢]، وحرّم عليهم الخمر ولا شيء ألذ من شربها ولا أطيب، وحرم لحم الخنزير ولا شيء أطيب منه وأغذا للأبدان من أنواع اللحوم، أو قال: الطعوم، أو كما قال. وحرم لبس الديباج ولا شيء، أو قال: ولا ملبوس أحسن منه.

ثم قال عدو الله: وهل الجنة إلاّ هذه الدار، وهل الحور العين إلاّ نسوتنا، ألم تر إلى قوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الدخان: الآيات ٢٥-٢٨].

ثم قال لعنه الله: فأنت يا أخي وإخوانك الوارثون الدين، يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: الآية ٧٢].

فهنيئاً لكم بالراحة من الإصر، وثقل أعمالهم.

قلت: انظر إلى تناقض قول هذا الزنديق الأحمق، كيف يحكي قول الله عز وجل ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، ثم يقول: هنيئاً لكم بالراحة من إصر القوم، وثقل أعمالهم، فأقرّ بأنهم أورثوا الجنة بعملهم مع قوله فيما تقدم: إن الأعمال المذكورة هي: النار والعقاب والعذاب.

ثم قال الملعون الزنديق مغرياً عن الفجور والزندقة لذلك المخاطب: واعلم أني قد حللتك من عقالك، وأطلقتك من وثاقك، ويحل لك ولمن هو في درجتك ما هو محظور على هذا العالم المنكوس.

ثم قال: وأنا مخاطبك في هذا المعنى، مثل ما خُوطب به محمد بعينه، حتى ارتقى إلى منزلتك، وهو ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: الآية ٥] إلى قوله: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة: الآية ٥].

ثم قال الملعون: وهن اللواتي وصلن إلى الألوهية من جهة غيرك.

قلت: فقد نزل الملعون مخاطبه منزلة النبي ﷺ، ونزل نفسه منزلة رب العالمين، تبارك وتعالى عن هذا الكفر العظيم.

ثم قال لعنه الله بعد كلام طويل مشتمل على كفر عظيم، قال في آخره: واحذروا الشكر فيما ألقيته إليكم، فهذه وصيتي لكم مشتملة على جمل النواميس الطارقة للأنبياء على قدر عقولهم ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٤].

قلت: وقد نزل الملعون أيضاً نفسه منزلة الرب جلّ وعلا عن قول الجاحد، ونزّل صاحبه ـ في هذا الكلام ـ منزلة الكليم عليه أفضل الصلاة والسلام، بقوله: ﴿فَخُذْ

﴿مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٤]. إنما قاله بعد قوله لصاحبه: وعليك بالاجتهاد في معالجة فقير اليد، والأخذ بالعين، والشعبذة، فلن تخلوا من الحاجة إلى ذلك عندهم، ينسبونك عند ذلك إلى إقامة المعجزات، كما نسبوا قوماً تقدموا عليك بمعرفة أحاديث الأولين، وقصصهم، وطرائفهم، ليكون بيّنة أمرك في إرقائك على قدر ما يصلح لأهل زمانك، ترشد وتوفق، ويدوم على الأيام أمرك، ويعلو ذكرك، ويكون الداخل في أمرك بعدك أكثر من الداخل معك في حياتك، فتشيع بك، وعلى يديك وأيدي أمثالك أهل النجابة والعقل دعوة الحق ولك بذلك ولعقبك وذريتك ملكاً لا ينبغي لغيرك مثله.

قلت: وقد ذهب الملعون أيضاً في هذا الكلام إلى التخصيص بمرتبة السليمانية كما ذهب فيما قبل إلى المرتبة الموسوية، ومثل ذلك إلى المرتبة المحمدية، هذا في حق صاحبه، أما هو فكأنه يدعي النبوّة لصاحبه، والربوبية لنفسه، عليه لعنة الله ولعنة جميع البرية.

ثم قال الملعون أخزاه الله تعالى: ولشيخنا ـ يعني شيخ الزنادقة ـ الشيخ الجليل المقدس الذي هو التحقيق ـ روح القدس ـ كتاب نواميس الأنبياء ستر دجا، وقد قرنت نسختها بكتابي هذا لتقف عليه وتتأدّب ولتعلم أنه من أجلّ كتبنا وأعظمها رفعة عندنا كتاب التأديب والخاصة والبلاغ الأكبر، في تصانيفها إلى نهايته رمزاً وتصريحاً بالناموس الأعظم. اهـ.

وقد قدمت عن بعض المصنفين من أهل الحق في بيان مذاهب الفرق: أن الباطنية افترقت على ست فرق، ثم أذكر ما انفردت به كل فرقة منهم، وها أنا أشير إلى ذلك مختصراً.

الفرقة الأولى: الكيسانية[1]

أصحاب عبد الله بن كيسان، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته بالقول: بحياة محمد بن علي بن أبي طالب ـ المشهور بابن الحنفية ـ وأنه المهدي الذي يكون ظهوره في آخر الزمان.

قالوا: وهو الآن مستتر في جبل رضوى بقرب المدينة، ثم ذكروا أنه عن يمينه أسد وعن شماله نمر، وعنده عين من ماء وعين من عسل، وفي ذلك أبيات موضع الشاهد منها قول كثير عزة:

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٩١).

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيلَ يقدمها اللواء
تراه مخيِّماً بجبال رضوى مقيماً عنده عسل وماء

ويقولون هؤلاء بتناسخ الأرواح، وأنه من مات على غير مقالتهم رُكبت روحه في مسلاخ تقيمه. قالوا: إلاَّ أنَّا لا نعرفها بعينها بل أكثر ظننا أنها البغل والحمار، فصار كل من ملك بغلاً أو حماراً يعذّبه بالضرب والجوع والعطش ظناً منه أن فيه روح أبي بكر أو عمر أو عثمان رضي الله عنهم.

حكى بعض علماء السنة عن رجل منهم أنه كان له حماران، قد وقع عنده أن روح أبي بكر في أحدهما وروح عمر في الآخر، قال: وكان الأحمق لعنه الله قد سماهما باسميهما، وصار يعذبهما بالغداة والعشي بالضرب، فبينما هو ذات يوم يعذب الحمار الذي سمّاه عمر إذ رمحه فرما به على قفاه، وكان رجل من المسلمين ينظر إليه، فضحك وقال: لله درك يا ابن الخطاب هذه عادتك في الزنادقة.

الفرقة الثانية: أصحاب جرير بن سليمان الرقي، سموا به الجريرية[1]، أحد دعاتهم ـ هذا جرير ـ ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته: بجواز جمع أكثر من أربع نسوة في نكاح واحد، وجواز إعارة الجارية للوطء، وأنه يجب على من أحرم بالحج إذا أراد التحلل منه أن يحلق جميع شعر بدنه حتى لحيته، وأنه يحرم عندهم لحم الحوت.

قلت: هكذا أطلق الناقل عنهم، لكن هل يحرمون أكل الحوت مطلقاً أم على المُحرِم فقط، وأياً كان فهو من حماقة الدواب، المخالفة لنص الكتاب، وكذا مخالفتهم لنص الكتاب.

فما تقدم من الحماقة من جمعهم أكثر من أربع نسوة، وما ذكروا من إعارة الجارية والحلاقة لجميع شعر البدن حتى الذقن، والرد عليهم ظاهر من قوله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: الآية ٩٦].

وقوله تعالى قولاً جلياً: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: الآية ١٤].

وقوله الواضح من غير نزاع: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ﴾ [النساء: الآية ٣].

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٣٢)، التبصير (١٧).

وقول الحق أصدق القائلين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝﴾ [المعارج: الآيتان ٢٩، ٣٠].

وقول الحق المبين: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: الآية ٢٧].

واللحية ليست من الرأس، بدليل قول الله تعالى حاكياً عن هارون: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه: الآية ٩٤].

الفرقة الثالثة: الطريفية

أصحاب صالح بن طريف[1]، أحد عظمائهم.

قالت فرقته بنبوّته، فأعجبه ذلك، وشرّع لهم شرائع غير شرائع الإسلام فاتبعوها، فهذه من جملة مقالاتهم التي عنهم نقلوها.

الفرقة الرابعة: النصيرية[2]

قال بعض العلماء الناقلين لمقالاتهم ـ ولم يقع لي اسم شيخهم فأذكره ـ ولكنهم قالوا بإلْهية علي رضي الله عنه، كما قالت الغالية من الرافضة، وتولوا عبد الرحمٰن بن ملجم، أشقى العرب والعجم، قاتل الإمام علي رضي الله عنه.

قالوا: لأنه خلص روح اللاهوت من الجسد البراني المعبر عنه بالناسوت.

قال بعض أهل العلم من أهل اليمن في تصنيفه: ولقد حكى لي بعض علمائنا أنه كان بمكة، حرسها الله تعالى، فسمع رجلاً منهم يقول:

صلى الإلْه وسلما   على التقي ابن ملجما

قال: وهذا القائل للبيت كان لي صديقاً يتحدث معي، فلما سمعت مقالته هذه تجنّبته.

الفرقة الخامسة: الإمامية[3]

هكذا عدّهم بعض العلماء في تصنيفه من جملة فرق الباطنية، وهم الفرقة التي يقال لهم: الاثني عشرية.

قال: ويقال لها: القطعية أيضاً لزعمهم أن الإمامة من موت علي رضي الله عنه ومن محمد بن موسى إلى قيام محمد بن علي بن أبي طالب، صاحب الدور والقيامة، الذي زعموا أنه يأتي بشريعة جديدة.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ١٨٨).

(٢) الفرق بين الفرق (٢٥٢).

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٥٣).

وإنما لقّبوا أنفسهم بالإمامية، نسبة إلى الإمام الذي ينتظر، وأنه والى سائر أئمتهم المذكورين.

وزعموا أن لهم اثنا عشر إماماً، فلهذا يقال لهم: الاثني عشرية، كما يقال للإسماعيلية: السبعية، بزعمهم أن لهم سبعة أئمة.

قال بعض أئمتنا المحققين: الرافضة طوائف، المتوسطون منهم، المنتظرون للإمام على اختلاف لهم في تعيينه، قريب من عشرين قولاً.

ومنهم القائلون بتناسخ الأرواح، ولذلك يعذبون البغل والحمار والعنز لأن روح أبي بكر وعمر وعائشة انتقلت عندهم إليهم.

قال: ولا حمق ولا سفه ولا جهل يزيد على ذلك في الكذب وفي تخصيص بغل وحمار وعنز بالعذاب.

ومنهم القرمطية: يتعدون إلى مثلها في الشرائع.

ومنهم من يحرّم الكبريت، لأنه بزعمهم إنما نبت على دم الحسين.

ومنهم من يقول: بفناء الجنة والنار.

ومنهم من يقول: ببقاء الدنيا.

والقرآن يكذّبهم صريحاً في مواضع كثيرة يشق حصرها.

ومنهم من كفّر جميع الصحابة، وعلياً أيضاً، لأنهم جحدوا إمامته، وسلّم الأمر إليهم.

قال: ثم قال جمهورهم: إن علياً ومن معه رجعوا إلى الإسلام، إذ سلّوا السيف وقاتلوا.

ومنهم: ـ وذلك كله كفر صريح ـ من ضلّل الصحابة، ونسب علياً إلى العجز.

وأما الغلاة: الذين ادّعوا له الإلٰهية، فأولئك أفصحوا بالكفر ولم يتستروا.

ثم نقل عن الرافضة مطلقاً أشياء مما قدمت عن المعتزلة ـ يرجع بالقول إلى القول بالتحسين والتقبيح العقليين ـ منها: أنه يجب على الله تعالى ثواب الطائعين، وعقاب العاصين من أهل الكبائر.

ومنها: رعاية مصالح عباده.

ومنها: تعريض الأطفال على الآلام إلى أنفسهم.

ومنها: أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من أفعال خلقه.

ومنها: القول بخلق القرآن، وغير ذلك.

وعلى الجملة: فأصلهم الذي عليه يبنون، هو أصل كل إلحاد وتعطيل، وردّ الشرائع التي جاء بها المرسلون عليهم الصلاة والسلام، ودعوا إليها الآنام.

فهذه نبذة مختصرة من اعتقاداتهم في الأصول.

وأما الفروع: فنذكر أيضاً منها نبذة يسيرة، مما هو عنهم منقول.

روى الإمام الحافظ أبو حفص بن شاهين(١) في كتاب شرح مذاهب السنّة، بسنده إلى الإمام الجليل الشعبي(٢) رحمه الله أنه قال: أحذركم هذه الأهواء المضلة وشرها «الرافضة» لم يدخلوا في الإسلام رغبة فيه، ولا رهبة من الله عز وجل، بل مقتاً لأهل الإسلام، وبغياً عليهم، قد حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم: عبد الله بن سبأ، من يهود صنعاء، نفاه إلى ساباط وآية ذلك أن محنة اليهود محنة الرافضة، قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في ولد داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الخلافة إلاّ في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل سيف من السماء.

وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي من ولد علي وينادي مناد من السماء.

واليهود يؤخّرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى ذلك الوقت.

واليهود تميل عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون على النساء عدّة، وكذلك الرافضة.

واليهود حرّفوا التوراة، وهكذا الرافضة حرّفوا القرآن.

واليهود قالوا: فرض علينا خمسون صلاة، وهكذا قالت الرافضة.

واليهود لا يخلصون السلام على المسلمين إنما يقولون: السام عليكم، والسام الموت، وهكذا الرافضة.

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١١/ ٢٦٧).

(٢) انظر ترجمته في: شذرات الذهب (١/ ١٢٦).

واليهود يستحلّون أموال الناس كلهم كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله أنهم قالوا: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٧٥]، وكذلك الرافضة يستحلّون أموال أهل السنّة.

واليهود تسجد على قرونها في الصلاة، وكذلك الرافضة.

واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مراراً شبه الركوع، وكذلك الرافضة.

واليهود يبغضون جبريل عليه السلام، ويقولون: هو عدونا في الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي إلى محمد ﷺ وإنما أُرسل لعلي رضي الله عنه.

ووافقوا النصارى في خصلة وهي: أن النصارى ليس لنسائهم صداق، وإنما يتمتعون بهن، وكذلك الرافضة، يستحلّون نكاح نساء المتعة.

قال: وفضّلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين:

سئلت اليهود: من خير أهل ملّتكم، فقالوا: أصحاب موسى عليه السلام.

وسئلت النصارى: من خير أهل ملّتكم، فقالوا: حواري عيسى عليه السلام.

وسُئلت الرافضة: من شر أهل ملّتكم، فقالوا: أصحاب محمد ﷺ، وأمروا بالاستغفار لهم، فسبّوهم، والسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا تجاب لهم دعوة، حجتهم داحضة، وكلمتهم مختلفة، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله.

وروى ابن شاهين المذكور أيضاً بسنده إلى الإمام الجليل وكيع بن الجراح[١] قال: حدثنا مالك بن مغول[٢] قال: سمعت الشعبي يقول: لو كانت الشيعة من البهائم كانوا حمراً، ولو كانت من الطير كانت رخماً.

وقد قدمت عن أبي الفرج بن الجوزي رحمه الله أنه قال: للرافضة خرافات لا يسندوها إلى مسند، ولهم مذاهب في الفقه ابتدعوها تخالف الإجماع.

بيان شيء من فروع الرافضة المخالفة للإجماع، المستندة إلى الخرافات والاختراع

منها: أنه لا يجوز السجود إلاّ على ما هو من الأرض، أو من نبات الأرض، وأما الصوف والوبر فلا.

---

(١) انظر: الأعلام (٩/ ١٣٥).

(٢) انظر ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢).

وأما الاستجمار لا يجوز عندهم في البول، بل في الغائط خاصة.

ولا يجوز مسح الرأس إلا بباقي البلل الذي في اليد، فإن استأنف للرأس بللاً لم يجزه، حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة.

وقالوا: تحرم من زنى بها وهي تحت زوج أبداً، فلو طلقها زوجها لم يحل للزاني بها نكاحها.

وحرّموا الكتابيات، وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع ـ وإن وجد الشرط ـ وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور عدلين.

وأن من نام عن صلاة العشاء إلى نصف الليل، وجب عليه القضاء إذا استيقظ، وأن يصبح صائماً كفارة ذلك اليوم.

وأن المرأة إذا جزت شعرها فعليها كفارة قتل الخطأ.

وأن من شقّ ثوبه في موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين.

وأن من تزوج مزوجة وهو لا يعلم لزمه التصدق بخمسة دراهم.

وأن شارب الخمر، إذا حد في الثانية، قتل في الثالثة، ويحدّ شارب الفقّاع كشارب الخمر.

وأن قطع السارق من أصول الأصابع، ويبقى له الكف، فإن سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى، فإن سرق ثالثة خُلِّدَ حبسه إلى أن يموت.

وحرّموا دباغ أهل الكتاب، واشترطوا في الذبح استقبال القبلة.

ويمسحون أرجلهم في الوضوء لا يغسلونها.

وقول آمين في الصلاة يبطلها عندهم. وكذلك عندهم: أن صلاة الضحى بدعة، وأنه يجوز الجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء في الحضَرِ دائماً من غير سبب. وأن التكبير على الجنازة خمس لا يسقط الفرض بدونه.

وأن المتمع إذا أقام بمكة لا يصوم سبعة أيام حتى يمضي شهر.

وأن الضمان يبرىء الأصل، وأن المسلم يرث الكافر، وأن أحداً لا يرث بالتعصيب، وأن الأنبياء صلوات الله عليهم يورثون.

وأن العمة والخالة إذا رضيتا بنكاح الأخ والأخت انعقد.

وأن طلاق المحرم لا يقع، وأن الطلاق الثلاث واحدة، وأن أكثر مدة الحمل سنة، إلى غير ذلك من المسائل التي خالفوا فيها الإجماع.

الفرقة السادسة: الإسماعيلية[1]

نسبة إلى إمام مذهبهم، إسماعيل بن جعفر بزعمهم، كما تقدم.

قالوا: وهو الذي آل إليه السر الباطن الذي أنزل الله على رسوله ﷺ وأمره بكتمه عن جميع الناس إلاّ من رضيه، وخليفته علي بن أبي طالب ومن يخلفه من الأئمة المعصومين من ذريته، وكذا كل واحد من الأئمة أمر من يخلفه بكتمه إلى أن انتهى إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر.

قالوا: وذلك أن الله تعالى أمر نبيه محمداً ﷺ أن يختار من أمّته أفضلهم، ويعلّمه شطر ما أطلعه عليه ويستكتمه، فاختار بزعمهم علياً.

قالوا: ولأن إيجاب التأويل ونشر وجوه الحق سنّة الله في تركيب الخلق، ستراً للأخص، وإظهاراً للأحسن.

فعلي بن أبي طالب، صاحب الشطر الأخص، لأن عليه مدار الحكمة والأسرار المصونة.

والشطر الآخر، ظاهر التنزيل الذي أتاهم به الرسول ﷺ وهو كالقشر الساتر لما تحته من اللبّ. إلى غير ذلك من مقالتهم مما يطول ذكره من الخرافات والجهالات والحماقات.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠١)، الملل والنحل (٢/ ١٦٧، ١٩١).

بيان فرق المرجئة

سمّوا بذلك لقولهم بالإرجاء[1].

تقدم أن الفرق اثنتين وسبعين. أصلها أربع: الخوارج، والشيعة، والمعتزلة، والمرجئة.

وأن كل فرقة من الأربع، افترقت على ثماني عشرة فرقة، غير الشواذ.

وقد نجز ذكر الثلاث فرق وما تشعب منها، وبقيت الرابعة، وهي المرجئة.

أما ما تشعب منها من الفرق الثماني عشرة، أولها: الجهمية، والكرامية، والمريسية، والكلابية، والغيلانية، والنجارية، والإلهامية، والمقاتلية، واليونسية، والجعدية، والشبيبية، والثوبانية، والمهاجرية، والسوفسطائية، واللفظية، والسمرية، والصالحية والحشوية.

قلت: هكذا عدّ بعض المصنفين في هذا الفن الحشوية منهم.

وعلماؤنا أئمة الأصول يطلقون اسم الحشوية على القائلين بالجهة في حق الله جل جلاله، والحرف والصوت في كلامه تعالى.

ويسمونها أيضاً: الظاهرية، لجمودهم على الظاهر الذي يلزم منه المحال من التجسيم، والحدث في حق الكبير المتعال.

فهذه أسماء الفرق المتشعبة منها.

فمما أجمعت عليه: أنه لا يدخل النار إلا كافر فحسبُ، ولا يدخلها مؤمن البتة وإن عظمت ذنوبه.

واحتجوا بشبه من ظاهر عموميات في القرآن كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: الآية ١٣].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣)، الملل والنحل (١/ ١٣٩).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾ [الليل: الآيتان ١٥، ١٦].

وقوله تبارك: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: الآية ١٩].

قلت: ومذهبهم ومذهب المعتزلة ومتابعيهم، قد تباينا في جانبي التفريط والإفراط بياناً عظيماً.

فإن هؤلاء قالوا: أصحاب الكبائر من المؤمنين المصرّين على عظائم الجرائم لا يدخلون النار أصلاً بل مخلّدون في الجنة أبداً.

والمعتزلة قالوا: لا يدخلون الجنة أصلاً، بل مخلدون في النار أبداً، ولو لم يكن من الكبائر سوى واحدة إذا لم يتب مرتكبها حتى مات.

وزادت الخوارج على المعتزلة في الإفراط والغلو درجات. فقالوا: نكفر مرتكب ذنب واحد، أي ذنب كان، وكل الذنوب عندهم كبائر، ويحبط بذلك عمله إذا لم يتب من العصيان، ويستوجب بذلك الخلود أبداً في النيران.

وذهب أهل السنة إلى مذهب الحق الوسط المقتصد الأوسط بين مذهبي من فرط وأفرط، وهو: أن أصحاب الكبائر من المؤمنين بعضهم يدخل النار ثم يخرج منها بشفاعة سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، ولا يخلد في النار إلا الكافرين، وبعض العصاة يدخل الجنة ابتداء مع الطائعين بشفاعة المصطفى، أو غيره من الشافعين، والكل بفضل الله الكريم كما جاء في السنة الغراء، بل في الكتاب العزيز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: الآية ٤٨].

ذكر حقيقة الإيمان

وأنه اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

وأما مجرد التصديق بالقلب فلا يكفي التمكن من الأعمال، وبهذا نطقت الآيات الزاهرات: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: الآية ٢٢٧].

وأيضاً: فالقرآن الكريم والسنّة الصحيحة الإسناد يكذّبان ما ذكروه من المقالات والاعتقاد ويكفي من القرآن الكريم وكفى بقوله حجة ودليلاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: الآية ١٠].

ومن السنة قوله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله تعالى: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امْتَحَشُوا، وعادوا حمماً، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل

السيل» الحديث الصحيح[١].

وقد تقدم مع أحاديث أخرى، وأحاديث الشفاعة رواها ستة عشر من الصحابة.

وأما ما اختلفت فيه فرقة المرجئة فسنذكر شيئاً منه عند ذكر كل فرقة.

الفرقة الأولى: الجهمية[٢]

أصحاب جهم بن صفوان، أحد شيوخهم وعظماء شياطينهم.

ذهب هو وفرقته: إلى أن الإيمان هو التصديق بالله ورسوله، وبجميع ما جاء به من عند ربه فحسب، وإن لم يكن مع ذلك شهادة بلسان ولا إقرار بنبوّة ولا تأدية فريضة.

وزعموا أن إيمانهم كإيمان جبريل وسائر الملائكة والنبيين على جميعهم أفضل الصلاة والسلام.

حتى إنهم قالوا: لو قال أحد بلسانه لله تعالى ولد أو صاحبة أو شريك وهو يعتقد بقلبه خلافه فهو مؤمن ولا يضرّه ما ذكره بلسانه. وهذا القول باطل، بل كفر بإجماع المسلمين.

الفرقة الثانية: الكرامية[٣]

أصحاب محمد بن كرام، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

ذهب هو وفرقته: إلى أن الإيمان هو القول باللسان دون التصديق بالقلب. فمن نطق بالشهادة بلسانه، ولم يعتقد بقلبه، فهو مؤمن عندهم.

قلت: وهذا نقيض ما ذهب إليه جهم وفرقته، والكل باطل وضلال.

وزعموا أن المنافقين كانوا مؤمنين على الحقيقة.

فها هو قول الله تعالى وهو يذمهم صريحاً، من ذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: الآية ١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: الآية ٨٤].

---

(١) البخاري (٦/ ٢٧٠٤، ٢٧٠٧).

(٢) انظر: ميزان الاعتدال (١/ ١٩٧)، مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٤).

(٣) الفرق بين الفرق (٢١٥)، لسان الميزان (٥/ ٣٥٣).

الفرقة الثالثة: المريسية[١]

أصحاب بشر المريسي، أحد شيوخهم، وعظماء شياطينهم، ومصنفي كتبهم.

ذهب هو وفرقته في الصفات والإيمان إلى مذهب جهم وأصحابه، وكان يقول بخلق القرآن، وكذلك جهم.

وقد قدمت ذلك عنهم، وتكفير السلف لهم بذلك.

وكان جهم أيضاً: يثبت لله، تعالى عن قوله علواً كثيراً، علوماً حادثة متجددة بحسب تجدد الحادثات، يعلمها به، فجعل القديم محلاً للحوادث، وجاهلاً بها، قبل وجودها.

قال إمام الحرمين: وهذا خروج عن الدين، ومفارقة لجميع المسلمين، تعالى الله أن يكون محلاً للحادثات، بل هو عالم بجميع الكليات والجزئيات، ما وجد منها وما يوجد، بعلم واحد قديم لا يتعدد ولا يتجدد.

وقد ناظر المذكور السيد الفاضل عبد العزيز الكناني، من أهل السنة في قوله بخلق القرآن، بين يدي المأمون، فقطعه عبد العزيز وله في الرد عليه كلام في مصنف له أجاد فيه وأحسن فيما تصرف بالمناظرة.

وقد نقل أصحاب المقالات: أن بشراً هذا بلغه أن رجلاً إسكافاً في المدينة له معرفة بالمناظرة، فمضى إليه ذات يوم متنكراً راكباً حماراً، فلما وصل إليه وجده في دكانه، فنزل بشر عن حماره ودار من خلفه وهو لا يشعر به، حتى وضع يده على عينيه وقال له في أذنه: بلغني أنك نظار فإن كنت كما بلغني فأخبرني ما كان الله تعالى يرى قبل خلقه للخلق. فقال الإسكاف: يرى نفسه، ولزم بيده وقال: أظنك بشراً المريسي الذي يقال، وأطلق بشر يده وقال: نعم إنك نظار، ومضى.

قالوا: وكان بعد ذلك لا يمضي بشر إلى دار الخليفة حتى يمر بطريق الإسكاف المذكور، فيسلم عليه ويناظره، ويجتمع الناس عليهما يتعجبون منهما، وكان الإسكاف يقطع بشراً، فقال له يوماً: يا بشر، لزمني حقك، ووجب عليّ نصحك، فاتق الله وراجع نفسك وانهها عن غيها. فلم يقبل منه وأقام بشر أياماً لا يمر بالإسكاف فيسأل عنه، فقيل للإسكاف: إن بشراً مرض ومات فقال: إن الله سبق عليه الشقاوة.

وذكروا أنه رآه بعد موته ووجهه مسود، فقال له الإسكاف: يا بشر ما فعل الله بك؟ فقال: يا ليتني كنت قبلت موعظتك. قال الإسكاف: فرأيت حماره ينساخ به في

---

(١) انظر تاريخ بغداد (٧/٥٦).

الأرض فأمسك بيدي كالمستغيث بي فجذبتها عنه، لا رحمه الله.

وكان بشر هذا وأصحابه يقولون: السجود للشمس ليس بكفر وإنما هو أمارة له.

وهذا مخالف لقول الله تعالى ولإجماع المسلمين، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [النمل: الآية ٤٣] بعد قوله تعالى حكاية عن الهدهد لسليمان عليه السلام: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل: الآية ٢٤].

الفرقة الرابعة: الكلابية[١]

أصحاب عبد الله بن كلاب.

انفرد هو وفرقته بأن سيدنا موسى صلوات الله على نبينا وعليه لم يسمع لله سبحانه كلاماً، وإنما ألهمه الله تعالى إلهاماً.

وهذا باطل منهم مخالف لقول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية ١٦٤].

وقوله تعالى مخاطباً لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: الآية ١٤٤].

قلت: وأنه كما يجوز أن يرى سبحانه وتعالى من غير جسم ولا جوهر ولا عرض ولا جهة ولا مقابلة ولا اتصال أشعة، يجوز أن يُسمع كلامه تعالى منه من غير حرف ولا صوت عند أهل الحق المحققين الأئمة.

الفرقة الخامسة: الغيلانية[٢]

أصحاب غيلان، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم ورؤوس شياطينهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: العلم بحدث الأشياء ضروري، وبالتوحيد كسبي. والإيمان هو الإقرار باللسان فحسب.

وما ادعوه من الضرورة ظاهر البطلان وقد تقدم الكلام في حدوث العالم وكيفية الاستدلال.

وقُتِلَ عدو الله هذا ـ غيلان ـ في ولاية هشام بن عبد الملك بن مروان، بسبب مقاله في القرآن.

---

(١) انظر: الأبكار للآمدي (٥/ ٧١).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٧).

الفرقة السادسة: النجارية[١]

أصحاب الحسين بن محمد النجار، أحد شيوخهم وعظمائهم.

قال هو وفرقته كما قالت الجهمية: إن الإيمان بالله بالقلب يجزي عن العمل، فمن آمن بالله تعالى ولم يعمل شيئاً من الطاعات فإيمانه كإيمان الملائكة.

وهذا ظاهر البطلان، لا يحتاج إلى إقامة برهان، وسيأتي الاستدلال من حيث الجملة على حقيقة الإيمان.

الفرقة السابعة: الإلهامية

شيخهم مجهول لا يُعرف.

يزعمون هؤلاء: أن الأحكام إنما تعرف بالإلهام، وليس لله تعالى حكم في الحادثة، بل ما ألهمه المجتهد فهو الحق.

قال بعض العلماء: وأظن الحسبانية منهم لأنهم يقولون: إن الأشياء على التوهم والحسبان، ولا حق للحقيقة.

ولهذا روي أن رجلاً منهم دخل على المأمون ذات يوم وعنده ثمامة بن أشرس فقال المأمون لثمامة: كلمه، فقال له ثمامة: ما مذهبك؟ قال: إن الأشياء كلها على التوهم والحسبان. فقام إليه ثمامة فلطمه لطمة سودت وجهه فقال الرجل: يا أمير المؤمنين يفعل بي هذا في مجلسك وبحضرتك، فقال له ثمامة: وما فعلت بك، قال: لطمتني، قال: فلعلي إنما دهنتك بدهن البان، ثم أنشأ ثمامة يقول:

ولعل ما أبصرت من بيض ... الطيور كما لون الغراب
وعساك حين قعدت قمت ... وحين جئت من الذهاب
وعسى البنفسج زيبق ... وعسى النهاب من الشراب
وعساك تأكل من حر ... وطعمه طعم الكباب

قالوا: فعندما أنشد الأبيات المذكورة ضحك المأمون، وأمسك الرجل عن الكلام، وعن التظلم في شكواه لأمير المؤمنين لما رأى من انقطاع حجته في اعتقاده في التوهم.

قالوا: وثمامة هذا هو الذي قال له المأمون يوماً: بلغني يا ثمامة أنك توافقني في الرأي، قال: والله يا أمير المؤمنين ما استوحش لفقدك ولا آنس بمشاهدتك ولا بالبيت

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٩٠)، معجم المؤلفين (٤/ ٥٣).

بك قط إلا لك. فغضب المأمون من ذلك، وكان سيداً حليماً، فقال: يا ثمامة إن للملوك غضبات كغضبات الصبيان، ووثبات كوثبات الأسد، فإياك أن أقتلك في الغضب فلا ينفعك ندمي في الرضا. فمدح المأمون بعض الشعراء بحلمه.

وما من كرم رام إقدام عليه ... يراك إذا استقدمت إلا تأخرا
ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر ... وأحسن منه ما أسر وأضمرا
ويخشع إكباراً له كل ناظر ... ويأبى لخوف اللّه أن يتكبرا
إذا وعد المأمون صدق وعده ... فعالاً وإن أعطى الهبات وأكثرا

الفرقة الثامنة: المقاتلية

أصحاب مقاتل بن سليمان، من كبار المرجئة وعظمائهم، وليس هو المفسر المشهور من علماء التفسير. وإنما مقاتل هذا، قاتله الله، انفرد هو وفرقته بأن قالوا، تعالى الله عن قولهم: إن الله على صفة الإنسان ذو لحم ودم. على ما نقل عنهم أصحاب المقالات.

ونقلوا ذلك أيضاً عن الكرامية، تعالى الله الكبير المتعال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١].

الفرقة التاسعة: اليونسية[١]

أصحاب يونس، أحد شيوخهم ومصنفي كتبهم.

انفرد هو وفرقته على ما نقلوا عنهم، بأن قالوا: الإيمان هو المعرفة والخضوع والمحبة والإقرار بأنه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية ١١].

قالوا: فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن، وإن لم يأت بجميع الطاعات.

الفرقة العاشرة: الجعدية[٢]

أصحاب الجعد بن درهم، أحد شيوخهم، ومقدمي رؤسائهم، كان مؤدباً لمروان بن محمد، الملقب بالجعدي، غلب عليه اسم مؤدبه فلقب به، وكان يؤديه في أيام ولاية هشام بن عبد الملك، فبان له بعض زندقته، فنفاه إلى البصرة، وكان عليها إذ ذاك خالد بن عبد الله القسري، فرفع إليه خبره في يوم أضحى، فلما فرغ من خطبته وذكر أحكامها قال: أيها الناس، ارجعوا فضحوا ضحاياكم تقبّل الله منكم، وأما أنا

---

(١) انظر: الفرق (٢٠٢)، الملل والنحل (١/ ١٤٠).
(٢) انظر: الأعلام (٢/ ١١٤).

فإني مضح بالجعد بن درهم، إلى آخر كلامه. وكان ذلك بواسط وهو الصحيح الذي رواه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي، ورواه أيضاً إمام المحدثين الحافظ الجليل محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب خلق الأعمال.

وروى جماعة من الأئمة: أن الجعد أول من قال بخلق القرآن. قالوا: فلما نزل خالد بن عبد الله المذكور في خطبته ذبحه تحت المنبر، فاستحسن الناس منه ذلك، وقالوا: نفى الغل عن الإسلام.

الفرقة الحادية عشرة: الشبيبية[1]

أصحاب محمد بن شبيب، أحد شيوخهم.

انفرد هو وفرقته بأن قالوا: الإيمان هو الإقرار بالله تعالى، والمعرفة بوحدانيته، ونفي الشبه عنه فقط دون سائر الطاعات.

وزعموا أن إبليس، نعوذ بالله منه، كان مؤمناً وإنما كفر باستكباره عن السجود.

الفرقة الثانية عشرة: الثوبانية[2]

أصحاب أبي ثوبان، أحد شيوخهم.

قالوا كما قالت الفرقة الذين من قبلهم: إن الإيمان هو الإقرار والمعرفة.

وانفردوا بأن قالوا: ما لا يجوز في العقل لا يجوز أن يفعل. والاستدلال على بطلان حكم العقل في تحسينه وتقبيحه، ورجوع ذلك كله إلى الشرع.

قال بعض العلماء: ولو كان الحكم للعقل، والشرع تابع، لما جاز التزويج من الأجانب لأنه يقع في العقل أن يربي الرجل ابنته أو أخته ثم يزوجها من رجل يصنع فيها ما يصنع. وفي هذا قال بعض العلماء: الشرع جدع أنف الكبر، ومن فضله مخالفة النفس وكبرها. وحسن التواضع في هذا ما ذكر بعض المصنفين من المشايخ العارفين: أن بعض الصالحين من عبّاد بني إسرائيل، تزوج أم إنسان منهم فساعة دخل بها وقف ابنها على الباب ومعه إناء فيه ماء ينتظره حتى يخرج من عند أمه فيغتسل به، قال: فشكر الله له ذلك، يعني سعيه، واتخذه نبياً. هذا معنى نقله مختصراً.

الفرقة الثالثة عشرة: المهاجرية

اسم شيخهم مجهول.

قالوا كما قالت به المقاتلية، قاتلهم الله، من وصفهم، تعالى الله، بصفة

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٢).
(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٢).

الإنسان، كما تقدم.

وانفردوا بأن قالوا: يجوز على الأنبياء عليهم السلام فعل الكبائر إلا الكذب.

وقالوا: لا يوصف الله تعالى بالقدرة على غير ما فعل، نعم هو القادر والقاهر.

قلت: هكذا أطلقوا عنهم، ولعل ذلك مقيد بالقدرة على أفعال العباد كما هو مذهب المعتزلة ومن تابعهم. وأما عدم القدرة مطلقاً فهو مذهب الكفار الذين جعلوه تعالى غير مختار لفعل بل علّة الوجود ما سواه، وهم الفلاسفة والباطنية ومن وافقهم من طوائف الكفر.

الفرقة الرابعة عشرة: السوفسطائية[١]

اسم شيخهم مجهول أيضاً.

قالوا كما قالت الحسبانية: لا حقيقة للأشياء وأن جميع ما في الدنيا. . .[٢].

(١) انظر: قصة الحضارة (٧/ ٢١٢)، تاريخ الفلسفة اليونانية (٥٧).

(٢) انتهى الكتاب عند هذا الحد وسقط منه بقية الكلام عن السوفسطائية.

كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام
وبيان الفرق الضالة

لأبي الفرج جمال الدين ابن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

ترجمة مختصرة للمؤلف

هو المحدث الحافظ المفسر والفقيه الواعظ والأديب البارع والمؤرخ المشهور جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي. المعروف بابن الجوزي.

مولده

ولد ببغداد سنة ٥١٠هـ وقيل ٥٠٨هـ وقيل ٥٠٩هـ كما ذكر صاحب معجم المؤلفين (٢/ ١٠٠) وتوفي بها سنة ٥٩٧هـ ودفن بباب حرب، وهو مشارك في أنواع عديدة من العلوم في شتى أنواع الفنون.

نشأته

مات والده وله من العمر نحو ثلاث سنين فلم يؤثر هذا على نشأته، بل نشأ صالحاً وطلب العلم مجداً من صغره. وكان بدء أمره على يد خاله الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر السلاحي، وهو خاله.

ثناء العلماء عليه

قال فيه موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي: «ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ، وصنّف في فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب فنون، كان يصنّف في الفقه، ويدرس، وكان حافظاً للحديث».

قلت: ولابن الجوزي مصنفات كثيرة جداً، نذكر القليل جداً منها:

١ ـ تلبيس إبليس.

٢ ـ زاد المسير.

٣ ـ تذكرة الأريب في الغريب (غريب القرآن).

٤ ـ المنتظم في أخبار الأمم.

٥ ـ الناسخ والمنسوخ.

٦ ـ مناقب الإمام أحمد.

٧ ـ اللطائف في الوعظ.

٨ ـ سلوة الأحزان.

٩ ـ بحر الدموع.

١٠ ـ صيد الخاطر.

١١ ـ الأولياء.

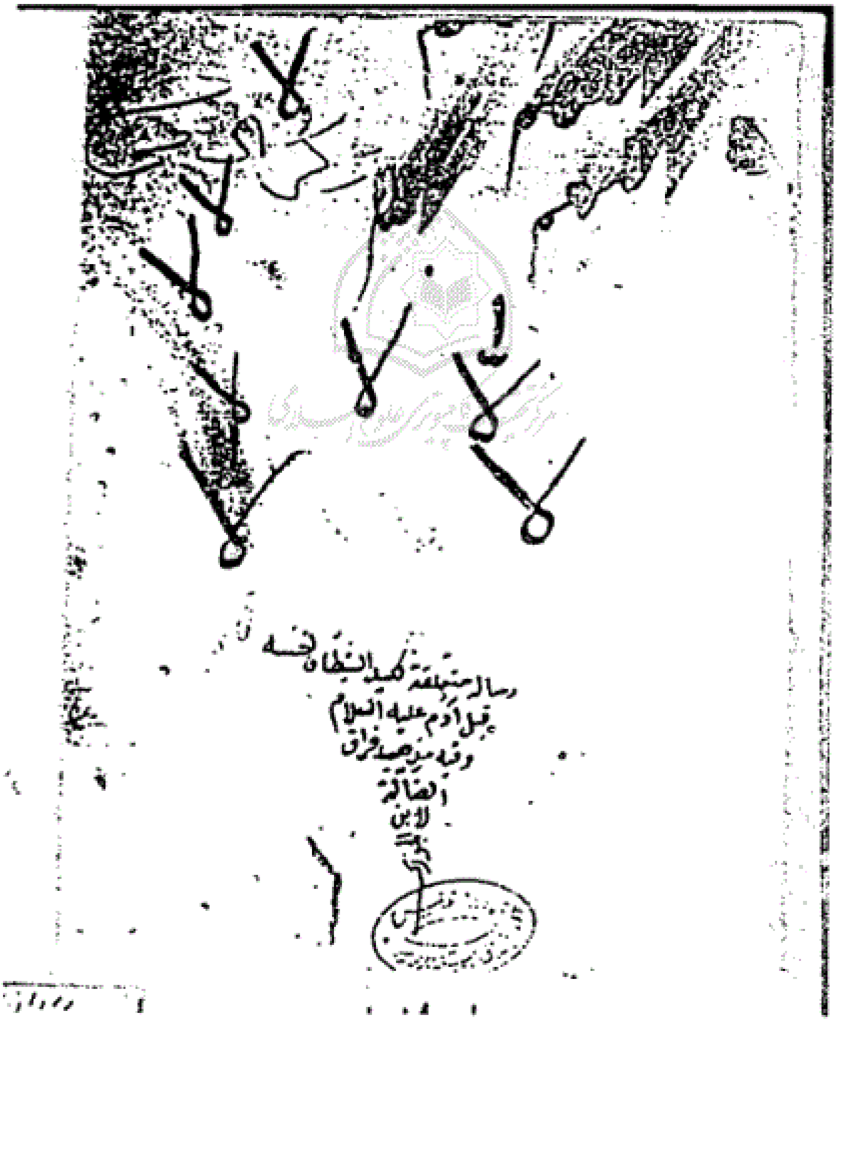
١٢ ـ التبصرة في أمور الآخرة.

١٣ ـ كشف الشبهات في المشتبهات.

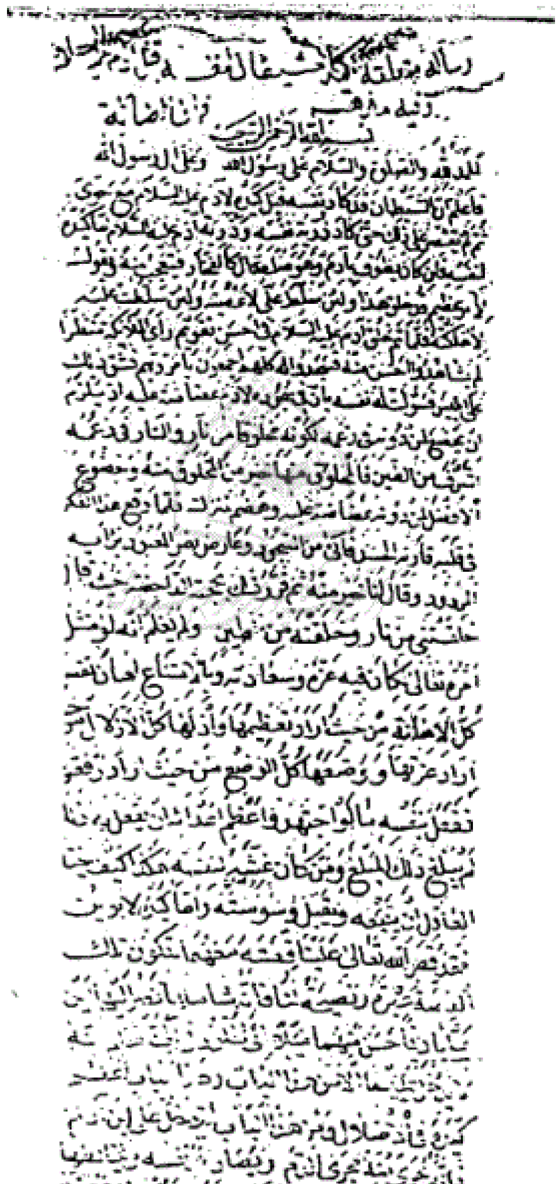
١٤ ـ أحكام ـ آداب ـ النساء.

وغيرها من المصنفات الكثيرة النافعة.

وانظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ (١/ ١٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٨٢)، وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤٠١)، والتكملة لوفيات النقلة للمنذري (٢/ ٢٩٢)، ومعجم المؤلفين (٢/ ١٠٠).


رسالة متعلقة بكيد الشيطان لنفسه
قبل آدم عليه السلام
وفيه من [illegible] فرق
الضالة
لابن

صورة الغلاف



صورة الصفحة الأولى


هذا لأن الناس العلم بالكتب وصاروا كالبهائم
لا يعرفون ما يلزمهم من عقائد
الدين وأحكام الإسلام ولا يميزوا
بين الحلال والحرام واشتغلوا
بجمع المال وأخذ الجاه
بالرشوة والوبال

تمت

رسالة مصافحة به متعلقة در

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله شارع الشرع القويم الذي أرسل رسوله للتبليغ والتعليم
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم أنا عزين النعيم [illegible]
وبعد فاعلموا أيها الإخوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا
وفي رواية إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفراه
غفر لهما [illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آل رسول الله

فاعلم أنَّ الشيطان قد كَادَ نَفْسَهُ قبل كَيْدِهِ لآدم عليه السلام مع حوّاء، ثم لم يقتصر على ذلك، حتى كَادَ ذرية نفسه وذرية آدم عليه السلام.

كَيْدُ الشيطان لنفسه

أما كيده لنفسه، فإنه كان يطوف بآدم وهو صلصال كالفخار، فيتعجب منه ويقول: لأمر عظيم قد خُلِقَ هذا، ولئن سُلِّط عليَّ لأعصينَّه، ولئن سُلِّطتُ عليه لأُهلِكَنَّه.

فلما تمَّ خلق آدم عليه السلام في أحسن تقويم، رأى الملائكة منظراً لم يشاهدوا أحسن منه، فسجدوا له كلهم أجمعون بأمر ربهم، فشقَّ ذلك على إبليس، فسوَّلت له نفسه بأن في سجوده لآدم غضاضةً عليه، إذ يلزم أن يخضع لمن دونه في زعمه، لكونه مخلوقاً من نار، والنار في زعمه أشرف من الطين، فالمخلوق منها خير من المخلوق منه، وخضوع الأفضل لمن دونه غضاضة عليه، وهَضْمٌ لمنزلته.

فلما وقع هذا الفكر في قلبه قارنه الحسد، فأبى من السجود، وعارض نص المعبود برأيه المردود، وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: الآية ١٢]، ثم قرر ذلك بحجته الداحضة حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٢]، ولم يعلم أنه لو امتثل أمره تعالى لكان فيه عِزُّهُ وسعادته، وبالامتناع أهان نفسه كل الإهانة من حيث أراد تعظيمها، وأذلها كل الإذلال من حيث أراد عِزَّتها، ووضعها كل الوضع من حيث أراد رفْعَتَها، ففعل بنفسه ما لو اجتهد أعظم أعدائه أن يفعل به ذلك لم يبلُغ ذلك المَبْلغ، ومن كان غِشُّهُ لنفسه هكذا، كيف يختار العاقل أن يتبعه ويقبل وَسْوَسَتَهُ؟.

كَيْدُ الشيطان للأبوين

وأما كَيْدُهُ للأبوين، فقد قصَّ الله تعالى علينا قصته معهما لتكون تلك القصة

عبرة ونصيحة لنا؛ فإنه شاملهما نظرٌ إليهما أين يميلان، فأحس منهما ميلاً إلى الخلود في الجنة، فعَلِمَ أنه لا يدخل عليهما إلاَّ من هذا الباب، وهذا الباب أعظم كيدِهِ في الإضلال، ومن هذا الباب دخل على ابن آدم؛ فإنه يجري منه مجرى الدم، ويصادف نفسه ويخالطها ويسألها عما تحبه وتؤثره، فإذا عرف مقصودها يستعين به على إضلال العبد.

فإن اللعين لما عرف أن الأبوين يريدان الخلود في الجنة، وعلم أنهما إذا أكلا من الشجرة المنهية تبدو عوراتهما، ويخرجان من الجنة، قال لهما: إني خُلِقْت قبلكما، وإني أعلم منكما، فاتبعاني أُرشدكما إلى شجرة الخلد. فخدعهما حيث سمَّى تلك الشجرة شجرة الخلد، فلما سماها شجرة الخلد وقال: هل أدلُّكُم على شجرة الخلد، قال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهية أن تأكلا منها وتُخَلدا في الجنة، ولا تموتا وتكونا كالملائكة الذين لا يموتون، وحلف لهما أنه ناصِحٌ لهما حتى اطمأن قلبهما به وأجاباه إلى ما دعاهما إليه، فجرى عليهما في المِحْنَة والخروج من الجنة ونَزْع اللباس عنهما ما جرى، وكان ذلك بكيده ومَكْرِهِ الذي جرى به القلم، وردَّ الله تعالى كَيدَهُ عليه، وتدارك الأبوين برحمته ومغفرته، وعاد عاقِبةُ مكره عليه ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: الآية ٤٣].

وظنَّ العدو أن الظفر والغلبة في هذه الحرب له، ولم يعلم بكمين جيش ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٣]، ولا بإقبال دولة ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: الآية ١٢٢].

والحاصل، أن العدوَّ بُلِيَ بالذنب، وأصر، واحتج، وعارض الأمر، وقدح في الحِكْمة، ولم يندم على المعصية، فلحقته الذلَّة واللعنة.

والحبيبُ[١] بُلِيَ بالذنب فاعترف وتابَ، وأُزِيل عنه العتاب، وقُبِلَ منه المتابُ، وفتح له من الرحمة والهداية كل باب.

كَيْدُ الشيطان لابْنَيْ آدم

ثم كادَ العدوُّ أحد ولَدَيْ آدم، فإنه لم يزل تلاعب به حتى قتل أخاه، وأسخط أباه، وعصى مولاه، وسنَّ قتل النفوس في الأرض، وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ما مِنْ نَفْسٍ تُقتل ظلماً إلاَّ كان على ابن آدم كِفْلٌ منها؛ لأنه أول من سنَّ القتل»[٢].

(١) هو آدم عليه السلام.

(٢) في البخاري (٣٣٣٥، ٦٨٦٧، ٧٣٢١)، ومسلم (١٦٧٧).

فإن العدو كادَ هذا القاتل بقطع رَحِمِهِ، وعقوق والديه، وإسخاط ربِّه، وظُلم نفسه، وعرّضه لأعظم العذاب، وحرمه من جزيل الثواب، ثم جرى الأمر على السداد والاستقامة، وكانت الأمة واحدة، والدين واحداً، والمعبود واحداً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾ [يونس: الآية ١٩].

قال ابن عباس: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٣] كانوا على الإسلام، وهذا هو القول الصحيح في الآية.

ورُوي عن ابن عباس: أن الناس كانوا أمة واحدة؛ كانوا كفاراً[١]، وهذا القول ضعيف جداً وهو منقطع عن ابن عباس، والصحيح خلافه.

المدَّة ما بين آدم ونوح من القرون

قال سعيد، عن قتادة: كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون، كلهم على الهُدى وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكموا به بين الناس فيما اختلفوا فيه[٢].

فإن العدو كادهم وتلاعب بهم حتى انقسموا قسمين: كفاراً ومؤمنين.

أوَّلُ من تلاعب بهم الشيطان هم عُبَّاد الأصنام

وكان أول من تلاعب بهم عبّاد الأصنام من جهة العكوف على القبور، وتصوير أهلها ليتذكروا بها، كما قصَّ الله تعالى قصتهم في كتابه فقال: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: الآيات ٢١-٢٣].

قال البخاري في صحيحه[٣] عن ابن عباس: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً، وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعْبد حتى إذا هلك أولئك، ونُسِيَ العلم عُبِدَتْ.

وقال ابن جرير، عن محمد بن قيس: إنهم كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أتباعهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى

---

(١) في تفسير الطبري (٢/ ١٩٤).
(٢) ابن جرير (٢/ ١٩٤).
(٣) رقم (٤٩٢٠) في كتاب التفسير.

العبادة إذا ذكرناهم، فصوَّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون بدا إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر فعَبِدُوا.

ولم يزل الأمر يشتد على ما قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً، فعصوه وكذّبوه، فأمره الله عز وجل أن يصنع الفُلْكَ، فصنعها وركبها، وغرق من غرق، فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جُدَّة، فلما نضبَ الماء بقيت على الشط، فسفَت الريح عليها التراب حتى وارتْها، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، فلم تزل تُعبد حتى بعث الله النبيَّ عليه الصلاة والسلام فهدمها وكسرَها.

ما الذي حَمَلَ العرب على عبادة الأصنام؟

قال ابن هشام(١): حدثني أبي: إن الذي حمل العرب على عبادة الأصنام والحجارة أن إسماعيل عليه السلام لما سكن مكة وُلِدَ له أولاد كثير حتى ملؤوا مكة، وضاقت عليهم ووقعت بينهم الحروب والعداوات، وأخرج بعضهم بعضاً وانتشروا في البلاد لطلب المعاش، وكان لا يذهب أحد إلاَّ احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابةً بمكة، فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالبيت حُبّاً للبيت وصبابة به، ثم عبدوا ما استحسنوه ونسوا ما كانوا عليه من دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام واستبدلوا به غيره، وعبدوا الأصنام، واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام وصاروا إلى ما كان عليه الأمم من قبلهم، ومع ذلك فيهم بقايا من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يتمسكون بها، من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعُمرة، والوقوف بعرفة والمزدلفة.

أوّل من بدَّل دينَ إبراهيم عليه السلام وسبب ذلك

كان أول من غَيَّر دين إبراهيم عليه السلام ونصب الأصنام عمرو بن لحي.

وسبب ذلك أن أمَّ عمرو كانت فهيرة بنت عامر بن الحارث، وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة، فلما بلغ عمرو نازعه في الولاية، وقاتل جرهم بني إسماعيل فظفر بهم، وأجلاهم عن الكعبة، ونفاهم من بلاد مكة، وتولى حجابة البيت، ثم إنه مَرِض مرضاً شديداً فقيل له: إن بالبلقاء من الشام حِمَّةً إن أتيتها برئت، فأتاها فاستحم بها فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال لهم: ما هذه التماثيل التي تعبدونها؟

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٩٥، ٩٦).

فقالوا: نستمطر بها فنُمطر، ونستنصر بها على العدو فنُنصر، فسألهم أن يعطوه منها، فأعطوه، فقدم بها مكة، ونصبها حول الكعبة، وأمر الناس بعبادتها وتعظيمها، وبهذا السبب اتخذت العرب الأصنام(١).

مَنَاةُ: أقدمُ آلهةِ العربِ!

وكان أقدمها مناةُ، وكان منصوباً على ساحل البحر بين مكة والمدينة، وكانت العرب كلهم يعظمونه، ويذبحون له، ولم يكن أحد أشر إعظاماً له من الأوس والخزرج.

قال ابن هشام(٢): كان الأوس والخزرج ومن جاورهم من أهل يثرب وغيرها يحجون ويقفون المواقف كلها مع الناس، ولا يحلقون رؤوسهم، فإذا نفروا كانوا يأتونه، ويحلقون رؤوسهم عنده، وكانوا لا يرون لحجّهم تماماً إلاَّ بذلك.

فبعث رسول الله ﷺ عام الفتح علياً فهدمها.

اللات: إله العرب بالطائف!

ثم اتخذوا اللات بالطائف، وهي أحدث من مناة، وكانت صخرة مرَّبعة، وكانوا بنوا عليها بيتاً، وكان سدنتُها من ثقيف، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها، فلم تزل كذلك حتى أسلم ثقيف، فبعث رسول الله ﷺ المغيرةَ بن شعبة، فهدمها، وخرقها بالنار.

ذِكْرُ العُزَّى

ثم اتخذوا العُزَّى، وهي أحدث من اللات، وكانت بوادي نخلة، فوق ذات عرق، وكانوا يسمعون منها الصوت.

قال ابن هشام: حدثني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أن العزى كانت شيطانة تأتي ثلاث سَمُرَات ببطن نخلة، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال: «ائت بطن نخلة، فإنك تجد فيها ثلاث سمرات، فأعْضِد الأولى»، فأتاها فعضدها، فلما جاء إلى النبي ﷺ قال له النبي ﷺ: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا، قال: «فأعضد الثانية»، فأتاها فعضدها، فأتى النبي عليه الصلاة والسلام، فقال له النبي ﷺ:

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٤٩).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٠٢، ١٠٣).

«هل رأيت شيئاً»، قال: لا، قال: «فأعضد الثالثة»، فأتاها فإذا هي بجنّيّة نافشة شعرها، واضعة ثدييها على عاتقيها، تضرب أنيابها، وخلفها سادنها، فقال خالد:

كُفرانكِ لا سُبحانكِ إني رأيتُ اللهَ قد أهانكِ

ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حَمَمَةٌ، ثم عضد الشجرة، وقتل السادن، ثم أتي النبي عليه الصلاة والسلام فأخبره بما رأى فقال عليه الصلاة والسلام: «تلك العزى ولا عزى للعرب بعدها».

وكان لقريش من غير هذه الأصنام في جوف الكعبة وحولها أصنام كثيرة منها:

ذِكْرُ هُبل!

هُبَلُ

قال ابن هشام: هو عندهم أعظمها، وكان من عقيق أحمر، على صورة الإنسان، مكسور اليد اليمنى، هكذا أدركته قريش وجعلوا له يداً من ذهب، وكان في جوف الكعبة، وفي قُدّامِهِ قِدَاحٌ، وكانوا إذا أرادوا أمراً من السفر وغيره أتوه، واستقسموا عنده بتلك القداح، ومنها:

ذِكْرُ إسَافٍ ونائِلة!

إسافُ ونائِلة

قال ابن هشام: كان إساف رجلاً، ونائِلة امرأة، كلاهما من جرهم، وكانا يتعشقان في أرض اليمن، فأتيا الحج، فدخلا البيت، فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت وفَجَرَا فيه، فمُسِخا حَجَرَيْن، فأصبح الناس فوجدوهما ممسوخَيْنِ، فأخرجوهما، فوضعوهما عند الكعبة ليتعظ الناس بهما، فلما طال الزمان وعُبدت الأصنام عُبِدا مع سائر الأصنام.

فإن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً، وجعل يطعن بقوسه وجهها وعيونها ويقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[1] [الإسرَاء: الآية ٨١]، وهي تتساقط على رؤوسها، ثم أمر بها فأُخرجت من المسجد وأُحرقت.

---

(١) في البخاري (٢٤٧٨، ٤٢٨٧، ٤٧٢٠)، ومسلم (١٧٨١)، أحمد في مسنده (١/ ٣٧٧).

قِصَّة إسلام عمرو بن الجَمُوح رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: كان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم، وكان اتخذ في داره صنماً من خشبٍ، فلما أسلم فتيانٌ من بني سلمة، كانوا يدخلون بالليل على صنمه فيحملونه ويطرحونه منكَّساً على رأسه في بعض حُفَر بني سلمة، فيها عذرات الناس، فإذا أصبح عمرو ولم يجد صنمه في موضعه يغدو يلتمسه، فإذا وجده يغسله، ويطهره ويطيِّبه، ويقول: والله لو أعلم مَنْ فعل بك هذا لأخزينه، فإذا أمسى ونام كانوا يفعلون بصنمه مثل ذلك، فيغدو يلتمسه، ويجد فيه مثل ما كان في المرة الأولى من الأذى فيغسله ويطهره ويطيبه، فإذا أمسى كانوا يفعلون به كذلك، فلما طال عليه استخرجه من حيث أَلْقَوْهُ، فغسله وطهَّره وطيَّبه، ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه، ثم قال: والله إني لا أعلم من يصنع بك هذا، فإن كان فيك خيرٌ فهذا السيف معك فامْتَنِعْ.

فلما أمسى ونام غدوا عليه، وأخذوا السيف من عُنُقِه، ثم وجدوا كلباً ميِّتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذرات الناس، وأصبح عمرو ولم يجده في مكانه، فخرج يلتمسه فوجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه هكذا تعجب من شأنه، وكلَّمَهُ بعض مَنْ أسلم من قومه، فأسلم وحَسُنَ إسلامه.

بعض مخازي عبادة الأصنام في الجاهلية

وهكذا كان لأهل كلِّ وادٍ صنمٌ في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قَدِم من سفره ودخل منزله كان أول ما يصنع أن يتمسح به.

وكان الرجل إذا سافر ونزل منزلاً أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها واتخذه ربّاً، وجعل الثلاثة الباقية أثافي لِقِدْرِهِ، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك.

قال مهدي بن ميمون: سمعت أبا رجاء يقول: كنا في الجاهلية نعبد الحَجَرَ، فإذا وجدنا حجراً أحسن منه، كنا نأخذه ونُلقي الأول، وإذا لم نجد حجراً جمعنا حفنة من تراب، ثم جئنا بغنم فحلبنا عليه، ثم طُفْنا به(١).

وقال أبو رجاء أيضاً: كنا نعمِد إلى الرمل، فنجمعه ونَحلب عليه ونعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً، ثم نُلقيه.

---

(١) انظر: الحلية لأبي نعيم (٢/ ٣٠٥).

صُوَرُ تلاعُبِ الشيطان بالمشركين

وتلاعُبُ الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم، فدعا طائفة إلى عبادتها:

من جهة تعظيم الموتى:

الذين صوَّروا تلك الأصنام على صُورِهم، كما تقدم عن قوم نوح عليه السلام، وهذا السبب هو الغالبُ على عوام المشركين.

وأما خواصهم فإنهم اتخذوها على صور الكواكب المؤثرة في العالم ـ عندهم ـ وجعلوا لها بيوتاً وسدنة.

فمن تلك البيوت بيتٌ بصنعاء بناهُ بعض المشركين على اسم الزهرة فخرَّبه عثمان بن عفان، ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم، وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك: الهند.

قال يحيى بن بشر: إن شريعة الهند وضعها رجل من المشركين؛ فإنه وضع لهم أصناماً، وجعل أعظم بيوتها بمدينة من مدائن السند، وجعل فيه صنمهم الأعظم، وفُتحت تلك المدينة في أيام الحجاج، فأراد المسلمون قلع الصنم، فقيل لهم: إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من المال، فأمر عبد الملك بن مروان بتركه.

فالهند تحجُّ إليه من نحو ألفي فرسخ، ومن يحجه لا بد له أن يحمل معه من النقد ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا أقل ولا أكثر، فيلقيه في صندوق عظيم هناك، ويطوف بالصنم، فإذا ذهبوا ورجعوا إلى بلادهم كان يُقسّم ذلك المال أثلاثاً، فيُجعل ثلثه للمسلمين، وثلثه لعمارة المدينة وحصونها، وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه.

مشركو الصابئة؛ هم قوم إبراهيم عليه السلام

وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة، وهم قوم إبراهيم عليه السلام وأهل دعوته الذين ناظرهم في بطلان الشرك، وكَسَرَ حُجَّتَهم بعلمه، وآلِهَتهم بيده، وكانوا أمة كبيرة من الأمم الكبار، ومذهبهم مذهب قديم في العالم.

أقسام الصابئة[1]

وكانوا قسمين:

---

(١) انظر كتاب: موسوعة الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني ص(١٢٣ـ ١٢٧).

١ ـ صابئة حنفاء.

٢ ـ صابئة مشركون.

والمشركون منهم يُعظِّمون الكواكب السبعة، والبروج الاثنى عشر، ولتلك الكواكب عندهم هياكل[١] مخصوصة، هيكل للشمس، وهيكل للقمر، وهيكل للزهرة، وهيكل للمشتري، وهيكل للمريخ، وهيكل لعطارد، وهيكل للزحل.

وهذه الهياكل هي المتعبدات الكبار لهم كالكنائس للنصارى والبِيَع لليهود، ولهذه الكواكب عندهم عبادات مخصوصة، فإنهم يصورونها في تلك الهياكل ويتخذون لها أصناماً تخصُها، ويقرّبون لها القرابين، ولها عندهم في اليوم والليلة صلوات خمسٌ كصلوات المؤمنين، وطائفة منهم يصومون شهر رمضان، ويستقبلون الكعبة في صلواتهم، ويعظمون مكة، ويرون الحج إليها، يحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير، ويحرمون من القرابات في النكاح ما يحرمه المسلمون، وعلى هذا المذهب كان جماعة من أعيان الدولة ببغداد.

وأصل دين هؤلاء فيما زعموا أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم، ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وفعلاً، وهم قد خرجوا عن تقيدهم بحملة كل دين وتفصيله إلاّ ما رأوه فيه من الحق؛ فإنهم شاركوا جميع الأمم وفارقوهم.

والحنفاء منهم شاركوا أهل الإسلام، والمشركون شاركوا عباد الأصنام ورأوا أنهم على صواب، وأكثر هذه الأمة فلاسفة، فعلى هذا هم فِرَقٌ شتى: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون، وصابئة يأخذون بمحاسن ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقيد بملّة ونحلة، ثم منهم من يقرُّ بالنبوات جملة، ويتوقف في التفصيل، ومنهم من يقرُّ بها جملةً وتفصيلاً، ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلاً، وهم كلهم يقرون بأن للعالم صانِعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن العيوب والنقائص.

ثم المشركون منهم يقولون: لا سبيل لنا إلى الوصول إليه إلاّ بالوسائط، فالواجب علينا أن نتقرب إليه بتوسط الروحانيات القريبة منهم، وهم الروحانيون المقدسون عن المواد الجسمانية والقوى الجسدانية، قد جُبلوا على الطهارة، فنحن نتقرّب إليهم، وبواسطتهم نتقرّب إليه، فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عند رب الأرباب وإله الآلهة. ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُمَر: الآية ٣].

فاللازم علينا أن نُطَهِّرَ نفوسنا عن الشهوات الطبيعية، ونهذِّب أخلاقنا عن الرذائل

---

(١) المرجع السابق (١٤٦).

البهيمية حتى يحصل بيننا وبينهم مناسبة، وتتصل أرواحنا بهم، فحينئذ نسأل حاجاتنا عنهم ونعرض أحوالنا عليهم، ونرجع في جميع أمورنا إليهم فيشفعون إلى إلٰهنا وإلى إلٰههم، وهذا التطهير والتهذيب لا يحصل إلاّ بالاستمداد منهم؛ وذلك بالتضرع والابتهال والتقرُّب إليهم بأنواع العبادات من الصلاة والصدقات وذبح القرابين، فحينئذ يحصل لنفوسنا استعداد في الأخذ من المعدن الذي أخذ منه الرسل من غير واسطة الرسل، فيكون حكمنا وحكمهم واحداً، ونحن وإياهم بمنزلة واحدة؛ فإن الأنبياء أمثالنا في النوع وشركاؤنا في المادة، وأشكالنا في الصور؛ يأكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، وما هم إلاّ بشر مثلنا يريدون أن يتفضلوا علينا.

وزاد الملاحدة الوجودية على هؤلاء بما قال شيخهم ابن عربي(١): إن الولي أعلى درجة من الرسول، لأنه يأخذه من المعدن الذي يأخذه منه الملك الذي يأخذ منه الرسول، فهو أعلى منه بدرجتين، والمعدن عندهم هو العقل، والملك هو الخيال، والخيال تابعٌ للعقل، وهم ـ بزعمهم ـ يأخذون عن العقل الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ عن الخيال الذي هو تابعٌ للعقل، ولهذا صاروا عند أنفسهم فوق الرسول؛ فجعلوا أنفسهم وشيوخهم في التلقِّي أعلى من الرسول بدرجتين، وإخوانهم من المشركين جعلوا أنفسهم في ذلك التلقي بمنزلة الأنبياء، ولم يدَّعوا أنهم فوقهم؛ بل كفروا بالأصلين الذين جاء بهما الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم:

أحدهما: عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

والثاني: الإيمان برسله، وبجميع ما جاؤوا به من عنده تعالى.

وهذا ليس مختصاً بمشركي الصابئة، بل هذا مذهب المشركين من سائر الأمم أيضاً.

---

(١) هو الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المرسي المعروف بـ (ابن عربي). ولد في مرسية بالأندلس في رمضان، وتوفي رحمه الله تعالى في دمشق في ٢٢ ربيع الآخر ودفن بسفح قاسيون وهو من كبار مشايخ التصوف.

ولقد تخبط المصنف في قوله: (الملاحدة الوجودية) فإنه لم يفهم كلام القوم (الصوفية) كما هو معروف عنه تخبطه في كثير من العلماء كما نقل الذهبي في السير (٢١/ ٣٨٢، ٣٨٣)، قال ما نصه: إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنّة ـ يعني في الاعتقاد ـ ولا طريقته فيها. وقال أيضاً: وكانت تنفلت منه في بعض الأوقات كلمات تنكر عليه في السنة. اهـ.

كما رد عليه العلاّمة إسحاق بن أحمد العُلثي السلفي، فكان مما جاء فيها: «ثم تدعي أن الأصحاب خلطوا في الصفات فقد قبّحت أكثر منهم وما وسعتك السنة، فاتق الله سبحانه ولا تتكلم فيه برأيك» اهـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٩ـ ٢١١).

فليس من الغريب أن يقع في غير الصحابة رضوان الله عليهم ويؤول الكلام على حسب ما يظهر لعقله لا ما ينبني على الأصول وقواعد الدين كما بيّنه أهل العلم.

أنواع الأصنام التي اتخذها المشركون آلهة، وبيان حالهم معها

لكن شرك الصابئة كان من جهة الكواكب والعلويات.

فمنهم عُبَّاد الشمس؛ زعموا أنها ملكٌ من الملائكة، لها نفسٌ وعقل، وهي أصل نور القمر وسائر الكواكب، وتكوُّن الموجودات عندهم منها، وهي عندهم مِلْك المَلَك وتستحقُّ العبادة، ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لنا صنماً بيده جوهر على لون النار، وله بيت خاص بَنَوْهُ باسمه، وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع، وله سَدَنَةٌ وحَجَبَةٌ وقُوَّام يأتون البيت، ويصلُّون فيه لها في اليوم ثلاث مرات، ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويُصلُّون عنده، ويدعونه، ويستشفون به، وهم كلهم يسجدون له إذا طلعت الشمس، وإذا غربت، وإذا توسطت الفُلْك، ولهذا نهى النبي ﷺ عن الصلاة في هذه الأوقات قطعاً لمشابهة الكفار وسدّاً لذريعة الشركِ وعبادة الأصنام.

وطائفة أخرى منهم اتخذوا صنماً آخر للقمر، وزعموا أنه يستحق العبادة، وإليه تدبير هذا العالم السُّفْلِيِّ، ومن شريعتهم في عبادته أنَّ الصنم الذي اتخذوه له إنما هو على شكل عِجْلٍ، بيده جوهر، وهم يعبدونه، ويسجدون له، ويصومون له أياماً معلومة من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب، والفرح والسرور، ويأكلون ويشربون عنده، فإذا فرغوا من الأكل والشرب يأخذون في الرقص والغناء وأصناف المعازف بين يديه.

ومنهم من يَعْبُدُ أصناماً أُخر اتخذوها على صور سائر الكواكب، وبنوا عليها هياكل ومتعبدات، لكل كوكب هيكل يخصُّه، وعبادة تخصه.

ما الذي حمل العرب على عبادة الأصنام

والذي حمل كل هؤلاء على عبادة الأصنام:

١ ـ أنهم لمَّا لم يثبت لهم طريق في العبادة إلاّ بشخصٍ خاص، على شكلٍ خاص، ينظرون إليه، ويعكفون عليه؛ وضعوا الصنم موضع معبود غائب، وجعلوه على شكل صورة رجل ليكون نائباً مَنَابَهُ وقائماً مقامه، وإلاَّ فمن المعلوم الظاهر أن عاقلاً لا ينحتُ خشبة أو حجراً بيده، ثم يعتقد أنه إله ومعبود.

٢ ـ ومن أسباب عبادتها أيضاً أن الشيطان يدخل فيها، ويخاطبهم منها، ويخبرهم ببعض المغيِّبات، ويدلُّهم على بعض ما يخفى عليهم، وهم لا يرون الشيطان، فجهلتهم يظنون أن المتكلم هو الصنم نفسه، وعقلاؤهم يقولون: هذا روحانية الأجرام العلوية.

والحاصل أن أكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام، ولم يتخلص منها إلاَّ الحنفاء أتباع الرسل عليهم السلام، وعبادتها في الأرض من زمن نوح عليه السلام، وهياكلها ووقوفها وسدنتُها والكتب المصنَّفة في شرائع عبادتها طِبْق الأرض، ويكفي في معرفة كثرتهم وكونهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام: «إنَّ بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون»[(١)].

بعض صور الكيد الشيطاني لابن آدم

ومن كَيْدِه وتلاعبه بالمشركين أنه زيَّنَ لقوم منهم عبادة الملائكة فعبدوهم، ولم تكن عبادتهم في الحقيقة لهم، بل كانت للشيطان، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: الآيتان ٤٠، ٤١].

ومن كيده وتلاعبه ما تلاعب بعُبَّاد النار حتى اتخذوها إلْهاً معبوداً، قيل: كان هذا من عهد قابيل على ما ذكره أبو جعفر محمد بن جرير[(٢)] أن قابيل لما قتل أخاه هابيل، وهرب من أبيه آدم عليه السلام أتاه إبليس، وقال له: إنما قُبِلَ قربان هابيل وأكلته النار؛ لأنه يخدمها ويعبدُها، فانصب أنت ناراً فاعبدها. فبنى بيت نارٍ وعَبَدَها. وهو أول من نَصَبَ النار للعبادة، وسَرَى هذا المذهب في المجوس، وبنوا لها بيوتاً كثيرة، واتخذوا لها الوقوف والسَّدَنَة، ولا يدعونها تخمد لحظة واحدة، ولهم في عبادتها شرائع يأخذون بها، وهم فرق شتى، منهم:

ذِكْرُ فِرَقِ المجوسِ

١ ـ المَزْدَكِيَّةُ: وهؤلاء يرون الاشتراك في النساء والمكاسب كالاشتراك في الهواء والطُّرُق وغيرها. ومنها:

٢ ـ الخَرَمِيَّةُ: وهم شَرُّ طوائفهم، ولا يُقرُّون بصانع ولا معادٍ، ولا نبوَّةٍ ولا كتاب، ولا حلالٍ ولا حرامٍ.

وعلى مذهبهم طائفة القرامطة، والإسماعيلية، والبشتكية، والنصيرية، والزردية، وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم فاطمية[(٣)]، وهم أكفر الكفار.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣)، مسلم (٢٢٢) من حديث أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر ترجمته في السير للذهبي (١٤/ ٢٦٧)، والخطيب في التاريخ (٢/ ١٦٣).

(٣) انظر نبذة عنهم في: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٠٧ـ ٢١٤).

فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب، ويتفاوتون في التفضيل، والمجوس شيوخهم وأئمتهم وقدوتُهم؛ وإن كان المجوس متقيّدون بأصل دينهم وشرائعهم، وهؤلاء لا يتقيّدون بدين من الأديان، ولا بشريعة من الشرائع.

فلسفة عُبَّاد النار

ثم إن عباد النار يفضلونها على التراب، ويُصوِّبون رأي إبليس، ويقولون: إنها أوفر العناصر خيراً، وأعظمها جرماً، وأوسعها مكاناً، وأشرفها جوهراً، وألطفها جسماً، ولا كون في العالم إلاّ بها، ولا نمو إلاّ بها، ولا انعقاد إلا بممازجتها.

مذاهب طوائف عبَّاد النار في عبادتهم إياها

ومن عباداتهم لها أنهم يحفرون لها أُخدوداً مربعاً في الأرض، ويطوفون به، وهم أصناف مختلفة، فمنهم:

١ ـ من يحرّم إلقاء النفوس فيها، وإحراق الأبدان بها، وهم أكثر المجوس.

٢ ـ وطائفة أخرى بلغت عبادتهم لها أن يقرّبوا أنفسهم وأولادهم لها، وهم أكثر ملوك الهند وأتباعهم، ولهم سُنَّة معروفة في تقريب نفوسهم لها وإلقائها فيها، فيعمد الرجل الذي يريد أن يفعل ذلك بنفسه أو بولده، فيجمّله ويلبسه أحسن اللباس وأفخر الحُلْي، ثم يركبه أعلى المراتب، وحوله المعازف والطبول والبوقات، فيُزَف للنار أعظم من زفاف ليلة عُرْسِه، حتى إذا قابلها وهي تأجّج يطرح نفسه فيها، فيصيح الحاضرون صيحة واحدة بالدعاء له وغبطِه على ما فعل، فلا يلبس إلاّ قليلاً حتى يأتيهم الشيطان في صورته وشكله وهيئته، بحيث لا ينكرون منه شيئاً، فيأمرهم بما فعل، ويوصيهم بالتمسك بذلك الدِّين، ويخبرهم أنه صار إلى جَنَّةٍ ورياض وأنهارٍ، ولم يتألم بمسّ النار، فلا يهوّلنهم ذلك، ولا يمنعهم عن أن يفعلوا مثله.

٣ ـ ومنهم زُهَّادٌ وعُبَّادٌ يجلسون حول النار، صائمين لها، عاكفين عليها، ومن سُنَنِهِم الحث على الأخلاق الجميلة كالصدق والعدل والعفة والوفاء والأمانة وترك أضدادها، ولهؤلاء في عبادتها شرائع ونواميس وأوضاع لا يخلون بها.

عُبَّادُ الماءِ

ومن كيده وتلاعبه ما تلاعب بطائفة أخرى حتى عبدوا الماء من دون الله تعالى، وزعموا أن الماء أصلُ كل شيء، وبه كل ولادة ونمو ونشوء وطهارة وعمارة وما من عمل في الدنيا إلاّ ويحتاج إلى الماء.

ومن شريعتهم في عبادته أن رجلاً منهم إذا أراد عبادته يتجرد ويستر عورته، ثم يدخل فيه حتى يصير إلى وسطه، فيقيم هناك ساعة وساعتين أو أكثر بقدر ما يمكنه، ويكون معه ما يمكنه أخذه من الرَّياحين، فيقطِّعُها صغاراً، فيلقها فيه شيئاً شيئاً وهو يسبِّحه ويمجِّده، فإذا أراد الانصراف يحرك الماء بيده ثم يأخذ منه فيضعه على رأسه ووجهه وجسده ثم يسجد له وينصرف.

عُبَّادُ الحيوانات

ومن تلاعبه، تلاعبُه بعبَّاد الحيوانات، فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات.

الدَّهريون وإنكارُهُم البَعْثَ

ومن تلاعبِه، تلاعبُه بالدهرية، وأنهم قومٌ عطَّلوا المصنوعات عن صانِعها، وقالوا ما حكى الله تعالى عنهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجَاثيَة: الآية ٢٤].

فهؤلاء المعطِّلةُ حقاً، وهم فحول المعطلة، وقد سرى هذا التعطيل إلى سائر فِرَقِ المعطلة، على اختلاف آرائهم وتباين أقوالهم في التعطيل، كما سرى داء الشرك تأصيلاً وتفصيلاً في سائر فرق المشركين على اختلاف ضلالهم وتباين مذاهبهم فيه، وكما سرى جَحْدُ النُّبوَّات تأصيلاً وتفصيلاً في سائر فرق من جحد النبوة أو صفة من صفاتها، وهذه الفرق الثلاث سرى داؤها وبلاؤها في الناس في هذا الزمان، ولا ينجو منها إلاَّ أتباعُ الرسول عليه الصلاة والسلام والعارفون بحقيقة ما جاء به، المتمسكون به ظاهراً وباطناً دون ما سواه.

فَدَاءُ التعطيل، وداءُ الشرك، وداءُ مخالفة الرسول، وجحدُ ما جاء به أو شيء منه هي أصل بلاءِ العالم، ومنبع كل شر، وأساس كل باطل.

وليست فرقة من فرق أهل الإلحاد والبدع إلاَّ وقولها مشتق من هذه الأصول الثلاثة أو من بعضها.

فهذه البلايا الثلاثة قد سرت في كثير من طوائف الفلاسفة لا في جميعهم.

أصل كلمة «فلسفة»

لأن الفلاسفة: جَمْع الفيلسوف؛ وهو اسم جنس لمن يحب الحكمة؛ لأن أصلَه فيلاسوفا. فـ: فيلا: هو المحب، و: سوفا: هي الحكمة. ومنه اشتقت الفلسفة، بمعنى محبة الحكمة.

والحكمة نوعان: قولية وفعلية.

فالقولية: قول الحق.

والفعلية: فعل الصواب.

وكل طائفة من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها، وأصح الطوائف حكمة من كانت حكمتهم أقرب إلى حكمة الرسل التي جاؤوا بها عن الله تعالى، إذ هي الحكمة المتضمنة للعِلْم النافع والعمل الصالح، المشتملة على الهُدى ودين الحق.

والفلاسفة بزعمهم يأخذون بمحاسن ما دلّت عليه العقول، وعقلاؤهم يوجبون اتباع الأنبياء وشرائعهم، وبعضهم لا يوجبون ذلك ولا يحرمون، وسفهاؤهم وسفلتهم يمنعون ذلك.

ولهذا، لم يكن هؤلاء من الأمم المستقلة التي لها كتاب ونبي، وقد صار هذا الاسم في عُرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلاّ إلى ما يقتضيه العقل في زعمه، وأخصُّ من ذلك أنه في عُرف المتأخرين صار اسماً لأتبَاع أرسطو وهم: المشآؤون.

وهم الذين هذَّب ابن سينا طريقتهم، وبسطها، وقررها، وأراد تقربها بدين الإسلام بجهده، وغاية ما أمكنه أن يُقَرِّبها، وهي التي يعرفها، بل لا يعرف غيرها.

المتأوِّلون من المتكلمين

وهؤلاء فرقة شاذة من فرق الفلاسفة، ومقالتهم واحدة من مقالاتهم، حتى قيل: ليس فيهم من يقول بقدم الأفلاك غير أرسطو وشيعته، وهو أول من عرف أنه قال بقدم هذا العالم.

والأساطين قبل كانوا يقولون بحدوثه وإثبات الصانع ومباينته له.

وكذلك الأساطين منهم متفقون على إثبات الصفات والأفعال الاختيارية له تعالى، كما ذكره فيلسوف الإسلام في وقته أبو البركات البغدادي[1]، وقرره غاية التقرير.

وكذلك أساطينهم ومتقدموهم كانوا معظِّمين للرسل وشرائعهم، موجبين لاتباعهم، خاضعين لأقوالهم، ومعترفين بأن ما جاؤوا به طور آخر وراء طور العقل،

---

(١) انظر ترجمته في: السير للذهبي (٢٠/ ٤١٩)، وكشف الظنون (١٧٣١)، وهدية العارفين (٢/ ٥٠٥، ٥٠٦).

وأن عقول الأنبياء وحكمتهم فوق عقول العالمين وحكمتهم.

وكانوا لا يتكلمون في الإلٰهيات، يُسلِّمون بأن الكلام فيها إلى الرسل، ويقولون: علومنا إنما هي الرياضيات والطبيعيات وتوابعها، وكانوا يقرُّون بحدوث العالم.

مَنْ أرسطو؟

وقد حكى أرباب المقالات أن أول من عُرف عنه القول بقدم هذا العالم: أرسطو، وكان مشركاً يعبُدُ الأصنام، ودرج على أثره أتباعه من الملاحدة، متستراً باتباع الرسل مع كونه منحلاً عن كل ما جاؤوا به، وأتباعه يعظِّمونه فوق ما يُعَظَّم به الأنبياء، ويرون عرض ما جاء به الأنبياء على كلامه!!! فما وافقه منها قَبِلُوه، وما خالفه لم يعبئوا به شيئاً، ويسمونه: المعلم الأول؛ لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، وله في الإلٰهيات كلام كله خطأ من أوله إلى آخره، وجاء فيه بما يسخر منه العقلاء، حيث أنكر أن يكون الله تعالى يعلم شيئاً من الموجودات وقرر ذلك، وأنه لو عَلِم شيئاً لكَمُلَ بمعلومات ولم يكن كاملاً في نفسه، وكان يلحقه التعب والكلال من تصوُّر المعلومات. وهذا عقل هذا المعلِّم!!.

وقد حكى ذلك أبو البركات، وبالغ في إبطال حججه وردِّها، ولولا أنه، تعالى، يحكي عن المشركين والكفار أقوالاً أسخف وأبطل من هذا؛ لاستحى العاقِل من حكاية مثل هذا، ولكنه تعالى سنَّ لنا حكاية أقوال أعدائه لما في ذلك من قوة الإيمان، وظهور جلالته ومعرفة قدره، وتمام نعمة الله تعالى على أهله، ما لا يخفى لحقيقة ما كان عليه هذا المعلِّم، وما علَّمه لأتباعه الكفرة بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وقد تعقبه بالردِّ عليه طوائف المسلمين حتى الجهمية والمعتزلة والرافضة، والمقصود: أن الملاحدة درجوا على إثر هذا المعلِّم حتى انتهت نوبتُهم إلى معلِّمهم الثاني.

مَنِ الفارابي؟

أبي نصر الفارابي(١).

فإنه وضع لهم التعاليم الصوتية، كما أن المعلِّم الأول وضع لهم التعاليم الحرفية.

---

(١) انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات للصفدي (١/ ١٠٦ـ ١١٣)، السير للذهبي (١٥/ ٤١٦)، البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٢٢٤) وغيرها.

ثم وضع الفارابي الكلام في صناعة المنطق وبسطها، وشرح فلسفة أرسطو وهذَّبها، وبالغ في ذلك.

وكان على طريق سَلَفِهِ من الكُفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ما أشبه اليوم بالبارحة!!!

وكل فيلسوف لا يكون كذلك، فليس عندهم بفيلسوف في الحقيقة؛ فإذا رأوه مؤمناً بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومتعبداً بشرائع الإسلام، نسبُوه إلى الجهل والغباوة، فإن كان ممَّن لا يشكُّون في فضله ومعرفته، نسبوه إلى التلميس والتنميس بناموس الدِّين استمالةً لقلوب العوام.

فالزندقة والإلحاد عندهم جزء مسمَّى الفضيلة أو شرطه، فإنه تعالى ـ عندهم ـ كما قرره أفضل متأخريهم وقدوتهم الذي يقدمونه على الرسل: علي بن سينا، هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به، ولا يفعل شيئاً باختياره ألبتة، ولا يعلم شيئاً من الموجودات أصلاً، لا عدد الأفلاك ولا شيئاً من المغيبات، ولا له كلام يقوم به.

الفلاسفة والإيمان بالله

ومعلوم أن هذا إنما هو خيال مقدَّر في الذهن لا حقيقة له، وإنما غايته أن يفرضه الذهن ويقدِّره كما يفرض الأشياء المقدرة، وليس هو الرب الذي دعى إليه الرسل وعرفته الأمم، بل بين هذا الرب الذي دعى إليه الملاحدة، وبين ربِّ العالمين وإله المرسلين من الفرق ما بين الوجود والعدم، والنفي والإثبات، فأي موجود فرض كان أكمل من هذا الإله الذي دعى إليه الملاحدة، بل مَنْحُوتَ الأيدي من الأصنام له وجود في الخارج، وهذا الرب ليس له وجود إلاَّ في الذهن، وهذا ما عندهم من خبر الإيمان بالله تعالى.

الفلاسفة والإيمان بالملائكة

وأما الإيمان بالملائكة، فهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم؛ وإنما الملائكة عندهم ما يتصوَّره النبيُّ في نَفْسِه من أشكالٍ نورانية، هي العقول المجرّدة عندهم، وهي ليست داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق السماوات ولا تحتها، ولا تصعد ولا تنزل، ولا تتكلم ولا تدبِّر شيئاً، ولا تكتب أعمال العباد، ولا لها إحساسٌ وحركة ألبتة، ولا تنتقل من مكان إلى مكان، ولا لها تصرفٌ في أمر العالم ألبتة، فلا

تقبض نَفْس العبد، ولا تكتب رزقَه وأجلَه وعملَه، ولا عَنِ اليمين والشمال قعيدٌ، كلُّ هذا لا حقيقة له عندهم!!!

وربما تقرّب بعضهم إلى الإسلام فقال: الملائكة هي القوى الخيِّرة التي في العبد، والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة فيه.

الفلاسفة والإيمان بالكتب

وأما الإيمان بالكتب، فليس لله تعالى ـ عندهم ـ كلامٌ أنزله إلى الأرض بواسطة الملَك، فإنه تعالى ما قال شيئاً ولا يقول، ولا يجوز عليه الكلام ـ عندهم ـ.

ومن تقرّب منهم إلى الإسلام يقول: الكتب المنزَّلة فيضٌ فاضَ من العقل الفعَّال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية، فتصور النبي تلك المعاني، وتشكلت في نفسه، بحيث توهمها أصواتاً يخاطب بها، وربما قوي ذلك حتى يُخيِّلها لبعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها، ولا حقيقة لشيء من ذلك[1].

الفلاسفة والإيمان بالرسل والأنبياء

وأما الإيمان بالرسل والأنبياء، فللنبوّة عندهم ثلاث خصائص، مَنْ استكملها فهو نبيٌّ عندهم:

أحدها: قوة الحدْ من حيث يدرك الحد الأوسط بسرعة.

والثانية: قوة التخيل والتخييل، بحيث يتخيل في نفسه أشكالاً نورانية تخاطبه ويسمع الخطاب منها، ويخيلها إلى غيره.

والثالثة: قوة التأثير في هيولى العالم؛ وهذا عندهم يكون بتجرد النفس عن العلائق، واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة.

وهذه خصائص تحصل بالاكتساب، ولهذا طلب النبوة من تصوَّف على مذهب هؤلاء كـ «ابن سبعين»[2] وأضرابه. والنبوة عندهم صَنْعةٌ من الصنائع، بل هي أشرف الصنائع.

---

(١) هذا تأويل خاطىء للكلام وهو من وهم عقل المؤلف.

(٢) هو أبو محمد قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الإشبيلي المرسي القروطي العكي المشهور بابن سبعين، من كبار مشايخ التصوف، حج عدة حجج، وتوفي بمكة في ٢٨ شوال ٦٦٩هـ، وقيل: ٦٦٨هـ. وقد رجع المصنف إلى التخبط في العلماء وإلى تأويل كلامهم على حسب ما يفهم فهلاً استقصى الأمر من أهله ليعلم بماذا يحكم، وكيف. . . رضي لنفسه أن يطلق ذلك على مسلم معتقد يقيناً أن سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام. ثم إن =

الفلاسفة واليوم الآخر

وأما الإيمان باليوم الآخر، فَهُم لا يقرُّون بانفطار السماوات وانتشار الكواكب وقيام الأبدان، فلا مبدأ عندهم ولا معاد، ولا صانع ولا نبوّة، ولا كتب منزّلة من السماء، ولا ملائكة تنزل من السماء.

وحسبك عجباً من جهلهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أن يقولوا: إنه، تعالى، لو علم الموجودات للحقه الكلال والتعب، ولاستكمل بغيره!!!.

ومن أحسن الظن بهم وسار خلفهم حَسِبَه خذلاناً وضلالاً، فإن هذا كله من تخليط ابن سينا وإرادته تقريب هذا المذهب من الشرائع؛ فلا مجال لذلك؛ لأن المعلِّم الأول لم يُثبت للعالم صانِعاً ألبتة؛ بل هو معطِّل مشرك جاحد للنبوة والمعاد، ولا مبدأ عنده، ولا معاد، ولا رسل، ولا كتاب.

والرازيُّ[1] وفُروخُه لا يعرفون من مذاهب الفلاسفة غير طريقتهم ومذاهبهم، وآراؤهم كثيرة جداً، وهم لا يختصون بأمة من الأمم؛ بل هم موجودون في سائر الأمم، وإن كان المعروف عند الناس الذين اعتنوا بحكاية مقالاتهم هم فلاسفة اليونان، وليس كذلك، بل هم طائفة من طوائف الفلاسفة، وأمة من الأمم، لهم مملكة ومملوك، وعلماؤهم فلاسفتهم.

ومِنْ ملوكهم:

الإسكندر المقدوني[2]

وهو ابن فيلبوس، وهذا ليس بالإسكندر ذي القرنين الذي قصَّ الله تعالى نبأه في القرآن، بل بينهما قرونٌ كثيرة، وأعظمُ تباين في الدين؛ فذو القرنين كان رجلاً صالحاً موحِّداً، وأما هذا المقدوني فكان مشركاً يعبد الأصنام، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمائة سنة، وهو الذي غزا دَارَا بن دَارَا ملك الفرس، وعَقَرَ داره، وثلَّ عرشه، ومزَّق ملكه، وفرَّق جمعه، ثم دخل الصين والهند وبلاد الترك، فقتل وسبى، وكان لليونانيين في دولته عزٌّ وسطوة بسبب أرسطو؛ فإنه كان وزيره، ومبشره، ومدبر

= الشيخ ـ أقصد ابن سبعين ـ جل تصانيفه في التصوف ولكن مع غباء الكثيرين اعتقدوا أنها فلسفة لضيق مجال فهمهم وقلّة علمهم فإنهم لا يعرفون إلا نقض العلماء فيما لا يوافق عقولهم القصيرة النظر. اهـ.

(١) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (٣/٥٥٨).

(٢) انظر ترجمته في: الملل والنحل (١٨٧).

مملكته، وبعده كان لليونانيين عدة ملوك يعرفون بالبطالمة، ثم غلبهم الروم واستولوا على ممالكهم، وانقرض ملكهم، فصارت مملكتهم للروم، وكانوا رعيَّةً لهم، وهم على شركهم من عبادة الأصنام، وهو دينهم الظاهر ودين آبائهم الذين نشأ فيهم سقراط أحدُ تلامذة فيثاغورس، وكان من عُبَّادهم ومتألهيهم، وجاهرهم بمخالفتهم في عبادة الأصنام، وقابل رؤساءهم بالأدلة والحجج على بطلان عبادتها، فثار عليه العامة، واضطروا الملك إلى قتله، فأودعه السجن ليكفهم عنه، ولم يرض المشركون إلا بقتله، فسقاه السم خوفاً من شرهم بعد مناظرات طويلة جرت له معهم.

وكذلك أفلاطون كان معروفاً بالتوحيد، وإنكار عبادة الأصنام، وإثبات حدوث العالم، وكان تلميذ سقراط، ولما هلك قام مقامه وجلس على كرسيِّه، ولكن لم يواجه قومه بالردِّ عليهم، فسكتوا عنه، وكانوا يعرفون عِلْمَهُ وفضله.

وصرَّح أفلاطون بحدوث العالم كما كان عليه الأساطين، حكى ذلك تلميذه أرسطو فخالفه فيه، وزعم أنه قديم، وتَبِعَهُ على ذلك ملاحدةُ الفلاسفة من المنتسبين إلى الملل حتى انتهت النوبة إلى علي بن سينا، فرام بجهده تقريب هذا الرأي من قول أهل الملل، وهيهات اتفاق النقيضين واجتماع الضدين.

فرسُلُ الله وأتباعهم في طرف وهؤلاء في طرف؛ فملاحدتهم وأهل التعطيل المحض؛ فإنهم عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات كماله.

سنَّة الله في خلقه إذا أعرضوا عن الوحي

ثم سرى هذا الداء منهم في الأمم، فكان إمام المعطلين فرعون؛ فإنه أخرج إلٰه التعطيل إلى العمل وصرَّح به ودعى إليه، وأنكر أن يكون لقومه إلٰه غيره، ومشى قومه وأصحابه على ذلك حتى أهلكهم الله تعالى بالغَرَق، وجعله عبرةً لعباده المؤمنين ونكالاً لأعدائه المعطلين.

أُمَّةُ اليهود(١)

ثم استمر الأمر في عهد نبوة موسى عليه السلام على التوحيد وإثبات الصفات الكمالية لله تعالى، إلى أن توفي موسى عليه السلام، ودخل الداخل على بني إسرائيل،

---

(١) انظر تعريفهم في: تيسير التحرير (٣/ ١٨٣)، شرح تنقيح الفصول للقرافي (٣٠٥)، الأحكام للآمدي (٣/ ١٦٥)، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للرازي (١١٢).

ورفع التعطيل رأسه بينهم، وأقبلوا على علوم المعطلة أعداء موسى عليه السلام، وقدّموها على نصوص التوراة، فسلّط الله عليهم من أزال ملكهم وشرّدهم من أوطانهم، وسبى ذراريهم كما هي عادته تعالى وسنّته في عباده، إذا أعرضوا عن الوحي، وتعوّضوا عنه بكلام الموحدة المعطلة من الفلاسفة وغيرهم.

والحاصل: أن هذا الداء لما دخل في بني إسرائيل، كان سبب دمارهم وزوال ملكهم.

أمّة النصارى[1]

ثم بعث الله عبده ورسوله المسيح ابن مريم، فجدّد لهم الدّين، وبيّن لهم معالمه، ودعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وإلى التبري من تلك الأحداث والآراء الباطلة، فعادوه وكذّبوه، وراموا قتله، فطهره الله تعالى منهم ورَفَعَهُ إليه، ولم يصلوا إليه بسوء، وأقام له أنصاراً دَعَوا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على ما خالفه، ودخل فيه الملوك، وانتشرت دعوته، واستقام الأمر على السداد بعده نحو ثلاثمائة سنة، ثم أخذ دينه في التبدل والتغير حتى تناسخ واضمحل، ولم يبق في أيدي النصارى منه شيء، بل ركّبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسفة عُبّاد الأصنام، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلوا في دين النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسّدة إلى الصُوَر التي لا ظلّ لها، ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق، ومع ذلك فيهم بقايا من دين المسيح كالختان والاغتسال من الجنابة، وتعظيم الميت، وتحريم الخنزير، وتحريم ما حرّمته التوراة إلاّ ما أحلّ لهم الإنجيل بنصّها.

ثم تناسخ شرعه حتى استحلّوا الخنزير وأحلّوا السبت، وعوّضوا عنه يوم الأحد، وتركوا الختان والاغتسال من الجنابة، وكان المسيح يُصلي إلى بيت المقدس، وهم صلّوا إلى المشرق، ولم يعرف المسيح الصليب قط، وهم عظّموا الصليب وعبدوه، ولم يصم المسيح صومَهم هذا أبداً، ولم يشرّعه لهم، ولم يأمر به ألبتة؛ بل هم وضعوه على هذا العَدَدِ، ونقلوه إلى زمن الربيع، وجعلوا ما زادوا فيه من العدد عِوَضاً عن نقله من الشهور الهلالية إلى الشهور الرومية.

وكان المسيح في غاية الطهارة ونهاية النظافة، وأبعد الخلق عن النجاسة وهم

---

(١) انظر ترجمتهم في: موسوعة الدين والأخلاق (٣/ ٥٧٤)، محاضرات في النصرانية لأبو زهرة (١٥٤).

تعبَّدوا بالنجاسات، وقصدوا بذلك تغيير دين اليهود ومراغمتهم، فغيّروا دين المسيح وتقرّبوا إلى الفلاسفة وعبّاد الأصنام، بأن وافقوهم في بعض الأمور ليرضوهم به، واستنصروا بذلك على اليهود.

ولما أخذ دين المسيح في الفساد والزوال اجتمع النصارى عدة مجامع تزيد على ثمانين مَجْمَعاً، وما تفرّقوا في كلٍّ منها إلاَّ على الاختلاف والتلاعن، يلعن بعضُهم بعضاً، حتى قال فيهم بعض العقلاء: لو اجتمع عشرة من النصارى وتكلموا في حقيقة ما هم عليه؛ لتفرّقوا عن أحد عشر مذهباً.

فهذا حال المتقدمين منهم مع قُرب زمانهم بأيام نبيهم، ووجود أخبارٍ فيهم، والدولة دولتهم، والكلمة كلمتهم، وعلماؤهم إذ ذاك أوفر ما كانوا، وهم مع ذلك حيارى تائهون، ضالون مُضلون، لم يثبت لهم قدم، ولم يستقر لهم قول في إلٰههم، بل كلٌّ منهم اتخذ إلٰهه هواه، وتفرّقت منهم في نبيهم وإلٰههم أقاويل وهم كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: الآية ٧٧].

فلو سألت أهْلَ بيت منهم عن دينهم ومعتقدهم في ربِّهم ونبيهم؛ لأجابك الرجلُ بجواب، وامرأته بجواب، وابنه بجواب، والخادم بجواب، فما ظنك في عصرنا هذا؟!.

أمّة محمد ﷺ

وكذلك المسلمون كانوا عند وفاة النبي ﷺ على عقيدة واحدة، وطريقة واحدة إلاَّ مَنْ كان يُبطن النفاق ويُظهر الوفاق، ثم نشأ الخلاف فيما بينهم في أمور اجتهادية لا توجب كُفراً ولا إيماناً، وكان غرضهم من ذلك إقامة مراسم الدِّين، وإدامة مناهج الشرع القويم، وكان هذا الخلاف يتدرج، ويترقَّى، شيئاً فشيئاً إلى آخر أيام الصحابة.

ثم ظهر معبدٌ الجهني وغيلان الدمشقي[(١)] ويونس الأسواري، وخالفوا في القدر، وإسناد جميع الأشياء إلى تقدير الله تعالى، ولم يزل هذا الخلاف يتشعَّب والآراء تتفرق حتى تفرَّق أهل الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة، كما رُوي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلاَّ واحدة، وهي ما أنا عليه وأصحابي»[(٢)].

---

(١) انظر ترجمته في: الأعلام (٥/ ٣٢٠).

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢٠٣، ٢٠٤).

وروي عن أبي مسلم الخولاني أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم أربعة أصناف: الملائكة والشياطين، والجن، والإنس، ثم جعل الإنس مائة وخمسة وعشرين جزءاً، فجعل مائة واثني عشر جزءاً منهم في بلاد الهند، وكلهم كفار، ومصيرهم إلى النار، وجعل ستة أجزاء منهم في المشرق وكلهم كفار، ومصيرهم إلى النار، وجعل ستة أجزاء منهم في المغرب، وكلهم كفار، ومصيرهم إلى النار، وبقي أهل التوحيد جزءاً واحداً، ثم إنهم تفرقوا وصاروا ثلاثاً وسبعين فرقة، منهم اثنان وسبعين فرقة أهل البدعة والضلال، ومصيرهم إلى النار إلاَّ أن يشاء الله تعالى أن يخرجهم من النار إن لم تؤدِّ بدعتهم وضلالهم إلى الكفر، وجزء واحد أهل السنة والجماعة، ثم منهم مَنْ هو ظالم لنفسه، ومنهم من هو مقتصد، ومنهم من هو سابق بالخيرات».

إذا عرفت هذا، فاعلم أن كبار الفرق الإسلامية على ما ذُكر في الكتب الكلامية ثمانية:

الفرقة الأولى: الشيعةُ

وهم الذين شايعوا علياً؛ أي شرَّفوه كتشريف النصارى عيسى عليه السلام وقالوا: إنه الإمام بعد رسول الله بالنص إما جلياً وإما خفيّاً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده؛ وإن خرجت فإما بظُلمٍ يكون من غيره أو تَقِيَّةٍ منه.

ومن أولادهم اثنان وعشرون فرقة يكفِّر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضُهم بعضاً.

وأصولهم ثلاث فرق:

١ ـ غُلاةٌ.

٢ ـ زيدية.

٣ ـ إماميةٌ.

أما الغُلاةُ: فثمانية عشر فرقة[1]، منها:

١ ـ السبَّائية[2]: وهم أصحاب عبد الله بن سبأ[3]، وهو قال لعليٍّ: أنت الإله حقاً. فنفاه عليٌّ إلى المدائن.

وهو أول من أظهر القول بوجوب إمامة علي، وقال: إنه لم يمت، وإنما قَتَلَ ابنُ

---

(١) انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٧٠).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٦)، الملل والنحل (١/ ١٧٤).

(٣) انظر ترجمته وحاله في: الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٣٣).

ملجم[١] شيطاناً تصوَّر بصورته، وأنه في السحاب الآن، والرعدُ صوته، والبرقُ سَوْطُهُ، وبعد هذا ينزل إلى الأرض، ويملؤها عدلاً ومنه تشعَّبت أصناف الغلاة، وهم يقولون عند سماع الرعد: عليك السلام يا أمير المؤمنين. ومنها:

٢ ـ الكاملية[٢]: وهم أصحاب أبي كامل، وهو قال: كَفَّرَ الصحابة بترك بيعة عليٍّ، وكَفَّرَ عليٍّ بترك طلب الحق. وقال بالتناسخ في الأرواح عند الموت، وقال: إن الإمامة نورٌ ينتقل من شخص إلى آخر، وقد يكون في شخص نبوّة بعدما كان من شخص آخر إمامة. ومنها:

٣ ـ البيانية[٣]: وهم أصحاب بيان بن سمعان، وهؤلاء يقولون: إن الله تعالى على صورة الإنسان، ويَهْلَكُ كله إلا وجهه، وروح الله تعالى حلَّت في عليٍّ، ثم في ابنه أبي هاشم، ثم في بيان. ومنها:

٤ ـ المغيريَّة[٤]: وهم أصحاب مغيرة بن سعيد، وهو قال: إن الله تعالى جِسْمٌ على صورة الإنسان، بل رجل من نور، على رأسه تاج من نور، وقلبه منبع الحكمة، فإنه لما أراد أن يخلق الخلق تكلم بالاسم الأعظم، فطار فوقع تاجاً على رأسه، وذلك قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ [الأعلى: الآيتان ١، ٢].

ثم كتب على كفِّه أعمال العباد، فغضب من المعاصي، فعَرَقَ، فحصل من عَرَقِهِ بحران؛ أحدهما ملح مظلم، والآخر حُلوٌ نيِّر، ثم اطلع في البحر النيِّر، فأبصر فيه ظِلَّهُ، فأنزع بعضاً من ظلِّه، فخلق منه الشمس والقمر، وأفنى الباقي من الظل نفياً للشريك، وقال: لا ينبغي أن يكون معه إله آخر، ثم خلق الخلق من البحرين، الكفار من المظلم، وأهل الإسلام من النير، ثم أرسل محمداً والناس في ضلال، وعَرَضَ الأمانة (التي هي منع عليٍّ من الإمامة) على السماوات والأرض والجبال، فأبَيْن أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان (وهو أبو بكر) حملها بأمر عُمر، حين ضَمِن أن يُعينه على ذلك بشرط أن يجعل الخلافة بعده له، وقال: قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشر: الآية ١٦] نزلت في حق أبي بكر.

وهؤلاء يقولون: الإمام المنتظر هو زكريا بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، وهو حيٌّ مقيم في جبل حاجز إلى أن يؤمَر بالخروج. ومنها:

---

(١) انظر قصته في: البداية والنهاية (٧/ ٣٣٨).

(٢) انظر: شرح المواقف (١٢٣)، الملل والنحل (١/ ١٧٤).

(٣) انظر: التبصير في الدين (٧٢)، الفرق بين الفرق (٢٣٦).

(٤) انظرهم في: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٨)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٧٢).

٥ ـ الجَنَاحِيَّة[١]: وهم أصحاب عبد الله بن الجعفر ذي الجناحين، وهؤلاء يقولون: الأرواح، تناسخ، فكان روح الله في آدم، ثم في شيث، ثم في الأنبياء، ثم في الأئمة، حتى انتهت إلى عليٍّ وأولاده الثلاثة، ثم إلى عبد الله هذا، وهو حي مقيم بجبل أصفهان، وسيخرج، وهؤلاء أنكروا القيامة، واستحلوا المحرمات من الخمر والميتة والزنى وغيرها. ومنها:

٦ ـ المنصورية[٢]: وهم أصحاب أبي منصور العجلي، وهو عزا نفسه إلى أبي جعفر محمد الباقر، فلما تبرأ منه وطردَه ادعى الإمامة لنفسه.

وهؤلاء يقولون:

١ ـ الإمامة صارت لمحمد بن علي بن الحسين، ثم انتقلت عنه إلى أبي منصور.

٢ ـ ويزعمون أن أبا منصور عَرَجَ إلى السماء، ومسح الله على رأسِه بيده وقال له: «يا بني اذهب فبلِّغ عني»، ثم أنزله إلى الأرض، وهو الكِسْفُ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الطُّور: الآية ٤٤].

٣ ـ ويقولون: الرسالة لا تنقطع أبداً.

٤ ـ والجنة رجل أُمِرنا بموالاته وهو الإمام، والنار رجل أُمرنا بمعاداته وهو ضد الإمام وخصمه كأبي بكر وعمر.

٥ ـ وكذا الفرائض والمحرمات؛ فإن الفرائض أسماء رجالٍ أُمرنا بموالاتهم، والمحرمات أسماء رجال أُمرنا بمعاداتهم.

ومقصودهم بذلك أن من ظفر برجل منهم، فقد ارتفع التكليف والخطاب لوصوله إلى الجنة. ومنها:

٧ ـ الخَطَّابية[٣]: وهم أصحاب أبي الخطاب الأسدي[٤]، وهو عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر الصادق، فلما عَلِمَ منه غُلُوَّه في حقِّه تبرأ منه، فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه.

وهؤلاء يقولون:

١ ـ الأئمة أنبياء.

---

(١) انظر: الإبكار للآمدي (٥/ ٥٥)، التبصير في الدين (٧٣).
(٢) انظر: الملل والنحل (١/ ١٧٨)، شرح المواقف (٢٦)، مقالات الإسلاميين (١/ ٧٤).
(٣) وقيل الحطابية، انظرهم في: الفصل لابن حزم (٢/ ٢٧٢)، نشأة الفكر الفلسفي (٢/ ٢٣١ـ ٢٤٥).
(٤) انظر ترجمته في: دائرة المعارف للبستاني (١/ ٤٨٣).

٢ ـ وأبو الخطاب نبي.

٣ ـ ويزعمون أن الأنبياء فَرَضُوا على الناس طاعة أبي الخطاب.

٤ ـ بل يزيدون على ذلك ويقولون: الأئمة آلهة.

٥ ـ والحسنات أبناء الله تعالى.

٦ ـ وجعفر الصادق إله، ولكن أبا الخطاب أفضل منه ومِنْ علي.

٧ ـ ويستحلون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم.

٨ ـ والإمام بعد قتل أبي الخطاب مَعْمَرٌ، ذهب إلى ذلك جماعة منهم، فعبدوا معمراً كما كانوا يعبدون أبا الخطاب.

٩ ـ وقالوا: الجنة نعيم الدنيا، والنار آلامُها.

١٠ ـ والدنيا لا تفنى.

١١ ـ واستباحوا المحرمات وتَرْك الفرائض.

١٢ ـ وقيل الإمام بعد قتله: بزيغ، ذهب إلى ذلك طائفة أخرى منهم.

١٣ ـ وقالوا: إن كل مؤمن يوحَى إليه متمسكين بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٥]، أي يُوحي الله تعالى إليه.

١٤ ـ وزعموا أن في أصحاب بزيغ من هو خيرٌ من جبرائيل وميكائيل، وهم لا يموتون أبداً؛ بل إذا بلغوا النهاية يُرفعون إلى الملكوت. ومنها:

٨ ـ الغُرَابية(١): لُقِّبوا بذلك لأنهم قالوا: كان محمدٌ أشبه بعليٍّ من الغراب بالغراب ومن الذُّباب بالذُّبَاب، فبعث الله جبريل إلى عليٍّ، فغلط جبريل في تبليغ الرسالة من عليٍّ إلى محمد، فيلعنون صاحب الرِّيش يعنون به جبرائيل. ومنها:

٩ ـ الذَّمِّيَّة(٢): لقبوا بذلك لأنهم ذمُّوا محمداً؛ لأن علياً هو الإله، وقد بعثه ليدعو الناس إليه فدعاهم إلى نفسه.

وقال طائفة منهم بإلٰهيتهما، ولهم في التقديم خلافٌ، فبعضهم يقدم علياً في أحكام إلٰهية، وبعضهم يقدم محمداً.

وقال بعضهم بإلٰهية خمسة أشخاص، يسمونهم: أصحاب العباء، هما(٣) وفاطمة

---

(١) انظر: الإبكار للآمدي (٥/ ٥٧)، الفرق بين الفرق (٢٥٠)، شرح المواقف (٢٨).

(٢) انظر: التبصير في الدين (٧٥)، شرح المواقف (٢٨، ٢٩)، الملل والنحل (١/ ١٧٥).

(٣) أي: سيدنا محمد ﷺ والإمام علي رضي الله عنه.

والحَسَنَان، وهؤلاء يزعمون أن هذه الخمسة شيء واحد، وأن الروح حالّةٌ فيهم بالسويّة؛ لا مزية لواحدٍ منهم على آخر، ولا يقولون: فاطمة، تحاشياً عن وَصْمَةِ التأنيث. ومنها:

١٠ ـ الهِشَامِيَّة[١]: وهم أصحاب الهشام بن الحكم[٢]، وابن سالم الجواليقي[٣]، وهؤلاء قالوا: إن الله تعالى جَسَدٌ، واتفقوا على ذلك، ثم اختلفوا.

فقال ابن الحكم: هو طويل عريض عميق، متساوٍ طوله وعرضه وعمقه، وهو كالسبيكة البيضاء الصافية، ويتلألأ من كل جانب، وله لون وطعم، ورائحة ومجسّة، وهذه الصفات المذكورة ليست غير ذاته تعالى، وهو تعالى يقوم ويقعد، ويتحرك ويسكن، وله مشابهة بالأجسام، لولاها لم تدل عليه، ويعلم ما تحت الثرى بشعاع ينفصل عنه إليه، وهو سبعة أشبار بأشبار نفسه، مماس للعرش بلا تفاوت بينهما على وجه لا يفضل أحدهما على الآخر، وإرادته تعالى حركةٌ هي لا عَيْنُه وغيره، وإنما يعلم الأشياء بعد كونها لا قبله، بِعلْم لا قديم ولا حادث، لأنه صفة والصفة لا توصف، وكلامه صفة له لا مخلوق ولا غيرُ مخلوق لما مرَّ، والأعراض لا تدل عليه تعالى وإنما تدل عليه الأجسام لما عرفتَ من مشابهته إياها.

والأئمة معصومون دون الأنبياء؛ لأن النبي يُوحى إليه ويتقرب به إلى الله تعالى بخلاف الإمام، فإنه لا يُوحى إليه فوجب أن يكون معصوماً.

وقال ابن سالم: هو تعالى على صورة الإنسان له يدٌ ورِجْلٌ وحواسّ خمس، وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء، ونصفه الأعلى مجوَّف، ونصفه الأسفل مصمت، إلا أنه ليس لحماً ودماً. ومنها:

١١ ـ الزرارية[٤]: وهم أصحاب زرارة بن أعين، وهؤلاء قالوا: صفات الله تعالى حادثة، وقبل حدوثها لم يكن له تعالى حياةٌ ولا علم ولا قدرة ولا سمع ولا بصر، فيلزم حينئذ أن لا يكون حيّاً ولا عالماً ولا قادراً ولا سميعاً ولا بصيراً. ومنها:

١٢ ـ اليونُسيَّة[٥]: وهم أصحاب يونس بن عبد الرحمٰن، وهو قال: إن الله

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١٠٦)، الفرق بين الفرق (٢٢٧).
(٢) انظر ترجمته في: الأعلام (٩/ ٨٢).
(٣) انظر ترجمته في: المصادر هامش (٤).
(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٢)، التبصير في الدين ص (٢٤).
(٥) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٦٥)، شرح المواقف (٣٠).

تعالى على العرش تحمله الملائكة، وهو أقوى من الملائكة مع كونه محمولاً لهم كالكُرْكِيِّ يحمل رجلاه وهو أقوى منها. ومنها:

١٣ ـ **الشيطانية**(١): وهم أصحاب محمد بن النعمان الملقب بـ: شيطان الطاق. وهو قال: إن الله نورٌ غير جسماني، ومع هذا هو على صورة الإنسان، وإنما يعلم الأشياء بعد كونها. ومنها:

١٤ ـ **الرِّزامية**(٢): وهؤلاء قالوا: الإمامة بعد عليٍّ لمحمد بن الحنفية، ثم لابنه عبد الله، ثم لعليِّ بن عبد الله بن عباس، ثم لأولاده إلى المنصور، ثم حَلَّ الإلٰه في أبي مسلم، وأنه لم يُقتل، واستحلوا المحارم وتركوا الفرائض. ومنها:

١٥ ـ **المُفَوِّضَةُ**(٣): لقبوا بذلك لأنهم قالوا: إن الله تعالى فوَّض خلق الدنيا إلى محمد بعد خَلْقه، وهو خلق الدنيا بما فيها.

وقال بعضهم: فوّض ذلك إلى عليٍّ. ومنها:

١٦ ـ **البَدائية**(٤): لقبوا بذلك لأنهم جوَّزوا البداء على الله تعالى وهو أن يريد الله شيئاً ثم يبدو له، أو يظهر عليه، ما لم يكن ظاهراً له، ويلزمهم أن لا يكون الرب تعالى عالماً بعواقب الأمور. ومنها:

١٧ ـ **النصيرية والإسحاقية**(٥): وهؤلاء قالوا: إن الله تعالى تجلَّى في عليٍّ، فإن ظهور الروحاني في جسد الجسماني مما لا يُنكر.

أما في جانب الخير فكظهور جبريل بصورة البشر، وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان في صورة الإنسان.

ثم قالوا: لما كان عليٌّ وأولاده أفضل من غيرهم، وكانوا مؤيدين بتأييدات متعلقة بباطن الأسرار قلنا: ظهر الحق سبحانه وتعالى بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم.

ومن ها هنا أطلقنا الآلهة على الأئمة، ألا ترى أن النبي عليه الصلاة والسلام

---

(١) الشيعة تلقب شيخهم (بمؤمن الطاق) انظرهم في: الفرق بين الفرق (٧١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٦٥)، الإبكار للآمدي (٥/ ٥٩).

(٢) لأبو مسلمية عند الإمام الأشعري في المقالات (١٥٣)، التبصير في الدين للإسفراييني (٨٦).

(٣) ذكر الإسفراييني أنها فرع من الغرابية فانظره في: التبصير في الدين (٧٥)، الفرق بين الفرق (٢٥١).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١١٣)، شرح المواقف ـ التذييل ـ (٣٢).

(٥) قد فرق الفخر الرازي بينهما وجعل كلاً منهما على حده. انظره في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٥، ٧٦).

قاتل المشركين، وأن علياً قاتل المنافقين؛ فإن النبي ﷺ يحكم بالظاهر، والله تعالى يتولى السرائر؟!!. ومنها:

١٨ ـ **الإسماعيلية**[١]: لقبوا بذلك لإثباتهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، وهو أكبر أبنائه، وقيل: لانتساب زعيمهم إلى محمد بن إسماعيل، وهم لقبوا بألقاب أخر، بـ:

الباطنية: لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره؛ فإنهم قالوا: للقرآن ظاهر وباطن، والمراد منه باطنه لا ظاهره المعلوم من اللغة، ونِسْبَةُ الباطن إلى الظاهر كنسبة اللبُّ إلى القِشْر، والمتمسك بظاهره معذَّب بالمشقة في الاكتساب، وباطنه مؤدٍ إلى ترك العمل بظاهره، وتمسكوا في ذلك بقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية ١٣]، وبـ:

الحَرْمِيَّة[٢]: لإباحتهم المحرمات والمحارم. وبـ:

السَّبْعِيَّة: لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع ـ يعني الرسل ـ سبعة: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه السلام، ومحمد المهدي سابع النطقاء، وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعته، ولا بد في كل عصر من سبعة بهم يُهتدى في الدين، وهم متفاوتون في الرتب:

ـ إمامٌ يؤدي عن الله تعالى، وهو غاية الأدلة إلى دين الله تعالى.

ـ وحُجَّةٌ يؤدي عن الإمام، ويحمل علمه، ويُحتج به.

ـ وذو مَصَّةٍ يمصُّ العلم من الحجة؛ أي يأخذه منه.

فهذه ثلاثة. وبعدهم أبواب، وهم دعاةٌ:

ـ داعٍ أكبر هو رابعهم يرفع درجات المؤمنين.

ـ وداعٍ مأذون هو خامسهم يأخذ العهود على المخالفين من أهل الظاهر فيدخلهم في ذمة الإمام.

ـ ومكلِّب هو سادسهم، قد ارتفع درجته في الدِّين، ولكن لم يؤذن له في الدعوة بل في احتجاج على الناس، وهو يحتج ويُرغِّب إلى الداعي ككلب الصيد، حتى إذا احتج على أحدٍ من أهل الظاهر، وكسر عليه مذهبه، بحيث رَغِبَ عنه وطلب الحق أدّاه إلى الداعي المأذون ليأخذوا عليه العهد.

---

(١) فرقة باطنية حقيقتها هدم عقائد الإسلام، انظر: الإبكار للآمدي، فضائح الباطنية للغزالي ص (٤).
(٢) أو الخرمية.

ـ ومؤمن يتبع الداعي، وهذا الذي أخذ عليه العهد، ودخل في ذمة الإمام وحِزْبه وهو سابعهم.

فهؤلاء قالوا: إن ذلك الذي ذكرناه كالسماوات والأرضين والبحار وأيام الأسبوع والكواكب السيّارة التي هي «المدبِّرات أمراً»، فكلٌّ منها سبعةٌ كما هو المشهور. وبـ:

البابكية: إذ تَبِعَ طائفة منهم بابك الخرمي[1] في الخروج بأذربيجان، وبـ:

المُحَمِّرة: للبسهم الحمرة في أيام ولاية بابك، أو لتسمية المخالفين لهم حِميراً. وبـ:

القرامطة: لأن أولهم الذي دعى الناس إلى مذاهبهم رجلٌ يقال له: حمدان قِرْمِطة[2]، وهي إحدى قرى واسط.

وأصل دعوتهم على إبطال الشرائع، لأن الغيارية، وهم طائفة من المجوس راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم؛ وذلك أنهم اجتمعوا وتذكروا ما كان عليه أسلافهم من المُلْك، وقالوا: لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك، لكنّا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا، ونستدرج به الضعفاء منهم، فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم، ورئيسهم في ذلك حمدان قرمطة.

ولهم في الدعوة مراتب:

الرزق: وهو تفرُّس حال المدعو، هل هو قابل للدعوة أم لا؟ ولذلك منعوا إلقاء البذر.

والأرض السبخة: أي دعوة من ليس أهلاً لها، ومنعوا التكلم في بيت فيه سراج؛ أي في موضع فيه عالم متدين.

ثم التأنيس: باستمالة كل واحد من المدعوين بما يميل إليه هواه وطبعه من رقصٍ وخلاعةٍ، فإن كان يميل إلى الزهد زيّنوه في عينه وقبَّحوا نقيضه، وإن كان يميل إلى الخلاعة زينوها وقبحوا نقيضها حتى يحصل له الأُنس بهم.

ثم التشكيك: في أركان الشريعة بمقطعات السور بأن يقولوا: ما معنى الحروف المقطعة في أوائل السور، ولِمَ وجب قضاء صوم الحائض دون قضاء صلاتها؟ ولِمَ وجب الغسل من المني دون البول؟ ولِمَ كان عدد الركعات بعضها أربعاً وبعضها ثلاثاً

---

(١) انظر ترجمته في: مروج الذهب (٤/ ٥٥).

(٢) انظر ترجمته في: الموسوعة الميسرة للأديان لعبد الرحمٰن الجوزي (٣٩٥).

وبعضها اثنتين؟ إلى غير ذلك من الأمور التعبدية، فإنهم يشككونهم في هذه الأشياء، ويطوون الجواب عنهم لتتعلق قلوبهم بمراجعتهم إياهم فيها.

الربط: وهو أمران:

أحدهما: أخذ الميثاق، بأن يقولوا: قد جرت سنَّة الله تعالى بأخذ المواثيق والعهود، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٧]، ثم يأخذون من كل أحدٍ ميثاقه بحسب اعتقاده أن لا يفشي سِرَّهم.

والثاني: حوالته على الإمام في حلِّ ما أُشْكِلَ عليه من الأمور التي ألقوها إليه بأن يقولوا: إنه العالِم بها ولا يقدر عليها أحدٌ غيره حتى يترقى من درجته وينتهي إلى الإمام.

ثم التَّوْلِيسُ(١): وهو دعوى موافقة أكابر الدنيا والدين لهم حتى يزداد ميله إلى ما دعوه إليه.

ثم التأسيس: وهو تمهيد مقدّمات يقبلها ويُسلِّمها المدعو، وتكون سائقة إلى ما يدعونه إليه من الباطل.

ثم الخَلْع: وهو الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية.

ثم السَّلْخ: عن الاعتقادات الدينية.

وحين يصل حال المدعو إلى ذلك يأخذون في الإباحة والحث على استعمال اللذات وتأويل الشرائع كقولهم: الوضوء عبارة عن موالاة الإمام، والتيمم عبارة عن الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجة، والصلاة عبارة عن الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العَنكبوت: الآية ٤٥]، والاحتلام عبارة عن إفشاء سِرٍّ من أسرارهم إلى من ليس من أهله بغير قصد منه، والغُسل عبارة عن تجديد العهد، والزكاة عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين، والكعبة عبارة عن النبي، والباب عبارة عن علي، والصفا هو النبي، والمروة هو علي، والميقات: الإيناس، والتلبية: إجابة المدعو، والطواف بالبيت سبعاً: موالاة السبعة، والجنة: راحة الأبدان عن التكاليف، والنار: مَشَقَّتُها بمزاولة التكاليف، إلى غير ذلك من خرافاتهم.

ومن مذهبهم: أن الله تعالى لا موجود ولا معدوم، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات؛ وذلك لأن الإثبات الحقيقي يقتضي

---

(١) والولْس: الخيانة والخداع. انظر (اللسان: مادة ولس).

المشاركة بينه وبين الموجودات وهو تشبيه، والنفي المطلق يقتضي مشاركته للمعدومات وهو تعطيل، بل هو واهبٌ لهذه الصفات وربٌّ للمتضادات.

وربما خلطوا كلامهم بكلام الفلاسفة فقالوا: إن الله تعالى أبدع بأمر العقل التام، وبتوسطه أبدع النفس التي ليست تامة، فاشتاقت النفس إلى العقل التام مستضيئة منه، فاحتاجت إلى الحركة من النقصان إلى الكمال، ولن تتم الحركة إلاَّ بآلتها، فحدثتِ الأجرام الفلكية، وتحركت حركة دورية بتدبير النفس، فحدثت بتوسطه الطبائع البسيطة العنصرية، وبتوسط البسائط حدثت المركبات من المعادن والنباتات وأنواع الحيوانات، وأفضلها الإنسان لاستعداده لفيض الأنوار القدسية عليه، واتصاله بالعالم العلوي.

وحيث كان العالم العلوي مشتملاً على عقل كاملٍ كُلِّيٍّ ونفسٍ ناقصة كلية كائنة مصدراً للكائنات، وجب أن يكون في العالم السفلي عقلٌ كامل يكونُ وسيلة إلى النجاة وهو الرسول الناطق، ونفس ناقصة تكون نسبتها إلى الناطق في تعريف طرق النجاة نسبة النفس الأولى إلى العقل الأول فيما يرجع إلى إيجاد الكائنات وهي الإمام الذي هو وصي الناطق. وكما تحركت الأفلاك بتحريك العقل والنفس كذلك تتحرك النفوس إلى النجاة بتحريك الناطق والوصي، وعلى هذا في كل عصر وزمان.

قال الآمدي: هذا ما كان عليه قدماؤهم، وحين ظهر الحسن بن محمد الصباح، جدَّد الدعوة على أنه الحجة الذي يؤدي عن الإمام، الذي لا يجوز خلو الزمان منه.

وحاصل كلامه ما تقدم من الاحتياج إلى المعلِّم، ثم إنه منع العوام عن الخوض في العلوم، ومنع الخواص عن النظر في الكتب المتقدمة كي لا يطلع على فضائحهم، ثم إنهم تفلسفوا ولم يزالوا مستهزئين بالنواميس الدينية والأمور الشرعية، وتحصنوا بالحصون، وكثرت شوكتهم، وخاف ملوك السوء منهم، وأظهروا إسقاط التكاليف، وإباحة المحرمات، وصاروا كالحيوانات العجماوات بلا ضابط ديني ولا واضع شرعي.

وأما الزيدية[1]

وهم منسوبون إلى زيد بن زين العابدين، فثلاث فرق، منها:

١ ـ **الجارودية**[2]: وهم أصحاب أبي الجارود الذي سمَّاه الباقر سرخوباً،

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١٤٠)، الفرق بين الفرق (٢٢)، الملل والنحل (١٥٤)، تاريخ المذاهب الإسلامية (٤٧).

(٢) انظر: الفصل لابن حزم (٤/ ١٧٩)، التبصير في الدين (١٦).

وفسَّره بأنه شيطان يسكن البحر، وهؤلاء قالوا بالنصِّ عن النبي ﷺ في الإمامة على علي وصفاً لا تَسْمِيَةً، والصحابة كَفَرُوا بمخالفتهم وترك الاقتداء بعليٍّ بعد النبي عليه الصلاة والسلام.

والإمامة بعد الحسن والحسين شورى في أولادهما، فمن خرج منهم بالبيعة، وهو عالم شجاع، فهو إمام.

واختلفوا في الإمام المنتظر أهو محمد بن عبد الله بن علي الذي قُتِل بالمدينة في أيام المنصور؟ فذَعَتْ طائفة منهم إلى ذلك، وزعموا أنه لم يُقتل، أو هو محمد بن القاسم بن علي بن الحسين صاحب طالقان الذي أُسِرَ في أيام المعتصم وحُمِل إليه، وحَبَسَه في داره حتى مات، فذهب طائفة أخرى إليه وأنكروا موته، أو هو يحيى بن عمر صاحب الكوفة من أجناد زيد بن علي دعا الناس إلى نفسه، واجتمع عليه خلقٌ كثيرٌ، وقُتِل في أيام المستعين بالله فذهب إليه طائفة ثالثة، وأنكروا قتله، ومنها:

٢ ـ السليمانية[(١)]: وهم أصحاب سليمان بن جرير، وهؤلاء قالوا: الإمامة شورى فيما بين الخلق، وإنما تنعقد برجلين من خيار المسلمين، ويصح إمامة المفضول مع وجود الأفضل: أبو بكر وعمر إمامان، وإن أخطأت الأمة في البيعة لهما مع وجود علي، لكنه خطأ لم ينته إلى درجة الفسق، وكفَّروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة. ومنها:

٣ ـ البُتْرِية[(٢)]: وهم أصحاب كثير النوي، وهم وافقوا السليمانية، إلاَّ أنهم توقفوا في عثمان.

هذه هي فرق الزيدية، وأكثرهم في زماننا مقلدون يرجعون في الأصول إلى مذهب الاعتزال، وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة.

وأما الإمامية[(٣)]

فقالوا بالنص الجَلِيّ على إمامة عليٍّ، وكفَّروا الصحابة ووقعوا فيهم، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق، واختلفوا في المنصوص عليه بعده، والذي استقر عليه رأيهم أنه ابنه موسى الكاظم، وبعده علي بن موسى الرضا، وبعده محمد بن علي التقي، وبعده محمد بن علي النقي، وبعده الحسن بن علي الزكي، وبعده محمد بن

(١) انظر: الملل والنحل (١٥٩)، الفرق بين الفرق (٣٢)، خطط المقريزي (٢/ ٣٥٢).
(٢) انظر: شرح المواقف (٤٠)، الفرق بين الفرق (٣٣).
(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ١٦٥)، الفرق بين الفرق (٥٩)، التبصير في الدين (٣٧).

الحسن وهو الإمام المنتظر.

ولهم في كل المراتب التي بعد جعفر اختلافات أوردها الإمام في الملخص.

وكانت الإمامية أولاً على مذهب أئمتهم حتى تمادى بهم الزمان فاختلفوا، وتشعّب متأخروهم إلى المعتزلة؛ إما وعيدية أو تفضيلية، وإلى الإخبارية يعتقدون ظاهر ما ورد من الأخبار المتشابهة، وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

أ ـ مشبهة: يخبرون عن المتشابهات، ويقولون: المراد بها ظواهرها.

ب ـ وسلفية: يعتقدون أن ما أراد الله بها حق بلا شبهة كما كان عليه السلف.

جـ ـ وإلى ملتحقة بالفرق الضالّة.

الفرقة الثانية: المعتزلة[١]

وهم أصحاب واصل بن عطاء[٢]، وهو اعتزل عن مجلس الحسن البصري بسبب أن رجلاً دخل على الحسن فقال: يا إمام الدِّين، ظَهَرَ في زماننا جماعة يُكَفِّرون صاحب الكبيرة، وجماعة أخرى يوسعُون فيها، ويقولون: لا يضرُّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك؟.

فتفكَّر الحسنُ، وقبل أن يُجيبَ، قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً. ثم قام وذهب إلى أصل أسطوانة من اسطوانات المسجد، وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به، من أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين، ويقول: إن المؤمن اسمُ مَدْحٍ، والفاسق لا يستحق المدح، فلا يكون مؤمناً وليس بكافر أيضاً لإقراره بالشهادتين، ولوجود سائر أعمال الخير منه، فإذا مات بلا توبة يُخلَّد في النار، إذ ليس في الآخرة إلاَّ فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، ولكن يخفف عليه وتكون دركته فوق دركات الكفار.

فقال الحسن: قد اعتزل عنا واصل، فلذلك سُمِّي هو وأصحابه معتزلة، ويُلَقَّبون بـ: القدرية، لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وإنكارهم القدر فيها.

وهم لَقَّبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد، لقولهم بوجوب الأصلح، وبنفي الصفات القديمة، فإنهم قالوا: يجب على الله تعالى ما هو الأصلح لعباده، ويجب عليه أيضاً إثابة المطيع، فهو لا يُخِل بما وجب عليه أصلاً، وجعلوا هذا عدلاً.

---

(١) ويسمون أنفسهم أصحاب العدل ويلقبون بالقدرية.

(٢) انظر ترجمته في: الكامل للمبرد (٣/ ٩٢١)، معجم المؤلفين (٣/ ١٥٩).

وقالوا أيضاً بنفي الصفات القديمة القائمة بذاته تعالى احترازاً عن إثبات القدماء المتعددة، وجعلوا هذا توحيداً.

وقالوا: إن القِدَم أخَصُّ وصفِ لله تعالى لا يشاركه فيه ذات ولا صفة، وبنفي الصفات الزائدة على الذات.

وقالوا: إن كلامه تعالى مخلوق، مُحْدَث، مركَّبٌ من الحروف والأصوات، وإنه تعالى غير مرئي في الآخرة بالأبصار، وإن الحُسْن والقبح عقليان.

ويجب عليه تعالى رعاية الحكمة والمصلحة في أفعاله، وثواب المطيع والتائب، وعقاب صاحب الكبيرة.

ثم إنهم بعد اتفاقهم على هذه الأمور المذكورة افترقوا عشرين فرقة يُكَفِّر بعضهم بعضاً، ومنها:

١ ـ الواصلية[١]: وهم أصحاب واصل بن عطاء، وهؤلاء قالوا بنفي الصفات. وإسناد أفعال العباد إلى قدرتهم. وامتناع إضافة الشر إلى الله تعالى. وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين، وذهبوا إلى الحكم بتخطئة أحد الفريقين من عثمان وقاتليه. وجوَّزوا أن يكون عثمان لا مؤمناً ولا كافراً، وأن يُخلد في النار، وكذا عليٌّ ومقاتلوه. وحكموا بأن علياً وطلحة والزبير ـ بعد وقعة الجمل ـ لو شهدوا على باقة بقلة لم تُقبل شهادتهم كشهادة المتلاعنين. ومنها:

٢ ـ العَمْرية[٢]: وهم أصحاب عمرو بن عبيد، وهو كان من رواة الحديث، معروفاً بالزهد والتقوى، تَابَعَ واصل بن عطاء في القواعد المذكورة وزاد عليه: تعميم التفسيق في قِصَّتَيْ عثمان وعليٍّ. ومنها:

٣ ـ الهذيلية[٣]: وهم أصحاب أبي الهذيل بن حمدان العلاف[٤]، شيخ المعتزلة، ومقرر طريقتهم، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل، وهو وأصحابه قالوا بفناء مقدورات الله تعالى، وهذا قريب من مذهب جهم؛ حيث ذهب إلى أن الجنة والنار تفنيان.

وقالوا: إن حركات أهل الجنة والنار ضرورية مخلوقة لله تعالى؛ إذ لو كانت مخلوقة لهم لكانوا مكلفين، ولا تكليف في الآخرة.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/٤٦)، التبصير في الدين (١٤٠)، شرح المواقف ـ التذييل ـ (٦).

(٢) وقيل: العمروية، انظر: الإبكار للآمدي (٥/٤٢).

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٢٢).

(٤) انظر ترجمته: وفيات الأعيان (٣/٣٩٦).

وإن أهل الخُلْدَيْن تنقطع حركاتهم، ويصيرون إلى جمود دائم، وسكون لازم، ويجتمع في ذلك السكون اللذات لأهل الجنة والآلام لأهل النار.

وإنما ارتكب أبو الهذيل هذا القول لأنه التزم في مسألة حدوث العالم، أنه لا فرق بين حوادث لا أول لها وبين حوادث لا آخر لها، فقال: لا أقول بحركات لا تنتهي إلى آخرها، بل تصير إلى سكون، وتوهَّم أن ما لزمه في الحركة لا يلزمه في السكون، ولذلك سَمَّى المعتزلةُ أبا الهذيل: جهمي الآخرة.

وقالوا: إن الله تعالى عالمٌ بِعِلْم هو ذاتُه، قادرٌ بقدرة هي ذاته، حيٌّ بحياةٍ هي ذاته، وأخذوا هذا القول من الفلاسفةً الذين يعتقدون أن الله تعالى واحدٌ من جميع الجهات، لا تعدُّد فيه أصلاً بل جميع صفاته راجعة إلى السلوب والإضافات.

وقالوا: هو مريدٌ بإرادةٍ حادثة لا في محل، وأول من أحدث هذه المقالة هو: العلاَّف.

وقالوا: بعض كلامه تعالى لا في محل، وهو قوله تعالى: ﴿كُن﴾، وبعضه في محل وهو: الأمر والنهي، والخبر والاستخبار، وذلك لأن تكوين الأشياء بكلمة ﴿كُن﴾ فلا يُتصوَّر لها محل.

وقالوا: إرادته تعالى غير المراد.

وقالوا: الحجة بالتواتر فيما غاب، لا تقوم إلاَّ بخبر عشرين، فيهم واحد من أهل الجنة وأكثر.

وقالوا: لا تخلو الأرض عن أولياء الله تعالى هم معصومون لا يكذبون، ولا يرتكبون شيئاً من المعاصي، فالحجة قولهم لا التواتر. ومنها:

٤ ـ **النَّظَّامِيَّة**(١): وهم أصحاب إبراهيم بن سيار النظام(٢)، وهو من شياطين القدرية، طالع كُتُبَ الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وهو وأصحابه قالوا:

١ ـ لا يقدر الله تعالى أن يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح لهم فيه.

٢ ـ ولا يقدر أن يزيد في الآخرة أو ينقص من ثواب وعقاب لأهل الجنة والنار، وتوهَّموا أن غاية تنزيهه تعالى عن الشرور والقبائح لا يكون إلاَّ بسلب قدرته تعالى عليها، وهم في ذلك كمن فرَّ من المطر إلى الميزاب.

٣ ـ وقالوا: كونه تعالى مريد الفعل أنه خالقه على وفق علمه، وكونه مريد لفعل

---

(١) الملل والنحل (١/٥٣)، الفرق بين الفرق (١٣١).

(٢) انظر ترجمته في: طبقات المعتزلة ص (٤٩).

العبد أنه أمر به.

٤ ـ وقالوا: الإنسان هو الروح، والبدن آلتها.

٥ ـ وقالوا: الأعراض كالألوان، والطعوم، والروائح، وغيرها أجسام، والجواهر مؤلف من الأعراض المجتمعة.

والعلم مثل الجهل المركب، والإيمان مثل الكفر في تمام الماهية.

٦ ـ وقالوا: إن الله تعالى خلق المخلوقات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن، معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً وغير ذلك، ولم يكن خَلْق آدم متقدماً على خَلْق أولاده إلا أنه تعالى كَمَن بَعْض المخلوقات في بعض، والتقديم والتأخير في الكُمُون والظهور.

٧ ـ وقالوا: نَظْمُ القرآن ليس بمعجز؛ إنما المعجز إخباره بالغيب عن الأمور السالفة والآتية، إلا أنه تعالى صرف العرب عن الاهتمام بمعارضته، ولو لم يصرفهم لأمكنهم الإتيان بمثله، بل بأفصح منه.

٨ ـ وقالوا: التواتر الذي لا يُحصى عدده يحتمل الكذب، والإجماع والقياس ليس شيء منهما بحجة.

٩ ـ وقالوا بالطَّفرة.

١٠ ـ ومالوا إلى الرفض في وجود النص على الإمام، وثبوته عن النبي ﷺ على عليٍّ لكن كَتَمَهُ عمر.

١١ ـ وقالوا: من خان بالسرقة فيما دون نصاب الزكاة كمائة وتسعة وتسعين درهماً، وأربعة من الإبل مثلاً، أو ظلم به غيره بالغضب والتعدِّي لا يفسق. ومنها:

٥ ـ **الأَسْوَرَانية**: وهم أصحاب الأسواري، وهؤلاء وافقوا النظامية فيما ذهبوا إليه وزادوا عليهم: أن الله تعالى لا يقدر على ما أخبر بعدمه أو عَلِمَ عدمه، والإنسان قادر عليه؛ لأن قدرة العبد صالحة للضدين على سواء، فإذا قدر على أحدهما قدر على الآخر، فتعلُّق العلم والإخبار من الله تعالى بأحد الطرفين لا يمنع مقدورية الآخر للعبد. ومنها:

٦ ـ **الإِسْكَافِيَّة**[١]: وهم أصحاب أبي جعفر الإسكاف[٢]، وهؤلاء قالوا: إن الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء بخلاف ظلم الصبيان والمجانين؛ فإنه يقدر عليهم. ومنها:

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (١٥١)، التبصير في الدين (٤٨).

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٥/ ٤١٦).

ـ **الجَعْفَرِيَّة**(١): وهم أصحاب جعفر بن جعفر بن جعفر بن مبشر، وجعفر بن حرب، وهؤلاء وافقوا الإسكافية وزادوا عليهم متابعةً لابن المبشر: أنَّ في فُسَّاق الأمة من هو شرٌّ من الزنادقة والمجوس.

وأن الإجماع من الأمة على حَدِّ الشرب خطأ؛ لأن المعتبر في الحدِّ النص.

وسارق الحبَّة فاسق منخلعٌ عن الإيمان. ومنها:

٨ ـ **البِشْرِيَّة**(٢): وهم أصحاب بشر بن المعتمر، كان من أفاضل المعتزلة، وهو الذي أحدث القول بالتوليد.

وهؤلاء قالوا: الأعراض من الألوان والطعوم والروائح وغيرها، كالإدراكات من السمع والرؤية، ويجوز أن تقع متولِّدة في الجسم من فعل الغير، كما إذا كان أسبابها من فعله.

وقالوا: القدرة والاستطاعة: سلامة البنْية، والجوارح من الآفات.

وقالوا: إن الله تعالى قادر على تعذيب الطفل، ولو عذبه لكان ظالماً، لكن لا يحسن أن يقال في حقه ذلك بل يُحِبُّ أن يقال: ولو عذبه لكان الطفل بالغاً، عاقلاً، عاصياً، مستحقاً للعقاب.

وفيه تناقض؛ لأن حاصله أن الله تعالى يقدر على الظلم، ولو ظَلَم لكان عادلاً. ومنها:

٩ ـ **المزدارية**(٣): وهم أصحاب أبي عيسى بن صبح المزدار(٤)، وهذا لقبه، وهو تلميذ بشر، أخذ العلم عنه، وتزهَّد حتى سُمِّيَ راهب المعتزلة.

وقال: إن الله تعالى قادر أن يكذب ويظلم، ولو فعل لكان إلٰهاً كاذباً ظالماً، تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وقال: بجواز أن يقع فعل من فاعلين تولُّداً لا مباشرة.

وقال: إن الناس قادرون على مثل القرآن وأحسن منه نَظْماً وبلاغة، كما قال النظام، وهو الذي بالغ في حدوث القرآن، وكفَّر القائل بقدمه.

وقال: من لابس السلطان فهو كافر، لا يرث ولا يورث منه، وكذا من قال بخلق الأعمال، وبالرؤية كافر أيضاً. ومنها:

---

(١) انظر: التبصير في الدين (٤٧، ٤٨)، شرح المواقف ـ التذييل ـ (١٢).
(٢) انظر: اعتقادات فرق المسلمين (٤٢).
(٣) انظر: الملل والنحل (١/٦٨)، التبصير في الدين (٧٧).
(٤) انظر ترجمته في: الفهرست (٢٠٦).

١٠ ـ **الهشامية**[١]: وهم أصحاب هشام بن عمرو الفُوطي[٢] الذي كان مبالغاً في القدر أكثر من مبالغة سائر المعتزلة، وهؤلاء قالوا: لا يطلق اسم الوكيل على الله تعالى لاستدعائه موكلاً، ولم يعلموا أن الوكيل في أسمائه تعالى بمعنى الحفيظ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٧].

وقالوا: ألَّف الله تعالى بين القلوب، مع أنه مخالف لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٣].

وقالوا: الأعراض ما تدل على الله تعالى ولا على رسوله؛ إنما الدالُّ على ذلك هو الأجسام، ويلزمهم على ذلك أن لا يكون فلق البحر، وقلب العصا حيَّة، وإحياء الموتى دليلاً على صدق مَنْ ظهر على يده.

وقالوا: لا دلالة في القرآن على حلال وحرام.

والإمامة لا تنعقد مع الاختلاف؛ بل لا بد من اتفاق الكل.

ومقصودهم من ذلك القول: الطعن في إمامة أبي بكر، إذ كانت بيعة بلا اتفاق من جميع الصحابة، لما بقي من كل طرف طائفة على خلافه، وكانت خلافته باستخلاف رسول الله ﷺ له.

وقالوا: الجنة والنار لم تُخلقا بعدُ؛ إذ لا فائدة في وجودهما الآن.

وقالوا: لم يُحاصر عثمان ولم يُقتل، مع كونه متواتراً.

وقالوا: من أفسد صلاةً في آخرها، وقد افتتحها أولاً بشروطها، فأول صلاته معصية منهي عنها مع كونه مخالفاً للإجماع. ومنها:

١١ ـ **الصَّالِحِيَّة**[٣]: وهم أصحاب صالح بن جودة، ومذهبهم أنهم جوَّزوا قيام العلم، والقدرة والإرادة والسمع، والبصر بالميت، ويلزمهم جواز أن يكون الناس مع اتصافهم بهذه الصفات أمواتاً، وأن لا يكون الباري تعالى حيّاً. وجوّزوا خلق الجوهر على الأعراض كلِّها. ومنها:

١٢ ـ **الحابطيَّة**[٤]: وهم أصحاب أحمد بن حابط، وهو من أصحاب النظام نسبت أتباعه إلى أبيه.

---

(١) انظر: خطط المقريزي (٢/ ٣٤٦)، الملل والنحل (١/ ٧٢).

(٢) انظر ترجمته في: لسان الميزان (٥/ ٢٧١).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٥)، شرح المواقف.

(٤) انظر: شرح المواقف ـ التذييل ـ (١٥).

وهؤلاء قالوا: للعالَم إلٰهان: قديم، وهو الله تعالى. وحادث، وهو المسيح، وهو الذي يحاسب الناس في الآخرة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: الآية ٢٢].

وهو الذي يأتي في ظُلل من الغمام، وهو المعني بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله خلق آدم على صورته»[١]، وبقوله عليه الصلاة والسلام: «يضع الجبار قدمه في النار...»، وإنما سُمِّي المسيح لأنه ذرع الأجسام وأحدثها.

قال الآمدي: هؤلاء كفار مشركون. ومنها:

١٣ - **الحَدْثِيَّة**[٢]: وهم أصحاب فضل الحَدْثي، ومذهبهم مذهب الحابطية، إلا أنهم زادوا: التناسخ.

وقالوا: كلُّ حيوانٍ مكلَّفٌ وأنه تعالى أبدع الحيوانات عُقلاء بالِغين في دارٍ سوى هذه الدار، وخلق فيهم معرفته والعلم به وأسبغ عليهم نعمهُ، ثم ابتلاهم وكلفهم شكر نعمه، فأطاعه البعض فأقرهم في دار النعيم التي ابتدأهم فيها، وعصاه البعض في الجميع، فأخرجهم من تلك الدار إلى دار العذاب، وهي النار، وأطاعه البعض في البعض فأخرجهم إلى دار الدنيا، وكساهم هذه الأجساد الكثيفة على صورٍ مختلفة كصورة الإنسان وسائر الحيوانات، وابتلاهم بالبأساء والضرَّاء، والآلام واللذات على مقادير ذنوبهم، فمن كانت معاصية وطاعته أكثر، كانت صورته أحسن وآلامه أقل، ومن كان بالعكس فبالعكس، ولا يزال يكون الحيوان في صورة بعد صورة ما دامت ذنوبه معه، وهذا عين القول بالتناسخ. ومنها:

١٤ - **المُعَمَّرِيَّة**[٣]: وهم أصحاب مُعمَّر بن عباد السلمي.

وهؤلاء قالوا: إن الله تعالى لم يخلق شيئاً غير الأجسام، وأما الأعراض فيخير عنها الأجسام إما طبْعاً كالنار للإحراق والشمس للحرارة، وإما اختياراً كالحيوان.

قيل: ومن العجب أن حدوث الأجسام وفناءها عند معمَّر من الأعراض فكيف يكون من فعل الأجسام.

وقالوا: إن الله تعالى لا يوصف بالقدم؛ لأنه يدل على التقادم الزماني، والله تعالى ليس بزماني.

---

(١) في البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٦١٢).
(٢) انظر: الانتصار للخياط (٢١٨)، شرح المواقف (١٥).
(٣) انظر: الفرق بين الفرق (١٥١)، شرح المواقف (١٦).

ولا يعلم الله نَفْسَه، وإلا لاتحد العالِمُ والمعلومُ وهو ممتنع.

والإنسان لا فعل له غير الإرادة، مباشرة كانت أو توليداً، بناءً على ما ذهبوا إليه من مذهب الفلاسفة في حقيقة الإنسان. ومنها:

١٥ ـ **الأثمامية**(١): وهم أصحاب ثمامة بن أشرس النميري، وهو كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس، وهؤلاء قالوا: الأفعال المتولّدة لا فاعل لها؛ إذ لا يمكن إسنادُها إلى فاعل السبب، لاستلزامه إسناد الفعل إلى الميت، فيما إذا رمى سَهْماً إلى شخصٍ، ومات قبل وصوله إليه، ولا إلى الله تعالى لاستلزامه صدور القبيح عنه تعالى.

وقالوا: المعرفة متولّدة من النظر، وأنها واجبة قبل الشرع.

واليهود والنصارى والمجوس والزنادقة يصيرون في الآخرة تراباً، لا يدخلون الجنة ولا النار، وكذا البهائم والأطفال.

والاستطاعة: سلامة الآلة وهي قبل الفعل.

ومن لا يعلم خالقه من الكفار معذور.

والمعارف كلها ضرورية.

ولا فعل للإنسان غير الإرادة، وما عداها حادثٌ بلا محدِث.

والعالم فعل الله تعالى بطبعه؛ كأنهم أرادوا به ما يقول الفلاسفة من الإيجاب، ويلزمهم قدم العالم، وكان ثمامة في زمن المأمون، وله عنده منزلة. ومنها:

١٦ ـ **الخيَّاطيَّة**(٢): وهم أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط، وهؤلاء قالوا بالقدر، بمعنى إسناد الأفعال إلى العباد.

وجعلوا المعدوم شيئاً ثابتاً مقرراً في حال العدم وجوهراً وعرضاً، ومرادهم أن الذوات المعدومة متصفة بصفات الأجناس حال العدم.

وقالوا: إرادة الله تعالى كونه قادراً غير مكره ولا كاره، وهي أفعال نفسه، كونه خالقاً لها، وفي أفعال عباده الأمر بها، وكونه سميعاً بصيراً أنه عالمٌ بمتعلقهما، وكونه يرى ذاته أو غيره أنه يعلم. ومنها:

١٧ ـ **الجاحظية**(٣): وهم أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ، كان من الفضلاء

---

(١) أو الثمامية، انظر: الملل والنحل (١/ ٧٠)، الفرق بين الفرق (١٧٢).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (١٧٩)، الملل والنحل (١/ ٧٦).

(٣) انظر: الإبكار للآمدي (٥/ ٥٠)، التبصير في الدين (٤٩).

والبلغاء في أيام المعتصم والمتوكل، وقد طالع كتب الفلاسفة، وروَّج كثيراً من مقالاتهم بعباراته البليغة اللطيفة، وهؤلاء قالوا: المعارف كلها ضرورية.

ولا إرادة في أحدٍ منا؛ إنما إرادته لفعله عدم السهو فيه، بمعنى كونه عالماً ساهٍ عنه، وإرادته فعل الغير هي ميل النفس إليه.

وقالوا: إن الأجسام ذوات طبائع مختلفة، لها آثار مخصوصة، ويمتنع انعدام الجواهر، وإنما تتبدل الأعراض والجواهر باقية على حالها كما قيل في الهُيُولى.

والنار يُجذب إليها أهلها، لأن الله تعالى يدخلهم فيها.

والخير والشر من فعل العبد.

والقرآن جسد ينقلب؛ تارةً رجلاً، وتارةً امرأةً. ومنها:

١٨ ـ الكعبية[١]: وهم أصحاب أبي القاسم بن محمد الكعبي، كان من معتزلة بغداد، وتلميذ الخياط.

وهؤلاء قالوا: فعل الربّ واقع بغير إرادته، فإذا قيل: إنه تعالى مريدٌ لأفعاله، يراد أنه خالقها، وإذا قيل: إنه تعالى مريد لأفعال غيره، يراد أنه أمر بها.

وقالوا: لا يرى نفسه ولا غيره إلاّ بمعنى أنه يعلمه، كما ذهب إليه الخياطية. ومنها:

١٩ ـ الجُبَّائِيَّة[٢]: وهم أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي، من معتزلة البصرة.

وهؤلاء قالوا: إرادة الرب حادثة، لا في محل، والله تعالى مريد بتلك الإرادة، موصوف بها.

والعالَمُ يفني بفناءٍ، لا في محلٍّ عند إرادة الله تعالى فناء العالم.

والله تعالى متكلم بكلام مركَّب من حروف وأصوات يخلقها الله تعالى في جسم، والمتكلم بذلك الكلام من فَعَل الكلام وخَلَقَه، لا مَنْ قام به وحلَّ فيه.

وأنه تعالى لا يُرى في الآخرة.

والعبدُ خالقٌ لفعله.

ومرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، وإذا مات بلا توبة يُخلد في النار. ولا كرامات للأولياء.

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (١٧٩).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/٧٨)، الفرق بين الفرق (١٨٣).

ويجب على الله تعالى لمن يكلفه إكمال عقله وتهيئة أسباب التكليف له، بمعنى اللطف به، ورعاية ما هو أصلح له.

والأنبياء معصومون.

وشارك أبا علي في أحكامه المذكورة أبو هاشم، ثم انفرد عنه بأن الله تعالى عالمٌ بذاته بلا إيجاب صفة هي علم، ولا حالة توجب العالمية. وكونه تعالى سميعاً بصيراً، معناه أنه حيٌّ لا آفة به. ومنها:

٢٠ ـ **الهاشمية**(١): وهم أصحاب أبي هاشم، فإنه انفرد عن أبيه: بإمكان استحقاق الذم والعقاب بلا معصية، مع كونه مخالف للإجماع والحكمة.

وبأنه لا توبة عن كبيرة مع الإصرار على غيرها عالماً بقبحه، ولا مع عدم القدرة عليها.

ويلزمه أن لا يصح إسلام الكافر مع أدنى ذنب أخذ عليه، ولا توبة الكاذب عن الكذب بعدما صار أخرس، ولا توبة الزاني عن الزنى بعدما وجب.

وبأنه لا يتعلق علم واحد بمعلومين على التفصيل.

ولله تعالى أحوال لا معلومة، ولا مجهولة، ولا قديمة، وحادثة.

قال الآمدي: هذا تناقض؛ إذ لا معنى لكون الشيء حادثاً إلاَّ أنه ليس قديماً، ولا معنى لكونه مجهولاً، إلاَّ أنه ليس معلوماً، على أن إثبات حالة غير معلومة مما لا سبيل إليه.

الفرقة الثالثة: الخوارج(٢)

وهم سبع فِرَق، منها:

١ ـ **المحكِّمة**(٣): وهم الذين خرجوا على عليٍّ عند التحكيم وكفَّروه، وهم اثنا عشر ألف رجل، كانوا من أهل صلاة وصيام، قالوا:

من نُصِّب من قريش وغيرهم وعَدَلَ فيما بين الناس فهو إمام؛ وإن غيَّر السيرة وجَارَ، وجب أن يُعْزل أو يُقتل.

ولم يوجبوا نصب الإمام، بل جوزوا أن لا يكون في العالم إمام.

---

(١) أز البهشمية، انظر عنهم: طبقات المعتزلة (٩٤).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١٦٧)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٤٦).

(٣) انظر: شرح المواقف ـ التذيل ـ (٤٢، ٤٣).

وكفّروا عثمان وأكثر الصحابة. ومرتكب الكبيرة. ومنها:

٢ ـ البيهسية[١]: وهم أصحاب أبي بيهس الهيصَم بن جابر.

وهؤلاء قالوا: ١ ـ الإيمان هو الإقرار، والعلم بالله وبما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فمن وقع فيما لا يعرف حلال هو أم حرام فهو كافر؛ لوجوب التفحص عليه حتى يعلم الحق، وقال بعضهم: لا يكفر حتى يُرْفع أمره إلى الإمام فيحده، وكل ما ليس فيه حدٌ فهو مغفور.

٢ ـ وقال بعضهم: لا حرام إلاّ في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥].

٣ ـ وقال بعضهم: إذا كفر الإمام كفرت الرعية حاضراً أو غائباً.

٤ ـ وقالوا: الأطفال كآبائهم إيماناً وكفراً.

٥ ـ ووافقوا القدرية في إسناد أفعال العباد إليهم. منها:

٣ ـ الأزارقة[٢]: وهم أصحاب نافع بن الأزرق، وهؤلاء قالوا:

١ ـ كَفَرَ عليٌ بالتحكيم، وهو الذي أُنزل في شأنه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٠٤]، وابن ملجم محق في قتله، وهو الذي أُنزل فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٧].

٢ ـ وقالوا: كفرت الصحابة، وقضوا بتخليدهم في النار.

٣ ـ وكفّروا القعدة عن القتال، وإن كانوا موافقين لهم في الدين.

٤ ـ وقالوا بتحريم التَّقِيَّة في القول والعمل.

٥ ـ ويجوز قتل أولاد المخالفين ونساءهم.

٦ ـ ولا رجم على الزاني المحصن لأنه غير مذكور في القرآن.

٧ ـ ولا حدَّ على النساء للقذف؛ لأن المذكور في القرآن صِيغة ﴿الَّذين﴾ وهي للذكور.

٨ ـ وأطفال المشركين في النار مع آبائهم.

---

(١) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (٤٧)، شرح المواقف ـ التذييل ـ (٤٣).

(٢) انظر: الملل والنحل (١١٨)، الفرق بين الفرق (٨٢).

٩ ـ ويجوز أن يكون النبي كافراً، وإن علم كفره بعد النبوّة.

١٠ ـ ومرتكب الكبيرة كافر. ومنها:

٤ ـ النجدات[١]: وهم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي[٢]، فمنهم:

العاذرية: الذين عذروا الناس بالجهالات في الفروع بسبب أن نجدة وجَّه ابنه مع جيش إلى القطيف فقتلوهم وأسروا نساءهم، ونكحوهن قبل القسمة، وأكلوا من الغنيمة قبلها أيضاً، فلما رجعوا إلى نجدة وأخبروه بما فعلوا فقال: لا يسعكم ما فعلتم. فقالوا: لم نعلم أنه لا يسعنا، فعذرهم بجهالتهم، فاختلفوا بعد ذلك، فمنهم من تابعه.

وقالوا: إن الدين أمران، أحدهما: معرفة الله تعالى ورسله، والإقرار بما جاء به الرسول جملة، فهذا هو الذي لا يعذر فيه الجاهل به.

والثاني: ما سوى ذلك، والجاهل به معذور، فهؤلاء هم الذين سُمُّوا عاذرية.

وقال النجدات كلهم: لا حاجة للناس إلى الإمام، بل الواجب عليهم رعاية النصفة فيما بينهم، ويجوز لهم نصبه إذا رأوا أن تلك الرعاية لا تتم إلاّ بإمام يحملهم عليها.

وخالفوا الأزارقة في غير التكفير ـ يعني أنهم وافقوهم في التكفير، وخالفوهم في الأحكام الباقية ـ. ومنها:

٥ ـ الأصفرية[٣]: وهم أصحاب زياد بن الأصفر، وهؤلاء:

١ ـ يخالفون الأزارقة في تكفير القعدة على القتال إذا كانوا موافقين لهم في الدِّين.

٢ ـ وفي إسقاط الرجم، حيث لم يسقطوه.

٣ ـ وفي أطفال الكفار، حيث لم يقولوا بكونهم في النار مع آبائهم.

٤ ـ وفي منع التقية في القول، حيث جوزوا التقية في القول دون العمل.

٥ ـ وقالوا: المعصية الموجبة للحد لا يُسمى صاحبها إلاّ بها فيقال مثلاً: سارق، أو زانٍ، أو قاذف، ولا يقال: كافر، وما لا حدَّ فيه لعظمه كترك الصلاة والصوم كفر، فيقال لصاحبه: كافر، ويقال: تزوجت المؤمنة المعتقدة لما هو في

---

(١) انظر: التبصير في الدين (٣٠)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٤٧).

(٢) انظر ترجمته في: الإعلام (٨/ ٣٢٥).

(٣) انظر: التبصير في الدين (٣١)، شرح المواقف (٤٦).

دينهم، من الكافر المخالف لهم في دار التقية دون دار العلانية. ومنها:

٦ ـ **الإباضية**[1]: وهم أصحاب عبد الله بن إباض.

وهؤلاء قالوا:

١ ـ مخالفونا من أهل القبلة كفار غير مشركين، يجوز مناكحتهم، وغنيمة أموالهم من سلاحهم وكراعهم حلال عند الحرب دون غيره، ودارهم دار السلام إلاَّ معسكر سلطانهم.

٢ ـ وقالوا: تقبل شهادة مخالفيهم عليهم.

٣ ـ ومرتكب الكبيرة موحِّد غير مؤمن، بناءً على أن الأعمال داخلة في الإيمان والاستطاعة قبل الفعل.

٤ ـ وفعل العبد مخلوق لله تعالى.

٥ ـ ويفنى العالم كله بفناء أهل التكليف.

٦ ـ وتوقفوا في: تكفير أولاد الكفار، وتعذيبهم. وفي النفاق أهو شرك أم لا؟ وفي جواز بعثة رسول بلا دليل ومعجزة. وفي تكليف أتباعه فيما يوحى إليه ـ يعني أنهم ترددوا ـ وأن ذلك جائز أو لا؟!.

٧ ـ وكفَّروا علياً وأكثر الصحابة.

وهؤلاء افترقوا ثلاث فرق، ومنها:

أ ـ **الحفصية**[2]: وهم أصحاب حفص بن أبي المقدام.

وهؤلاء زادوا على الإباضية: أن بين الإيمان والشرك معرفة الله تعالى؛ فإنها خصلة متوسطة بينهما؛ فمن عرف الله تعالى وكفر بما سواه من رسول الله، أو جنة أو نار، أو بارتكاب كبيرة، فكافر لا مشرك. ومنها:

ب ـ **اليزيدية**[3]: وهم أصحاب يزيد بن أُنيسة.

وهؤلاء زادوا على الإباضية، وقالوا:

١ ـ سيُبعث من العجم نبي بكتاب يكتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة، ويترك شريعة محمد عليه الصلاة والسلام إلى ملَّة الصابئة المذكورة في القرآن.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١٨٣)، مروج الذهب (٣/٣٥٨).
(٢) انظر: التبصير في الدين (٣٤)، الفرق بين الفرق (١٠٤).
(٣) انظر: الملل والنحل (١٣٦)، مقالات الإسلاميين (١٨٤).

٢ ـ وقالوا: أصحاب الحدود مشركون، وكل ذنبٍ شركٌ كبيرة كانت أو صغيرة. ومنها:

جـ ـ **الحارثية**[١]: وهم أصحاب الحارث الإباضي.

وهؤلاء:

١ ـ خالفوا الإباضية في القدر؛ بمعنى كون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

٢ ـ وفي كون الاستطاعة قبل الفعل. وآخر السبع من فرق الخوارج. ومنها:

٧ ـ **العجاردة**[٢]: وهم أصحاب عبد الكريم بن عجرد.

وهؤلاء زادوا على النجدات بعد أن وافقوهم في مذهبهم:

١ ـ وجوب البراءة عن الطفل حتى يدعى للإسلام بعد البلوغ، فإذا بلغ يجب دعاؤه إلى الإسلام.

٢ ـ وأطفال المشركين في النار. وهم عشر فرق، ومنها:

١ ـ **الميمونية**[٣]: وهم أصحاب ميمون بن عمران.

وهؤلاء:

١ ـ قالوا بالقدر ـ بمعنى إسناد الأفعال إلى قُدرة العباد، وتكون الاستطاعة قبل الفعل.

٢ ـ وأن الله تعالى يريد الخير دون الشر، ولا يريد المعاصي كما هو مذهب المعتزلة.

٣ ـ وقالوا: أطفال المشركين في الجنة.

٤ ـ وروي عنهم تجويز نكاح بنات البنين وبنات البنات، وأولاد الإخوة والأخوات.

٥ ـ وإنكار سورة يوسف عليه السلام، فإنهم زعموا أنها قصة من القصص، وقالوا: لا يجوز أن تكون قصة العشق قرآناً. ومنها:

٢ ـ **الحَمْزِيَّة**[٤]: وهم أصحاب حمزة بن أدرك.

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (١٠٥)، الملل والنحل (١٣٦)، التبصير في الدين (٣٥).

(٢) انظر عنهم في: شرح المواقف (٤٩)، الملل والنحل (١٢٨).

(٣) انظر في مبادئهم: اعتقادات فرق المسلمين (٤٨)، الإبكار للآمدي (٥/ ٨٠).

(٤) انظر: الإبكار للآمدي (٥/ ٨١).

وهؤلاء وافقوا الميمونية فيما ذهبوا إليه من البدع، إلا أنهم قالوا: أطفال الكفار في النار. ومنها:

٣ ـ **الشعيبية**[١]: وهم أصحاب شعيب بن محمد، وهؤلاء كالميمونة في بدعهم، إلا في القدر. ومنها:

٤ ـ **الحازمية**[٢]: وهم أصحاب حازم بن عاصم.

وهؤلاء وافقوا الشعيبية، ويُحكى عنهم أنهم يتوقفون في أمر عليٍّ، ولا يصرحون بالبراءة عن غيره. ومنها:

٥ ـ **الخَلَفِيَّة**[٣]: وهم أصحاب خلف الخارجي.

وهؤلاء خوارج كرمان ومكران.

١ ـ أضافوا القدر خيره وشره إلى الله تعالى.

٢ ـ وحكموا بأن أطفال المشركين في النار بلا عمل ولا ترك. ومنها:

٦ ـ **الأطرافيَّة**[٤]: وهم على مذهب حمزة، إلاَّ أنهم عذروا أهل الأطراف فيما لم يَعْرِفوا من الشريعة إذا أتوا بما يُعرف لزومه من جهة العقل.

ووافقوا أهل السنة في أصولهم، وفي نفي القدرة المؤثرة عن العباد. ورئيسهم رجلٌ من سجستان. ومنها:

٧ ـ **المعلومية**[٥]: وهم كالحازمية.

إلاَّ أن:

١ ـ المؤمن عندهم مَنْ عرف الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته، ومن لم يعرفه كذلك فهو جاهل لا مؤمن.

٢ ـ وفعل العبد مخلوق لله تعالى. ومنها:

٨ ـ **المجهوليَّة**[٦]: ومذهبهم كمذهب الحازمية أيضاً، إلا أنهم قالوا:

١ ـ يكفي معرفة الله تعالى ببعض أسمائه؛ فمن علمه به فهو عارف به مؤمن.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: الملل والنحل (٥٦)، الفرق بين الفرق (٩٤).

(٤) انظر: شرح المواقف (٥٠).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (١٧٩)، شرح المواقف (٥١).

(٦) انظر: مقالات الإسلاميين (١٧٩)، التبصير في الدين (٣٣).

٢ ـ وفعل العبد مخلوق لله تعالى. ومنها:

٩ ـ الصَّلْتية(١): وهم أصحاب عثمان بن أبي الصلت، وقيل: الصلت بن أبي الصلت، وهؤلاء كالعجاردة.

إلاّ أنهم قالوا:

١ ـ من أسلم واستجار بنا توليناه، وبرئنا من أطفاله حتى يبلغوا ويدعوا إلى الإسلام فيقبلوا، وروي عن بعضهم أن الأطفال سواء كانوا للمسلمين أو للمشركين، لا ولاية لهم، ولا عداوة حتى يبلغوا ويدعوا إلى الإسلام، فيقبلوا أو ينكروا. ومنها:

١٠ ـ الثعالبة(٢): وهم أصحاب ثعلبة بن عامر.

وهؤلاء قالوا:

١ ـ بولاية الأطفال صغاراً كانوا أو كباراً حتى يظهر منهم إنكار الحق بعد البلوغ، وقد نقل عنهم أيضاً أن الأطفال لا حكم لهم من ولاية أو عداوة إلى أن يدركوا.

٢ ـ ويرون أخذ الزكاةِ من العبيد إذا استغنوا وإعطاءها لهم إذا افتقروا.

وتفرقت هذه الفرقة أربع فرق، ومنها:

١ ـ الأخنسيَّة(٣): وهم أصحاب أخنس بن قيس، وهؤلاء كالثعالبة، إلا أنهم امتازوا عنهم:

١ ـ وتوقفوا فيمن هو في دار التقية من أهل القبلة، فلم يحكموا عليه بإيمان ولا بكفر، إلاّ من علم حاله من إيمانه وكفره.

٢ ـ وحرَّموا الاغتيال بالقتل لمخالفيهم، والسرقة من أموالهم.

ونقل عنهم جواز تزويج المسلمات من مشركي قومهم. ومنها:

٢ ـ المَعْبَديَّة(٤): وهم أصحاب معبد بن عبد الرحمٰن.

وهؤلاء خالفوا الأخنسية في تزويج المسلمات من المشركين، وخالفوا الثعالبة في أخذ الزكاة من العبيد ودفعها إليهم. ومنها:

٣ ـ الشيبانية(٥): وهم أصحاب شيبان بن سلمة.

---

(١) انظر المرجع السابق.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) انظر المرجع السابق.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١٨٠)، شرح المواقف (٥٢) من التذييل.

(٥) انظر المرجع السابق بنفس الرقم.

وهؤلاء قالوا:

١ ـ بالجبر.

٢ ـ والقدرة الحادثة. ومنها:

٤ ـ المُكْرَمِيَّة[١]: وهم أصحاب مكرم العجلي.

وهؤلاء قالوا:

١ ـ تارك الصلاة كافر، لا لترك الصلاة، بل لجهله بالله تعالى؛ فإن من علم أنه تعالى مطلع على سرِّه وعَلَنِهِ، ومجازيه على طاعته ومعصيته لا يتصور منه الإقدام على ترك الصلاة.

٢ ـ وكذا مرتكب كل كبيرة، فإنه كافر لجهله بالله تعالى كما ذكر.

وموالاة الله تعالى ومعاداته لعباده باعتبار العاقبة، وما هم صائرون إليه عند موافاة الموت لا باعتبار أعمالهم التي هم عليها؛ لأنها غير موثوق بدوامها، فكذا نحن، فإن من وصل إلى حال الموت إن كان مؤمناً في تلك الحالة واليناه، وإن كان كافراً عاديناه.

فإذن، تكون فرق الخوارج عشرين فرقة، لأن العجاردة عشر فرق، فبضمها إلى الست السابقة تصير ست عشرة، وتتشعب من الثعالبة والإباضية أربع فرق أخرى، فيصير المجموع عشرين فرقة، بل أكثر.

الفرقة الرابعة: المرجئة[٢]

لقبوا بذلك لأنهم يرجئون العمل عن النية، أي يؤخرونه في الرتبة عنها وعن الاعتقاد، أو لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

وفرقهم خمس، منها:

١ ـ اليونسية[٣]: وهم أصحاب يونس النميري.

وهؤلاء قالوا:

١ ـ الإيمان هو المعرفة بالله تعالى والخضوع له، والمحبة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن لا يضر معها ترك الطاعات وارتكاب المعاصي، ولا يعاقب عليها.

---

(١) انظر: الملل والنحل (١٣٣)، الفرق بين الفرق (١٠٣).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (٢١٤)، الفرق بين الفرق (٢٠٢)، الملل والنحل (١٣٩).

(٣) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٠).

٢ ـ وإبليس كان عارفاً بالله تعالى وإنما كفر باستكباره وترك الخضوع لله تعالى كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٤]. ومنها:

٢ ـ العُبيدية[(١)]: وهم أصحاب عبيد المكتب.

وهؤلاء زادوا على اليونسية وقالوا:

١ ـ إن علم الله لم يزل شيئاً غير ذاته، وكذا باقي صفاته.

٢ ـ وإنه تعالى على صورة الإنسان، لما ورد في الحديث: «إن الله تعالى خلق آدم على صورته»[(٢)]، أو «على صورة الرحمٰن» على اختلاف الرواية. ومنها:

٣ ـ الغَسَّانية[(٣)]: أصحاب غسان الكوفي.

وهؤلاء قالوا:

١ ـ الإيمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله، وبما جاء من عندهما إجمالاً لا تفصيلاً.

٢ ـ وهو يزيد وينقص.

٣ ـ وذلك الإجمال مثل أن يقول: قد فرض الله الحج، ولا أدري أين الكعبة، ولعلها بغير مكة، وبعث الله محمداً رسولاً، ولا أدري أهو الذي بالمدينة أم غيره، وحرَّم الخنزير، ولا أدري أهو هذه الشاة أم غيرها.

فإن القائل بهذه المقالات مؤمن، ومقصوده بما ذكره أن هذه الأمور ليست داخلة في حقيقة الإيمان، وإلاَّ فلا شبهة في أن عاقلاً لا يشك فيها. ومنها:

٤ ـ الثوبانية[(٤)]: وهم أصحاب أبي ثوبان المرجىء.

وهؤلاء قالوا:

١ ـ الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله تعالى وبرسوله، وبكل ما لا يجوز في العقل أن يفعله، وأما ما جاز في العقل أن يفعله فليس الاعتقاد به من الإيمان.

٢ ـ وأخروا العمل كله عن الإيمان.

٣ ـ واتفقوا على أنه تعالى لو عفا في القيامة عن عاصٍ؛ لعفا عن كل من هو

---

(١) انظر: الإبكار للآمدي (٥/ ٨٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: الملل والنحل (١٤٠)، الفرق بين الفرق (٢٠٣).

(٤) انظر: الإبكار للآمدي (٥/ ٨٧)، الفرق بين الفرق (٢١٣).

مثله، وكذا لو أخرج واحداً من النار، لأخرج كل من هو مثله.

٤ ـ ولم يجزموا بخروج المؤمنين من النار. ومنها:

٥ ـ التُّومَنِيَّة[1]: وهم أصحاب أبي معاذ التومني.

وهؤلاء قالوا:

١ ـ الإيمان هو المعرفة، والتصديق، والمحبة، والإخلاص، والإقرار بما جاء به الرسول عليه السلام، وترك كله أو بعضه كفر، وليس بعضه إيماناً ولا بعضه كفراً.

٢ ـ وكل معصية لم يجمع على أنه كفر، فصاحبه يقال فيه: إنه فَسَقَ أو عَصَى، ولا يُقال: إنه فاسق.

٣ ـ ومن ترك الصلاة مستحلاً يكفر؛ لتكذيبه بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ومن تركها بنية القضاء لا يكفر.

٤ ـ ومن قتل نبياً أو لطمه يكفر، لا لأجل القتل أو اللطمة، بل لكونه دليلاً على تكذيبه وبغضه.

فهذه هي المرجئة الخالصة، ومنهم من جمع بين الإرجاء والقدر، بمعنى إسناد الأفعال إلى العباد كالصالحي، وأبي شمر، ومحمد بن شبيب، بل الخروج أيضاً كغيلان، حيث قالوا: يجوز أن لا يكون الإمام قرشياً.

الفرقة الخامسة: النَّجارية[2]

وهم أصحاب محمد بن الحسين.

وهؤلاء موافقون لأهل السنة في خلق الأفعال، وكون الاستطاعة مع الفعل، وكون العبد مكتسباً لفعله.

وموافقون للمعتزلة في نفي الصفات الوجودية، وحدوث الكلام، ونفي الرؤية بالأبصار.

وفرقهم ثلاث، منها:

١ ـ البرغوثية[3]: وهم قالوا: كلام الله تعالى إذا قرىء عَرَضٌ، وإذا كُتب بأي شيء كان فهو جِسْمٌ. ومنها:

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢٢١)، الإبكار (٥/٨٨).

(٢) انظر: الإبكار للآمدي (٥/٨٩)، الفرق بين الفرق (٢٠٧)، مقالات الإسلاميين (٢١٦).

(٣) انظر: التبصير في الدين (٦٢)، الملل والنحل (٨٨).

٢ ـ **الزعفرانية**[١]: وهم قالوا: كلام الله تعالى غيره، وكل ما هو غيره مخلوق، ومن قال: كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر. ومنها:

٣ ـ **المستدركة**[٢]: وهم استدركوا على الزعفرانية، وقالوا: كلام الله تعالى مخلوق مطلقاً، لكنا في نفيه وافقنا السنّة الواردة بأن كلام الله غير مخلوق، والإجماع المنعقد عليه، وأوّلناه بما هذه الصورة حكايته، أي حملنا قولهم: غير مخلوق على أنه غير مخلوق على هذا الترتيب والنظم من هذه الحروف والأصوات، بل هو مخلوق على غير هذه الحروف، وهذه الحروف حكاية عنها.

وقالوا: أقوال مخالفينا كلها كذب، حتى قولهم: لا إلٰه إلاَّ الله، فإنه كذب أيضاً.

الفرقة السادسة: الجبرية[٣]

وهم نوعان: خالصة ومتوسطة.

أما المتوسطة: فغير خالصة في القول بالجبر المحض، بل هي متوسطة بين الجبر والتفويض، تثبت للعبد كسباً في الفعل بلا تأثير فيه كالأشعرية، والنجارية، والضرارية.

وأما الخالصة: فلا تثبت للعبد كسباً في الفعل، بل تُسند فعل العبد إلى الله تعالى، كـ:

الجهمية: وهم أصحاب جهم بن صفوان الترمذي السمرقندي.

وهؤلاء قالوا:

١ ـ لا قدرة للعبد أصلاً، لا مؤثرة ولا كاسبة، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها.

٢ ـ والله تعالى لا يعلم الشيء قبل وقوعه، وعِلْمُهُ تعالى حَادِثٌ، لا في محلٍ.

٣ ـ وأنه تعالى لا يتّصف بما يوصف به غيره كالعِلْم والحياة، إذ يلزم منه التشبيه.

---

(١) انظر: الإبكار للآمدي (٥/ ٩٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر عنها: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٣٨)، شرح المواقف (٥٩، ٦٠)، التبصير في الدين (٦٣)، الفرق بين الفرق (٢١١).

٤ ـ والجنة والنار تَفْنَيَانِ بعد دخول أهلهما فيهما، حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى.

ووافقوا المعتزلة في:

١ ـ نفي الرؤية.

٢ ـ وخلق الكلام.

٣ ـ وإيجاب المعرفة بالعقل قبل ورود الشرع. ومنها:

المشبهة(١): وهم يشبهون الله تعالى بالمخلوقات، ومثَّلوه بالمحدثات، وهم لأجل ذلك كانوا فرقة واحدة قائلة بالتشبيه، وإن اختلفوا في طريقه، فمنهم:

أ ـ مشبهة غلاة الشيعة: كالسبائية، والبنانية، والمغيرية، وغيرهم كما تقدم من مذاهبهم الخبيثة القائلة بالتجسيم، والحركة، والانتقال، والحلول في الأجسام، إلى غير ذلك من أقوالهم القبيحة الباطلة، ومنهم:

ب ـ مشبهة الحشوية: فإنهم قالوا: إن الله تعالى جسم لا كالأجسام، من لحم ودم لا كاللحوم والدماء، وله الأعضاء والجوارح، ويجوز عليه الملامسة، والمصافحة، والمعانقة للمخلصين الذين يزورونه في الدنيا ويزورهم. حتى نقل إن بعضهم قال: اعفوني عن اللحية والفرج وسلوني عما وراءه. ومنهم:

جـ ـ مشبهة الكرامية: وهم أصحاب أبي عبد الله بن محمد بن كرام.

وأقوالهم في التشبيه متعددة مختلفة، غير أنها لا تنتهي إلى من يعبأ به ويبالى بقوله، فاختير الاقتصار على ما قال زعيمهم، وهو:

١ ـ أن الله تعالى على العرش من جهة العلو، مماس له من الصفحة العليا، ويجوز عليه الحركة والنزول.

واختلفوا: يملأ العرش أم لا يملؤه؟ بل هو على بعضه. وقال بعضهم: ليس هو على العرش، بل هو محاذٍ للعرش.

واختلفوا: بِبُعْدٍ متَنَاهٍ أو بغير متناه؟

ومنهم من أطلق عليه لفظ الجسم.

ثم اختلفوا: هل هو متناه من الجهات كلها؟ أو متناه من جهة تحت فقط؟ أو

---

(١) انظر أنواعهم وتصنيفهم باستفاضة وتوسع في: الإبكار للآمدي (٥/ ٩٣ وما بعدها)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (٨١) وما بعدها.

ليس بمتناه، بل هو غير متناهٍ في جميع الجهات؟!.

٢ ـ وقالوا: إنه تعالى محل الحوادث في ذاته، وزعموا أنه تعالى إنما يقدر على الحوادث الحالية دون الخارجة عن ذاته.

٣ ـ ويجب عليه أن يكون أول خلقه حياً يصح منه الاستدلال.

٤ ـ وقالوا: النبوة والرسالة صفتان قائمتان بذات الرسول سوى الوحي، وسوى أمر الله تعالى بالتبليغ، وسوى المعجزة والعصمة، وصاحب تلك الصفة رسول بسبب اتصافه بها عن غير إرسال، وعلى الله تعالى إرساله، ولا يجوز إرسال غير الرسول، وهو حين أرسل مرسل فكل مرسل رسول بلا عكس كلي، ويجوز عزل مرسل عن كونه مرسلاً دون الرسول؛ فإنه لا يتصور عزله عن كونه رسولاً، وليس من الحكمة إرسال رسول واحد، بل لا بد من تعدُّده.

٥ ـ وجوَّزوا إمامين في عصر واحد كعلي ومعاوية؛ إلاَّ أن إمامة عليٍّ على وفق السنة بخلاف إمامة معاوية، لكن يجب طاعة رعيته له.

٦ ـ وقالوا: الإيمان هو الإقرار الذي وجد في الأزل من الذر حين قال الله تعالى لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، وهو باق في الكل على السوية إلاَّ المرتدين.

٧ ـ وإيمان المنافق مع كفره كإيمان الأنبياء؛ لاستواء الجميع في ذلك الإيمان.

٨ ـ والكلمتان ليستا بإيمان إلاَّ بعد الرِّدَّة.

فهذه هي الفرق الضالّة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «... كلهم في النار». وأما:

الفرقة الناجية[1]

فأهل السنّة والجماعة

وهم الذين استثناهم النبي عليه الصلاة والسلام، وقال فيهم: «... هم الذين كانوا على ما أنا عليه وأصحابي».

ومذهبهم خالٍ عن بدع هؤلاء المذكورين، فإنهم قد أجمعوا على:

١ ـ حدوث العالم.

(١) انظر: كتاب إبكار الأفكار للآمدي.

٢ ـ ووجود الباريء تعالى.

٣ ـ وكونه متصفاً بالعلم والقدرة، وسائر صفات الكمال والجمال.

٤ ـ لا شبيه ولا نظير له.

٥ ـ ولا خالق سواه.

٦ ـ ولا يحل في شيء.

٧ ـ ولا يقوم بذاته حادث.

٨ ـ وليس في حيز ولا جهة.

٩ ـ ولا يصح عليه الحركة والانتقال، ولا الجهل ولا الكذب، ولا شيء من صفات النقص.

١٠ ـ وهو مرئي في الآخرة.

١١ ـ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

١٢ ـ غني لا يحتاج إلى شيء، ولا يجب عليه شيء، إن أثاب فبفضله، وإن عاقب فبعدله.

١٣ ـ لا غرض لفعله، ولا حاكم سواه.

١٤ ـ ولا يوصف فيما يفعل بظلم، ولا فيما يحكم بجور.

١٥ ـ وهو غير متبعِّض.

١٦ ـ ولا له حدٌّ ولا نهاية.

١٧ ـ وله في مخلوقاته الزيادة والنقصان، والمعاد الجسماني، والمجازاة والمحاسبة، والصراط، والميزان، وكون كل من الجنة والنار مخلوقاً، وخلود أهل الجنة فيها، والكفار في النار حقٌّ.

١٨ ـ والعفو عن المذنبين جائز.

١٩ ـ والشفاعة حق.

٢٠ ـ وبعثة الرسل بالمعجزات من آدم عليه الصلاة والسلام حق.

٢١ ـ وأهل بيعة الرضوان تحت الشجرة، وأهل بدر من أهل الجنة.

٢٢ ـ ونصب الإمام واجب على المكلَّفين.

٢٣ ـ والإمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، والأفضلية بهذا الترتيب، هذا هو الحق عند أهل السنة والجماعة.

٢٤ ـ ثم إن المخالف للحق من أهل القبلة هل يكفر أم لا؟.

ذهب جمهور المتكلمين والفقهاء على أن أحداً من أهل القبلة لا يكفر.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري(١) في أول كتاب مقالات الإسلاميين: واختلف المسلمون بعد نبيهم في أشياء، ضلّل بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم عن بعض، فصاروا فرقاً متباينين، إلاّ أن الإسلام يجمعهم ويعمهم. اهـ

قال السيد الشريف في شرح المواقف: هذا مذهبه، وعليه أكثر أصحابنا... ثم قال: إن عدم تكفير أهل القبلة وإن كان موافقاً لكلام الشيخ أبي الحسن الأشعري والفقهاء، لكنا إذا فتشنا عقائد فرق الإسلاميين، نجد فيها ما يوجب الكفر قطعاً، كالعقائد الراجعة إلى وجود إله غير الله تعالى، أو إلى حلوله في بعض أشخاص الناس، وإلى إنكار نبوّة محمد ﷺ، وإلى ذمه واستخفافه، أو إلى استباحة المحرمات، وإسقاط الواجبات الشرعية، فعلى هذا ينبغي أن يقال: لا يكفر أحدٌ من أهل القبلة إلا بما فيه نفي للصانع القادر العليم، أو شركه، أو إنكار للنبوّة، أو إنكار لما علم مجيئه ضرورة، أو إنكار المجمع عليه كاستحلال المحرمات.

وأما ما عداه فالقائل به مبتدع لا كافر، إلاّ أن يفعل ما يكون علامة الإنكار، كشدِّ الزنار، ولبس الغبار بالاختيار، فحينئذ يحكم عليه بكونه كافراً.

ثم اعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ على ما ذكرها الإمام الغزالي(٢): ... تولاها الخلفاء الراشدون، وكانوا أئمة وعلماء بالله تعالى وفقهاء أحكامه، ومشتغلين بالفتوى والأقضية، وكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلاّ نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجرّدوا لها، وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا، فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق، والاستقلال بعلم الفتاوى والأحكام، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء واستصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم، وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول، وملازم على صفو الدين، ومواظب على سمت علماء السلف، فكانوا إذا طُلبوا هَربوا وأعرضوا، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية الأقضية والحكومات لهم، حتى حكي أن أبا حنيفة دعي للقضاء ثلاث مرات فأبى، وحُبس وضُرب في كل مرة ثلاثين سوطاً، فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء، وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم، فاشرأبوا لطلب العلم؛ توصلاً لنيل

(١) انظر: معجم المؤلفين (٢/ ٤٠٥).

(٢) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (٣/ ٦٧١).

العز، ودرك الجاه من قِبل الولاة، فأكبوا على علم الفتاوى والحكومات، وعرضوا أنفسهم على الولاة، وتعرَّفوا إليهم، وطلبوا الصلات والولايات منهم، فمنهم من أنجح ومنهم من حُرِم، والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال، فصار الفقهاء بعد كونهم مطلوبين طالبين، وبعد كونهم أعزة بالإعراض عن السلاطين، أذلةً بالإقبال عليهم، إلاَّ مَن عصمه الله تعالى في كل عصر من علماء دينه.

وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية؛ لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات.

ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من سمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها، فعلم رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام، فأكب الناس على علم الكلام، وأكثروا فيه التصانيف، ورتبوا فيه طرق المجادلات، واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات.

ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من لم يستصوب الخوض في الكلام، وفتح باب المناظرة فيه؛ إذ قد تولَّد من فتح بابه كثير من التعصبات الفاحشة، والخصومات القبيحة المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد، ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه، وبيان الأولى من مذهب أبي حنيفة والشافعي على الخصوص، فترك الناس الكلام، وانثالوا على المسائل الخلافية بين أبي حنيفة والشافعي، وتساهلوا في الخلاف مع مالك وأحمد وسفيان وغيرهم، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات، ورتبوا فيها أنواع المجادلات، وهم مستمرون عليه إلى الآن، ولسنا ندري ما قدره الله تعالى في ما بعدنا من الأعصار.

هذا كلام الغزالي في زمانه حين وجود الرغبة من الصدور والأمراء إلى العلم والعلماء، لكن بعد مضي زمانه توجهت رغبة الصدور والأمراء إلى العلم والعلماء نحو الاندراس، وأقبل ميل الناس إلى العلم نحو الانطماس، حتى لم يبق في هذا الزمان من الصدور والأمراء رغبة إلى العلم والعلماء أصلاً، بل كان رغبتهم وميلهم إلى متاع الدنيا وزينتها، ولهذا ترك الناسُ العلمَ بالكلية، وصاروا كالبهائم لا يعرفون ما يلزمهم من عقائد الدين وأحكام الإسلام، ولا يميزون بين الحلال والحرام، واشتغلوا بتجميع المال وأخذ الجاه بالرشوة والوبال.

تمت بحمد الله

المختار النفيس

من الانتصار لأصحاب الحديث

لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني

المتوفى سنة ٤٨٩ هـ

ترجمة مختصرة للمؤلف

هو الإمام القاضي الفقيه الأصولي المفسر المحدِّث أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي الحنفي ثم الشافعي.

ولد في خراسان سنة ٤٢٦هـ، وتوفي سنة ٤٨٩هـ.

قد أخذ العلم عن مشايخ كثيرين، منهم:

١ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، صاحب التنبيه والمهذب، المتوفى سنة ٤٧٦هـ.

٢ ـ أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني، المتوفى سنة ٤٧١هـ، صاحب تخريج الفروع على الأصول.

٣ ـ والده الشيخ أبو منصور محمد بن عبد الجبار.

ومن تلامذته

١ ـ ابنه أبو بكر محمد بن منصور السمعاني، المتوفى سنة ٥١٠هـ.

٢ ـ أبو القاسم إسماعيل بن محمد التميمي الأصبهاني، قوام السنَّة، صاحب سير السلف، والمحجة، والتفسيرين، والترغيب والترهيب.

مصنفاته

١ ـ التفسير ـ طبع ثلاث طبعات.

٢ ـ الأمالي.

٣ ـ الاصطلاح في الفقه ـ مخطوط.

٤ ـ البرهان في الخلاف.

٥ ـ قواطع الأدلة، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

وانظر: الأنساب لحفيده (٧/ ٢٢٢، ٢٣٠)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٠٩، ٢١٢)، وطبقات الشافعية الكبرى (٥/ ٢٤١)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٨).

من علامات الفرقة الناجية:

اتفاقهم في أصول الدين ومسائل الاعتقاد

... والذي يزيد ما قلناه إيضاحاً: أن النبي ﷺ حين سئل عن الفرقة الناجية قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[1] بمعنى: من كان على ما أنا عليه وأصحابي. فلا بد من تعرُّف ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وليس طريق معرفته إلاَّ النقل؛ فيجب الرجوع إلى ذلك.

وقد قال النبي ﷺ: «لا تنازعوا الأمر أهله»[2]، فكما يرجع في معرفة مذاهب الفقهاء الذين صاروا قدوة في هذه الأمة إلى أهل الفقه، ويرجع في معرفة اللغة إلى أهل اللغة، ويرجع في معرفة النحو إلى أهل النحو؛ فكذلك يجب أن يرجع في معرفة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه إلى أهل النقل والرواية؛ لأنهم عنوا بهذا الشأن، واشتغلوا بحفظه والتفحص عنه ونقله، ولولاهم لاندرس علم النبي ﷺ ولم يقف أحد على سنّته وطريقته.

فإن قال قائل: إن أهل الفقه مجمعون على قول الفقهاء وطريق كل واحد منهم في الفروع، وأهل النحو مجمعون على طريق البصريين والكوفيين في النحو، وكذلك أهل الكلام مجمعون على طريق كل واحد منهم من متقدميهم وسلفهم. فأما ما يرجع إلى العقائد فلم يجتمع أهل الإسلام على ما كان رسول الله ﷺ عليه وأصحابه؛ بل كل فريق يدَّعي دينه، وينتسب إلى ملّته، ويقول: نحن الذين تمسكنا بملّة رسول الله ﷺ واتبعنا طريقته، ومن كان على غير ما نحن عليه فهو مبتدع صاحب هوى؛ فلم يجز اعتبار هذا الذي تنازعنا فيه بما قلتم.

الجواب: أن كل فريق من المبتدعة إنما يدَّعي أن الذي يعتقده هو ما كان عليه رسول الله ﷺ؛ لأنهم كلهم يدَّعون شريعة الإسلام، ملتزمون في شعائرها، يرون أن

---

(١) انظر: الترمذي (٢٦٤١)، أبو داود (٤٥٩٦/ ٤٥٩٧).

(٢) انظر: البخاري (٧٠٥٦/ ٧٢٠٠).

ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، غير أن الطرق تفرّقت بهم بعد ذلك، وأحدثوا في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فزعم كل فريق أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام، وأن الحق الذي قام به رسول الله ﷺ هو الذي يعتقده وينتحله.

غير أن الله تعالى أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلاَّ مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، وقرناً عن قرن، إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون عن أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ. ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلاَّ هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث.

وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه، لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم، فطلبوا الدين من قِبله، فإذا سمعوا شيئاً من الكتاب والسنّة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردُّوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرَّفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق، وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنّة تحت أقدامهم، تعالى الله عما يصفون.

وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قِبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه، وشكروا الله عز وجل حيث أراهم ذلك ووفقهم عليه، وإن وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنّة لا يهديان إلاَّ إلى الحق، ورأي الإنسان قد يُري الحق، وقد يُري الباطل.

وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني[١]، وهو واحد زمانه في المعرفة: ما حدثتني نفسي بشيء إلاَّ طلبتُ منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتى بهما وإلاَّ رددته في نحره. أو كلام هذا معناه[٢].

ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق:

أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار؛ وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، وفعلهم واحد، لا

---

(١) انظر: اللباب (٢/ ٤٠٣)، السير (١٠/ ١٨٢)، وفيات الأعيان (٣/ ١٣١).
(٢) انظر: السير (١٠/ ١٨٣).

ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلّ.

بل لو جمعتَ جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم؛ وجدتَه كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: الآية ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣].

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرقين، مختلفين، وشيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدع بعضهم بعضاً، بل يرتقون إلى التكفير: يكفر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره.

تراهم أبداً في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولما تتفق كلماتهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: الآية ١٤].

أو ما سمعت أن المعتزلة مع اجتماعهم في هذا اللقب يكفر البغداديون منهم البصريين، والبصريون منهم البغداديين، ويكفر أصحاب أبي علي الجبائي[١] ابنه أبا هاشم، وأصحاب أبي هاشم[٢] يكفرون أباه أبا علي[٣]، وكذلك سائر رؤوسهم وأرباب المقالات منهم؛ إذا تدبرت أقوالهم رأيتهم متفرقين يكفر بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض.

وكذلك الخوارج والروافض فيما بينهم وسائر المبتدعة بمثابتهم.

وهل على الباطل دليل أظهر من هذا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٩].

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء؛ فأورثهم الافتراق والاختلاف؛ فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف وإن اختلف في لفظ أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه. وأما دلائل العقل فقلّما تتفق، بل عقل كل واحد يُري صاحبه غير ما يُري الآخر، وهذا بيِّن والحمد لله.

---

(١) انظر: ترجمته في وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٧).
(٢) انظر: ترجمته في وفيات الأعيان (٣/ ١٨٣).
(٣) انظر: الفرق بين الفرق (٢٤/ ١١٤).

وبهذا يظهر مفارقة الاختلاف في مذاهب الفروع اختلاف العقائد في الأصول؛ فإنا وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عليهم من بعده اختلفوا في أحكام الدين فلم يفترقوا، ولم يصيروا شيعاً؛ لأنهم لم يفارقوا الدين، ونظروا فيما أُذن لهم، فاختلفت أقوالهم وآراؤهم في مسائل كثيرة، مثل مسألة الجد، والمُشرَّكة، وذوي الأرحام، ومسألة الحرام، وفي أمهات الأولاد، وغير ذلك مما يكثر تعداده من مسائل البيوع والنكاح والطلاق، وكذلك في مسائل كثيرة من باب الطهارة وهيئات الصلاة وسائر العبادات، فصاروا باختلافهم في هذه الأشياء محمودين.

وكان هذا النوع من الاختلاف رحمة من الله لهذه الأمة حيث أيدّهم باليقين، ثم وسّع على العلماء النظر فيما لم يجدوا حكمه في التنزيل والسنّة.

فكانوا مع هذا الاختلاف أهل مودة ونصح، وبقيت بينهم أخوة الإسلام ولم ينقطع عنهم نظام الألفة. فلما حدثت هذه الأهواء المردية الداعية صاحبها إلى النار ظهرت العداوة، وتباينوا، وصاروا أحزاباً، فانقطعت الأخوة في الدين وسقطت الألفة.

فهذا يدل على أن هذا التباين والفرقة إنما حدثت من المسائل المحدثة التي ابتدعها الشيطان فألقاها على أفواه أوليائه؛ ليختلفوا ويرمي بعضهم بعضاً بالكفر.

فكل مسألة حدثت في الإسلام، فخاض فيها الناس، فتفرقوا واختلفوا، فلم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاً ولا تفرقاً، وبقيت بينهم الألفة والنصيحة والمودة والرحمة والشفقة، علمنا أن ذلك من مسائل الإسلام، يحل النظر فيها، والأخذ بقول من تلك الأقوال، لا يوجب تبديعاً ولا تكفيراً، كما ظهر مثل هذا الاختلاف بين الصحابة والتابعين مع بقاء الألفة والمودة.

وكل مسألة حدثت، فاختلفوا فيها، فأورث اختلافهم في ذلك التولّي والإعراض والتدابر والتقاطع، وربما ارتقى إلى التكفير؛ علمت أن ذلك ليس من أمر الدين في شيء؛ بل يجب على كل ذي عقل أن يجتنبها، ويعرض عن الخوض فيها لأن الله شرط في تمسكنا بالإسلام أنّا نصبح في ذلك إخواناً، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣].

فإن قال قائل: إن الخوض في مسائل القدر، والصفات، وشرط الإيمان يورث التقاطع والتدابر والاختلاف، فيجب طرحها والإعراض عنها، على ما زعمتم.

الجواب: إنما قلنا هذا في المسائل المحدثة، فأما الإيمان في هذه المسائل فهو من شرط أصل الدين، ولا بد من قبوله على نحو ما ثبت فيه النقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه.

ولا يجوز لنا الإعراض عن نقلها وروايتها وبيانها لتفرُّق الناس في ذلك، كما في أصل الإسلام والدعاء إلى التوحيد وإظهار الشهادتين.

وقد ظهر بما قدمنا وذكرنا ـ بحمد الله ومنّه ـ أن الطريق المستقيم مع أهل الحديث، وأن الحق ما نقلوه ورووه.

ومن تدبر ما كتبناه وأعطى من قلبه النَّصَفَة[1]، وأعرض عن هواه، واستمع وأصغى بقلب حاضر، وكان مسترشداً مستهدياً، ولم يكن متعنتاً، وأمده الله بنور اليقين، عرف صحة جميع ما قلناه، ولم يخف عليه شيء من ذلك. والله الموفق ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٩].

وقد أجاب بعض أهل السنة عن قولهم: إن الخبر الواحد لا يوجب العلم، بجواب آخر سوى ما قلناه، وقد بيَّناه في كتاب القدر، وإن كان الجواب الصحيح ما ذكرناه، وهو طريق أهل الحق، ولا معدل بنا عن طريقهم، بل لا نختار عليه شيئاً غيره، ولا نطلب طريقاً سواه.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا عليه، وأن يمدنا بتوفيق بعد توفيق، من قِبَله، وأن يجعل ما قصدناه من بيان الحق لوجهه، وسعينا لطلب ما عنده، إنه عليم قدير، وولي كريم.

من علامات الفرقة الناجية:

اشتغالهم بالحديث نقلاً وعملاً

فإن قال قائل: إنكم سمّيتم أنفسكم أهل السنة، وما نراكم في ذلك إلاَّ مدَّعين؛ لأنّا وجدنا كل فرقة من الفرق تنتحل اتباع السنة وتنسب من خالفها إلى الهوى، وليس على أصحابكم منها سمة وعلامة أنهم أهلها دون من خالفها من سائر الفرق، فكلها في انتحال هذا اللقب شركاء متكافئون، ولستم أولى بهذا اللقب إلاَّ أن تأتوا بدلالة ظاهرة من الكتاب والسنة أو من إجماع أو معقول.

الجواب: قولكم: إنه لا يجوز لأحد دعوى إلاَّ ببيِّنة عادلة أو دلالة ظاهرة من الكتاب والسنة، هما لنا قائمتان بحمد الله ومنّه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: الآية ٧] فأمرنا باتباعه وطاعته فيما سنَّ وأمر ونهى وحكم وعلَّم.

(١) انظر: المصباح المنير (٦٠٨).

وقال النبي ﷺ: «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[١]، وقال: «من رغِبَ عن سنتي فليس مني»[٢].

ثم لعن تارك سنّته على ما روي أنه قال: «ستة لعنتهم وكلُّ نبي مجاب الدعوة»[٣]، وذكر في آخره: «والتارك لسنّتي».

فوجدنا سنّته وعرفناها بهذه الآثار المشهور التي رويت بالأسانيد الصحاح المتصلة التي نقلها حفاظ العلماء بعضهم عن بعض.

ثم نظرنا فرأينا فرقة أصحاب الحديث لها أطلب، وفيها أرغب، ولها أجمع، ولصحاحها أتبع؛ فعلمنا يقيناً أنهم أهلها دون من سواهم من جميع الفرق؛ فإن صاحب كل حرفة أو صناعة ما لم يكن معه دلالة عليه من صناعته وآلة من آلاته ثم ادعى تلك الصناعة؛ كان في دعواه عند العامة مبطلاً، وفي المعقول عندهم متجهلاً، فإذا كانت معه آلات الصناعة والحرفة شهدت له تلك الآلات بصناعته، بل شهد له كل من عاينه قبل الاختبار.

كما أنك إذا رأيت رجلاً قد فتح باب دكانه على بزٍّ علمت أنه بزّاز وإن لم تختبره، وإذا فتح على تمر علمت أنه تمّار، وإذا فتح على عطر علمت أنه عطّار، وإذا رأيت بين يديه الكير والسّندان[٤] والمطرقة علمت أنه حدّاد، وإذا رأيت بين يديه الإبرة والجَلَم علمت أنه خيّاط.

وكذلك صاحب كل صناعة إنما يستدل على صناعته بآلته فيحكم بالمعاينة من غير اختبار.

ولو رأيت بين يدي نجار قدوماً ومنشاراً ومثقباً وهو مستعد للعمل بها ثم سميته خياطاً؛ جهلت.

وإذا رأيت بنّاء معه آلة البنّائين ثم سميته حداداً جهلت.

وكذلك من معه الكير والسندان ومنفخ إذا سميته بزّازاً أو عطاراً؛ جهلت.

ولو قال صاحب التمر لصاحب العطر: أنا عطار، قال له: كذبت بل أنا هو. وشهد له بذلك كل من أبصره من العامة.

---

(١) انظر: الترمذي (٢٦٧٦)، أبو داود (٤٦٠٧).
(٢) انظر: مسلم (٩/ ١٧٥).
(٣) انظر: الترمذي (٢١٥٤)، السنة (٤٤/ ٣٣٧).
(٤) انظر: المصباح المنير (٢٥٠/ ٢٩١).

ثم كل صاحب صناعة وحرفة يفتخر بصناعته، ويستطيل بها، ويجالس أهلها، ولا يذمها.

ورأينا أصحاب الحديث رحمهم الله قديماً وحديثاً هم الذين رحلوا في طلب هذه الآثار التي تدل على سنن رسول الله ﷺ فأخذوها من معادنها، وجمعوها من مظانّها، وحفظوها واغتبطوا بها، ودعوا إلى اتباعها، وعابوا من خالفها، وكثرت عندهم وفي أيديهم حتى اشتهروا بها، كما اشتهر البزّاز ببزّه، والتمّار بتمره، والعطار بعطره.

ثم رأينا أقواماً انسلخوا من حفظها ومعرفتها وتنكبوا اتباع أصحها وأشهرها، وطعنوا فيها وفيمن أخذ بها، وزهّدوا الناس في جمعها ونشرها، وضربوا لها ولأهلها أسوأ الأمثال؛ فعلمنا بهذه الدلائل الظاهرة والشواهد القائمة أن هؤلاء الراغبين فيها وفي جمعها وحفظها واتباعها أولى بها وأحق من سائر الفرق الذين تنكبوا أكثرها.

وهي التي تحكم على أهل الأهواء بالأهواء؛ لأن الاتباع عند العلماء هو الأخذ بسنن رسول الله ﷺ التي صحت عنه ـ عند أهلها ونَقَلتها وحفاظها ـ والخضوع لها والتسليم لأمر النبي ﷺ فيها، تقليداً لمن أمر الله بتقليده والائتمار بأمره والانتهاء عما نهى الله عنه.

ووجدنا أهل الأهواء الذين استبدوا بالآراء والمعقولات بمعزل عن الأحاديث والآثار التي هي طريق معرفة سنة رسول الله ﷺ.

فهذا الذي قلناه سمة ظاهرة وعلامة بيّنة تشهد لأهل السنة باستحقاقها، وعلى أهل الأهواء ـ في تركها والعدول عنها ـ بأنهم ليسوا من أهلها.

ولا نحتاج في هذا إلى شاهد أبين من هذا، ولا إلى دليل أضوأ من هذا.

فإن قالوا: إن لكل فريق من الأهواء وأصحاب الآراء حججاً من آثار رسول الله ﷺ يحتجون بها.

قلنا: أجل، ولكن يحتج بقول التابعي على قول النبي ﷺ أو بحديث مرسل ضعيف على حديث متصل قوي.

ومن هنا امتاز أهل اتباع السنة عن غيرهم لأن صاحب السنة لا يألو أن يتبع من السنن أقواها، ومن الشهود عليها أعدلها وأتقاها.

وصاحب الهوى كالغريق: يتعلق بكل عود ضعيف أو قوي. فإذا رأيت الحاكم لا يقبل من الشهود إلاّ أعدلها وأتقاها، كان ذلك منه شاهداً على عدالته، وإذا غمّض وقنع بأرداها، كان ذلك دليلاً على جوره. وكان المتبع لا يتبع من الآثار إلا ما هو عند العلماء أقوى، وصاحب الهوى لا يتبع إلا ما يهوى وإن كان عند العلماء أوهاها.

وكل ذي حرفة وصناعة مرسوم بصناعته، معروف بآلته، متى أعوزته الآلة زالت عنه آية الصناعة، وكذلك سمات أهل السنن والأهواء.

وفي دون ما فسرناه ما يشفي، والأقل من هذا يكفي من كان موفقاً، ولَحِقَه عونٌ من الله تعالى.

قالوا: قد كثرت الآثار في أيدي الناس واختلطت عليهم.

قلنا: ما اختلطت إلاَّ على الجاهلين بها فأما العلماء بها فإنهم ينتقدونها انتقاد الجهابذة الدراهم والدنانير، فيميزون زيوفها ويأخذون جيادها.

ولئن دخل في غمار الرواة من وُسم بالغلط في الأحاديث؛ فلا يروج ذلك على جهابذة أصحاب الحديث ورُتوت العلماء حتى أنهم عدوا أغاليط من غلط في الأسانيد والمتون، بل تراهم يعدون على كل رجل منهم في كم حديث غلط، وفي كم حرف حرَّف، وماذا صحَّف؟.

فإذا لم تَرُجْ عليهم أغاليط الرواة في الأسانيد والمتون والحروف فكيف يروج عليهم وضع الزنادقة وتوليدهم الأحاديث!.

يقول بعض الناس: إن بعض الزنادقة ادعى أنه وضع ألوفاً من الأحاديث وخلطها بالأحاديث التي يرويها الناس حتى خفيت على أهلها.

وما يقول هذا إلا جاهل ضال مبتدع كذاب، يريد أن يُهَجِّن بهذه الدعوى الكاذبة صحاح أحاديث النبي ﷺ وآثاره الصادقة؛ فيُغَلِّطَ جهّال الناس بهذه الدعوى.

وما احتج مبتدع في ردِّ آثار رسول الله ﷺ بحجة أوهى منها، ولا أشد استحالة من هذه الحجة، فصاحب هذه الدعوى يستحق أن يُسَف في فيه الرماد ويُنفى من بلاد الإسلام.

فتدبر، رحمك الله، أيُجعل حكمُ من أفنى عمره في طلب آثار رسول الله ﷺ شرقاً وغرباً، براً وبحراً، وارتحل في الحديث الواحد فراسخ، واتَّهم أباه وأدناه في خبر يرويه عن النبي ﷺ إذا كان موضع التهمة، ولم يحابه في مقال ولا خطاب غضباً لله وحَمِيَّة لدينه.

ثم ألَّف الصحف والأجلاد في معرفة المحدثين وأسمائهم وأنسابهم، وقدَّر أعمارهم وذَكَرَ أعصارهم وشمائلهم وأخبارهم، وفَصَلَ بين الرديء والجيِّد، والصحيح والسقيم حنقاً لله ورسوله وغيرةً على الإسلام والسنة.

ثم استعمل آثاره كلها حتى فيما عدا العبادات من أكله وطعامه وشرابه ونومه

ويقظته وقيامه وقعوده ودخوله وخروجه وجميع سيرته وسننه حتى في خطراته ولحظاته.

ثم دعا الناس إلى ذلك، وحثَّهم عليه، وندبهم إلى استعماله، وحبَّب إليهم ذلك بكل ما يمكنه حتى في بذل ماله ونفسه.

كمن أفنى عمره في اتباع أهوائه وآرائه وخواطره وهواجسه، ثم تراه يردُّ ما هو أوضح من الصبح من سنن رسول الله ﷺ وأشهر من الشمس برأي دخيل، واستحسان ذميم، وظن فاسد، ونظر مشوب بالهوى!.

فانظر، وفقك الله للحق، أي الفريقين أحق بأن يُنسب إلى اتباع السنة واستعمال الأثر: الفرقة الأولى أم الثانية؟.

فإذا قضيت بين هذين بوافر لُبِّك وصحيح نظرك وثاقب فهمك، فليكن شكرك لله على حسب ما أراك من الحق، ووفقك للصواب، وألهمك من السّداد، واختصك به من إصابة الحسن في القول والعمل.

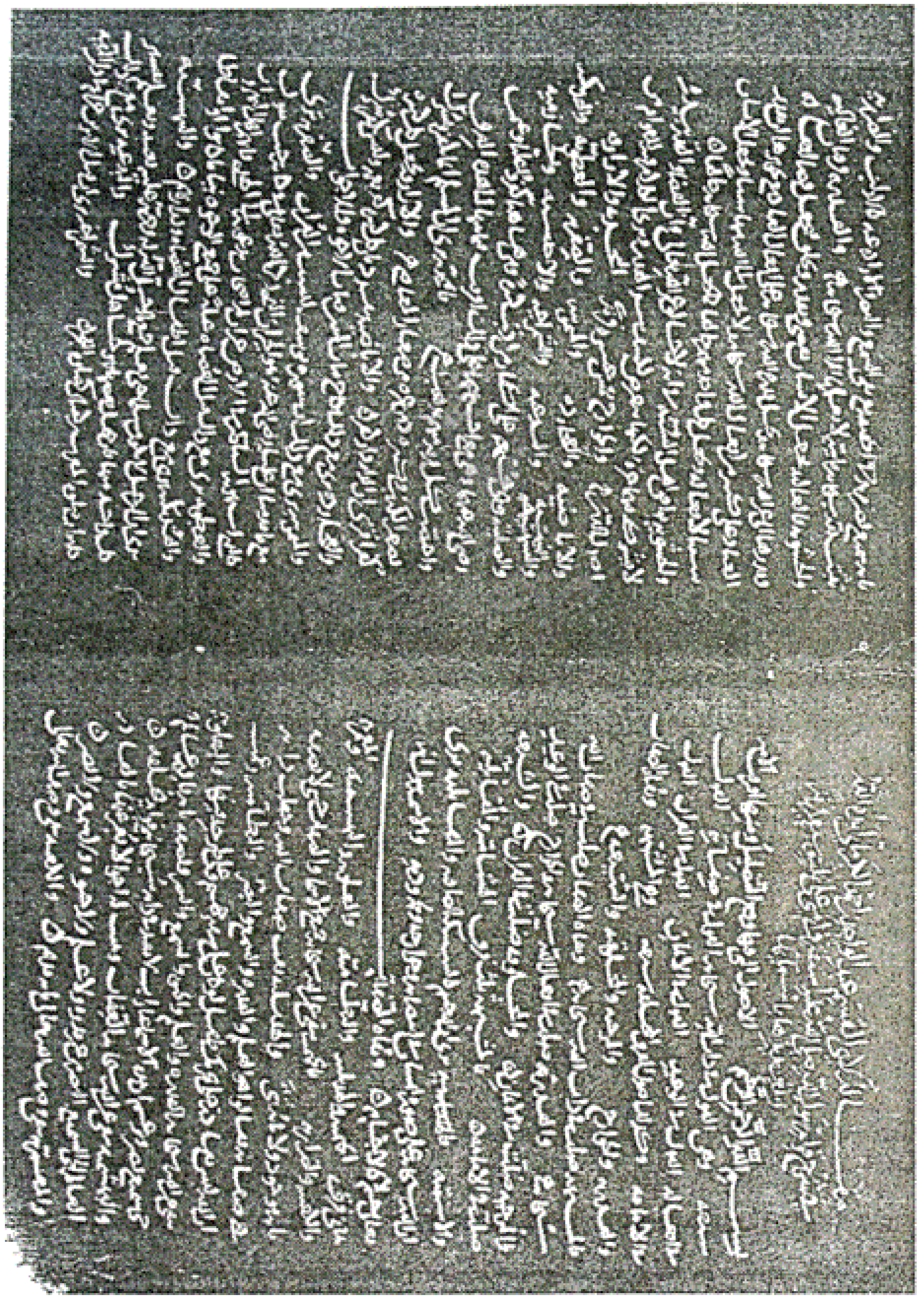
فإذا كنت كذلك فقد ازددت يقيناً على يقين، وثلجاً على ثلج، وإصابة على إصابة، ومن الله التأييد والتسديد والإلهام والإعلام، وهو حسْب أهل السنّة، وعليه توكلهم، ومنه معونتهم وتوفيقهم ونصرتهم بمنّه وفضله وعميم كرمه وطَوْله.

شرح قوله ﷺ:

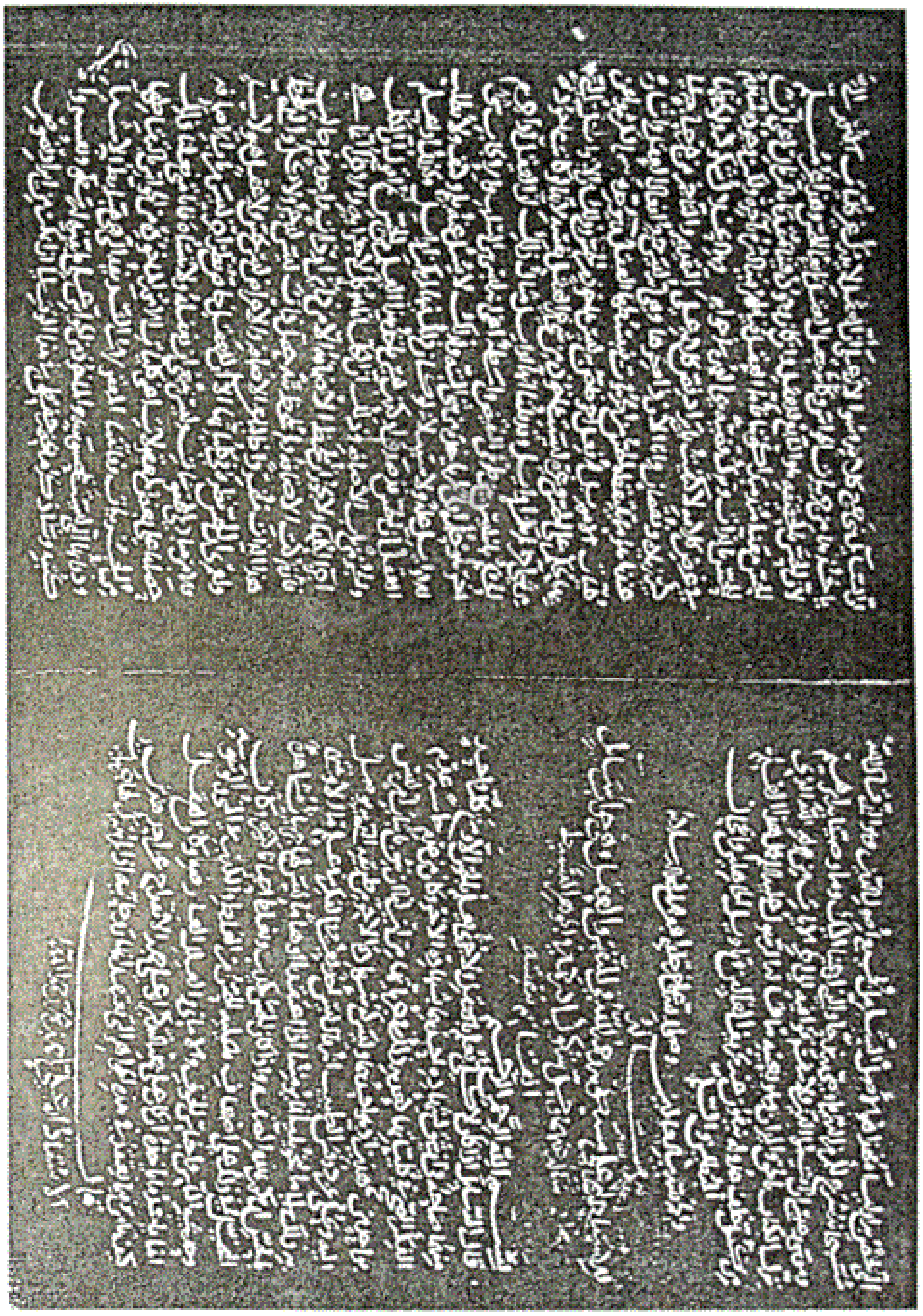
«ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»

وتعديدها بأسمائها

لأبي القاسم عبد الواحد بن أحمد الكرماني
من علماء القرن الخامس



صورة الورقة الأولى



صورة الورقة الأخيرة

مقالة لأبي القاسم عبد الواحد بن أحمد الكرماني أيده الله

في شرح قول رسول الله ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»

وتعديدها بأسمائها

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصول التي فيها وقع التضليل، ومنها افترقت الأمة سبعة، وهي:

١ ـ القول في ذات الله سبحانه.

٢ ـ القول في صفاته تعالى.

٣ ـ القول في أفعاله تعالى.

٤ ـ القول في الوعيد.

٥ ـ القول في الإيمان.

٦ ـ القول في القرآن.

٧ ـ القول في الإمامة.

وكذلك أصول الفرق المختلفة سبعة، وهي:

١ ـ المشبهة.

٢ ـ نفاة الصفات.

٣ ـ والقدرية.

٤ ـ الخوارج.

٥ ـ المرجئة.

٦ ـ المخلوقية.

٧ ـ الشيعة.

١ ـ **فالمشبهة**: ضلّت في ذات الله سبحانه.

٢ ـ **ونفاة الصفات**: ضلّت في صفات الله سبحانه.

٣ ـ **والقدرية**: ضلّت في أفعال الله سبحانه.

٤ ـ **والخوارج**: ضلّت في الوعيد.

٥ ـ **والمرجئة**: ضلّت في الإيمان.

٦ ـ **والمخلوقية**: ضلّت في القرآن.

٧ ـ **والشيعة**: ضلّت في الإمامة.

فالمشبهة ثلاث فرق:

١ ـ الهشامية.

٢ ـ والمقاتلية.

٣ ـ الاسمية.

فالهشامية: ترى أن الله جسم كالسبيكة الصافية.

والمقاتلية: ترى أن الله سبحانه على صورة إنسان في جوارحه ولحمه ودمه.

والاسمية: تقول: إنه تعالى جسم كأي الأجسام.

ونفاة الصفات ثماني فرق:

١ ـ الجهمية.

٢ ـ والهذيلية.

٣ ـ والنظامية.

٤ ـ والعلوية.

٥ ـ والبهشمية.

٦ ـ والمعمرية.

٧ ـ والكعبية.

٨ ـ والضرارية.

١ ـ **فالجهمية**: تنفي عن الله سبحانه جميع الأسماء والصفات حتى لا تصفه بأنه موجود ولا بأنه شيء.

٢ ـ **والهذيلية**: نفت صفات الله، وجعلت ذاته هي صفاته، فقالوا: هو العلم

والقدرة والسمع والبصر.

٣ ـ **والنظامية**: زعمت أن الله ليس بقادر على تحريك طفل لو كان على سفر جهنم وعلى طرحه فيها.

٤ ـ **والبعلوية**: تنفي عن الله سبحانه القدرة والعلم والحياة والسمع والبصر، وتصفه بأنه قادر عالم حي سميع بصير، وتزعم أن هذه الأسماء عبارات لا تعد في ذاته سبحانه فوائد مختلفة.

٥ ـ **والبهشمية**: تنفي عن الله سبحانه الصفات وتثبت له أحوالاً يُعبر عنها بالقادر العالم الحي السميع البصير من غير قدرة ولا علم ولا حياة ولا سمع ولا بصر.

٦ ـ **والمعمرية**: تنفي وصف الله تعالى بأنه قديم.

٧ ـ **والكعبية**: تنفي وصف الله تعالى [١/أ] بأنه سميع بصير مريد في الحقيقة مع نفي السمع والبصر والإرادة عنه [. . .].

٨ ـ **والضرارية**: تثبت لله سبحانه ماهية لا يعلمها إلا الله سبحانه[1].

والقدرة فرقتان: الغالية والحشوية.

فالغالية: تجعل الإنسان يقضي ويقدر ويخلق فيجعل. وقدرها إلى غير الله سبحانه، وتجعل قدرة الله سبحانه على أفعال العباد مع تجويزها أن يقدر العباد على كثير من أفعال الله سبحانه، ولا تجعل إلى الله منها سبباً، وتجعل الإنسان سبباً لأفعاله، وتجعل كل واحد منهم خالقاً، كما تجعل الله سبحانه خالقاً.

والحشوية: توافق أهل السنة في أنه لا خالق غير الله تعالى، وأن القضاء والقدر بيده لا يشركه فيهما غيره، لكنها تتعرض لكشف سر القدر، وترى الكلام فيه للعوام من أصول الدين.

والخوارج خمسة عشرة فرقة:

---

(١) **الضرارية**: أصحاب ضرار بن عمرو، فارق المعتزلة بقوله: إن أعمال العباد مخلوقة، وإن فعلاً واحداً لفاعلين أحدهما خلقه وهو الله، والآخر اكتسبه وهو العبد، وأن الله عز وجل فاعل لأفعال العباد في الحقيقة وهم فاعلون لها في الحقيقة، وكان يزعم أن الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل، وأنها بعض المستطيع وأن الإنسان أعراض مجتمعة وكذلك الجسم أعراض مجتمعة من لون وطعم ورائحة وحرارة وبرودة وغير ذلك. . . وانظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٨١)، والملل والنحل (١/ ٩٠)، والفرق بين الفرق (١/ ٢٠١)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (٦٩)، والتبصير في الدين ص(١٧، ٢٥، ١٠٥).

١ ـ النجدية.

٢ ـ والأزارقة.

٣ ـ والأباضية.

٤ ـ والعجاردة.

٥ ـ والميمونية.

٦ ـ والصفرية.

٧ ـ والعطوية.

٨ ـ القديكية.

٩ ـ البيهسية.

١٠ـ الشيبانية.

١١ـ والبدعية.

١٢ـ والشمراخية.

١٣ـ والأخنسية.

١٤ـ والحازمية.

١٥ـ والصلتية.

وهي مجتمعة على إكفار من أذنب كبيرة، وهي ها هنا كفّروا علياً وعثمان رضي الله عنهما.

وهي مع اجتماعها على ذلك افترقت فيما بينها وبين هذه الفرق، واختصت كل فرقة منهم على مذهب.

١ ـ فالنجدية: ترى أن المسلم إنما يكفر ويشرك لصغيرة كالكذب، وكبيرة، دون غيره من صغار المعاصي.

٢ ـ والأزارقة: تجعل كل كبيرة كفراً، فترى أن الدار دار كفر.

٣ ـ والأباضية: تنفرد بأن كل كبيرة كفر نعمة، وليس بكفر شرك.

٤ ـ والعجاردة: ترى مع ذلك نكاح بنات البنين وبنات الأخوة والأخوات.

٥ ـ والميمونية: ترى مع ذلك أن سورة يوسف ليست من القرآن.

٦ ـ والصفرية: ترى مع ما قدمنا أن علياً رضي الله عنه هو الحيران الذي ذكره الله تعالى في كتابه حيث يقول: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ

﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ [الأنعام: الآية ٧١] وإنهم أهل النهروان.

٧ ـ والعطوية: ترى مع ذلك مَثِل العصاة علة على جميع الوجوه نياماً كانوا أو أيقاظاً(١).

٨ ـ والقديكية: ترى مع ذلك مثل أطفال العصاة وذراريهم(٢).

٩ ـ والبيهسية: ترى أن الرجل لا يكون مسلماً حتى يعلم جميع ما أحلَّ الله وحرّمه عليه، ويعلم تفسير كل واحد منهما فإن جهل بعضهما فهو جاهل مُشرك.

١٠ ـ والبدعية: ترى مع ذلك كله أن صلاة المغرب ركعتين كصلاة الفجر.

١١ ـ والشمراخية: ترى أن قتل الأبوين حرام في دار التقية [ودار الهجرة](٣) [٦٦/ب] فتبرأت منها الخوارج لذلك، وترى أن الكبيرة لا تكون كفراً حتى يقيم السلطان على مرتكبها الحدّ، فحينئذٍ تصير كفراً.

١٢ ـ والأخنسية: تكفر الحكمين أبا موسى وعمرو مع كثير مما تقدم من المذاهب.

١٣ ـ والخازمية: ترى أن من لم يعرف الله بجميع أسمائه وصفاته فهو كافر مشرك فيستباح المال والدم والذرية(٤).

١٤ ـ والصلتية: ترى أن أطفال المسلمين ليسوا مسلمين حتى يبلغوا، فيدعوا إلى الإسلام فيقبلوه ويقيموا فروضه.

[١٥ـ الشيبانية: قالوا بالجبر ونفي القدرة الحادثة](٥).

والمرجئة عشرة:

١ ـ الصالحية.

٢ ـ والشمرية.

٣ ـ واليونسية.

---

(١) هم أتباع عطية بن الأسود، وانظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٩٣)، والملل والنحل (١/ ١٢٤)، والتبصير في الدين ص (٥٢).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠١).

(٣) ما بين [ ] زيادة من مقالات الإسلاميين للإمام أبي الحسن الأشعري (١/ ١٢٠، ١٢٦).

(٤) انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٧٦)، والملل والنحل (١/ ١٣٣)، واعتقادات المسلمين والمشركين ص (٥١)، والتبصير في الدين ص (٧٩).

(٥) ما بين [ ] ليس في الأصل، وأثبتناها لاستدراك شيء سقط من الترجمة ذاتها.

٤ ـ والثوبانية.

٥ ـ والغيلانية.

٦ ـ والشبيبية.

٧ ـ والحنيفية.

٨ ـ والمعافية.

٩ ـ والمريسية.

١٠ ـ والكرامية.

وكلهم متفقون على أن العمل ليس من شرط الإيمان، وأن مرتكب الكبيرة مؤمن غير فاسق، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

١ ـ فالصالحية: ترى أن الإيمان هو المعرفة، والكفر هو الجهل، وأن قول من قال: إن الله تعالى ثالث ثلاثة ليس بكفر.

٢ ـ الشمرية: ترى أن الإيمان هو المعرفة، والمحبة لله، والإقرار باللسان فقط.

٣ ـ واليونسية: ترى أن الإيمان هو المعرفة، والمحبة لله فقط وولائه.

٤ ـ الثوبانية: ترى أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله ورسله، وفعل الواجبات العقلية.

٥ ـ الغيلانية: ترى ذلك، وأن مرتكب الكبيرة يُسمى فاسقاً في كذا بالتقييد، وإن لم يسم فاسقاً بالإطلاق.

٦ ـ الشبيبية: ترى أن إبليس كان مؤمناً لمعرفته بالله وإقراره به[1].

٧ ـ والحنيفية: ترى أن من أقر بالرسول عليه السلام إلا أنه لا يدري هل كان ركناً [أو فرضاً] أو غيره، مؤمن.

٨ ـ والمعافية: ترى أن ترك الطاعة فسق، ولا يكون صاحبه فاسقاً.

٩ ـ والمريسية: ترى أن السجود للشمس ليس بكفر، لكنه إمارة على الكفر، فإن الكفر عندها هو الإنكار لله تعالى بالقلب أو باللسان فقط أو بهما.

١٠ ـ والكرامية: ترى أن الإيمان هو الإقرار باللسان دون القلب، وأن

---

(١) انظر: التبصير في الدين ص (٦٠)، والملل والنحل (١/ ١٢٨)، والفرق بين الفرق (١/ ٨٩)، ومقالات الإسلاميين (١/ ١٢٣).

المنافقين كانوا مؤمنين بالله.

١١ ـ **والمخلوقية**: ثلاث فرق: النجارية، والبصرية، والكلامية.

١ ـ **فالنجارية**: ترى أن القرآن مخلوق محدث، وأن الله سبحانه لم يكن في الأول متكلماً حتى خلق لنفسه كلاماً فصار به متكلماً.

٢ ـ **والبصرية**: ترى أن القرآن محدث غير مخلوق.

٣ ـ **والكلامية**: ترى أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولا محدث ولكن حروفه مخلوقة ومحدثة وأن كلامه لا يُفارق ذاته ولا يصر إلى خلقه وليس بحروفٍ.

١٢ ـ **والشيعة**/ [٦٧/أ] تفترق أولاً إلى ثلاث فرق كبار، وهي: الغالية، والإمامية، والزيدية.

فالغالية: تفترق إلى إحدى عشر فرقة:

البيانية، والطيارية، والمغيرية، والمنصورية، والخطابية، والمعمرية، والبزيعية، والمفضلية، والشريفية، والسبابية، والمفوضية.

وجميع فروقها مجمعة على إبطال معاد الأشباح في يوم المعاد، وأن علياً رضي الله عنه الأول.

١ ـ **فالبيانية**: ترى أن الله سبحانه يحل في أشباح الناس كلهم دون غيرهم من الحيوان والجواهر.

٢ ـ **والطيارية**: ترى أن الله سبحانه يحل في الأنبياء والأوصياء فقط.

٣ ـ **والمغيرية**: تزعم أن الله سبحانه في شيء من حيوان وجماد وموات.

٤ ـ **والمنصورية**: ترى أن الله سبحانه إنما ظهر في المسيح وفي علي فقط.

٥ ـ **والخطابية**: ترى أن الأئمة أنبياء، وأن في كل وقت يبعث نبيان: صامت وناطق، وكان محمد ﷺ ناطقاً، وعلي صامتاً.

٦ ـ **والمعمرية**: ترى مع ذلك ترك الصلاة.

٧ ـ **والبزيعية**: ترى أن الله سبحانه وتعالى إنما ظهر في المسيح، وفي علي، وفي جعفر فقط، وإن جعفراً لم يُر، وإنما رُئي الشبحة الذي ظهر فيه ونطق عنه، وأن جميع الشيعة يأتيهم الوحي من الله عز وجل.

٨ ـ **والمفضلية**: ترى أن الأئمة كلهم آلهة، وقولهم في كل واحدٍ منهم كقول النصارى في المسيح، وأمه.

٩ ـ **والشريفية**: ترى أن الله تعالى أشرف في خمسة أشخاص فقط: محمد،

وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين.

١٠ ـ **والسبابية**: ترى أن علياً لم يمت وأنه يرجع قبل يوم القيامة.

١١ ـ **والمفوضية**: ترى أن الله سبحانه وتعالى أفوض تدبير الخلق إلى الأمر، وأنه قد فوّضه إلى النبي ﷺ وعلياً على خلق العالم، وأن الله تعالى لم يخلق من ذلك شيئاً[1].

والإمامية أربعة عشرة فرقة:

وجميعها متفقة على أن الإمامة نص، وأن الأئمة معصومون، وإنهم يعلمون كل شيء حتى عدد الحصى والقطر وورق الشجر، وأن لهم كلهم المعجزات، وأن إمامة المفضول لا تجوز، وأن الصحابة ارتدت الأسنة فقط.

والفرق هم: القطعية، والكيسانية، والكرمية، والمغيرية، والمحمدية، والحُسينية، والناموسية، والإسماعيلية، والقرامطة، والمباركية، والشُميطية، والعمادية، والممطورية، والموسوية.

١ ـ **فالقطعية**: هم الاثنى عشرية الذين قطعوا على موت موسى بن جعفر، وأن الإمامة انتهت إلى/ [٦٧/ب] العالم المنتظر، وهو محمد بن الحسن العلوي.

٢ ـ **والكيسانية**: ترى أن الإمامة صارت بعد إلى محمد بن الحنفية.

٣ ـ **والكرمية**: ترى أن محمد بن الحنفية حي بجبال رُضوى.

٤ ـ **والمغيرية**: ووقفت على أبي جعفر وزعمت أنه أوصى إلى المغيرة بن سعد، وأنه إمامهم إلى خروج المهدي.

٥ ـ **والمحمدية**: ترى أن العالم محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وأنه أوصى إلى بني منصور دون بني هاشم، كما أوصى موسى إلى يوشع دون ولده وولد هارون.

٦ ـ **والحسينية**: ترى أن أبا منصور أوصى إلى الحسن بن أبي منصور، وأنه الإمام بعده.

٧ ـ **الناوسية**: ترى أن أبا جعفر لم يمت، وأنه القاسم.

٨ ـ **والإسماعيلية**: ترى أن الإمامة بعد جعفر في إسماعيل، ورأوا أنه فُقد ولم

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (١/ ٢٣٨، ٣٢٢)، والمواقف للإيجي (٣/ ٦٨٤)، والتبصير في الدين ص (١٢٨).

يمت وهو المنتظر.

٩ ـ **والقرامطة**: ترى أن جعفراً نصَّ على أن الله محمد بن إسماعيل، وأنه لم يمت وهو حي وهو إلاههم.

١٠ ـ **والمباركية**: ترى أن محمد بن إسماعيل مات، وأن الإمامة في ولده.

١١ ـ **والشمطية**: ترى أن الإمامة صارت بعد جعفر إلى أبيه عبد الله.

١٢ ـ **الموسوية**: تقول: لا ندري مات أو لم يمت، وتوقفوا في الإمامة بعده[(١)].

والزيدية ست فرق: الجارودية، والسليمانية، والبشرية، والنعيمية، واليعقوبية، والبرائية.

وجميعهم متفقة على أن الإمامة صارت من علي بن الحسين رضي الله عنه إلى ابنه زيد دون محمد ثم بعده إلى كل خارج ناصر للحق من ولد الحسن أو الحسين، وأجمعت على إنكار الرجعة، وعلى ترك التبري من الشيخين إلا إلى البرائية.

١ ـ **فالجارودية**: ترى أن النبي ﷺ نصَّ على علي رضي الله عنه بصفته لا باسمه، وأنه كان هو الإمام بعده.

٢ ـ **والسليمانية**: تسوق الإمامة إلى علي ثم تثبت بعده إلى الحسن ثم تجعلها شورى بينهم، فمن خرج منهم[(٢)].

٣ ـ **البشرية**: ترى أن علياً إنما صار إماماً حين خرج، ويرفع، فأما قبله فلم يكن إماماً.

٤ ـ **والنعيمية**: ترى أن بيعة أبي بكر وعمر لم تكن خطأ لأن علياً تركها لهما.

٥ ـ **واليعقوبية**: ترى مثل ذلك إلا أنها تتبرأ من عمر وتكفّره.

٦ ـ **والبرائية**: تتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما/[٦٨/أ].

فذلك اثنين وسبعون فرقة، وهي إلى حكم النبي ﷺ فإنها هالكة.

فأما الفرقة الناجية فهي أهل السُّنَّة والجماعة، وأصحاب الحديث، وهم السواد الأعظم الذين ورد فيهم عن رسول الله ﷺ بالسواد الأعظم، وذاك أنها متمسكة بدين

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (١/٤٦، ٥٢)، والملل والنحل (١/١٥٧، ١٦٨، ١٩١)، والتبصير في الدين (١/٣٨، ٤٠).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (١/٢٤)، ومقالات الإسلاميين (١/٦٨)، والملل والنحل (١/١٦١)، والمواقف (٣/٦٩٠)، والتبصير في الدين ص (٢٩).

الله تعالى وبشريعة الرسول ﷺ وذلك لأن الإسلام الذي نزل به كتاب الله تعالى وأكدته وبيّنته سنّة رسول الله ﷺ وسائر الفرق، وإن ادّعت أنها متمسكة بكتاب الله وسنّة رسوله، فإنها ابتدعت فيها، وأحدثت من جهة التأويل واتبعت المتشابه على ما قاله سبحانه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: الآية ٧]. فأما أهل السنّة والجماعة فإنها لم تتعد الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، ولم تتبع المتشابه وتأويله، وذلك أن من أجلهم على ما ذُكر: أحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وإسحاق بن راهويه، وإبراهيم بن حرب، ومحمد بن إسحاق، وابن خزيمة، والحارث المحاسبي، وغيرهم.

وثبتوا من دين الإسلام الذي من التدين به هو ما أجمعت عليه السلف الصالح، ثم التابعون لهم بإحسان، ثم ما أجمع المسلمون عليه بعدهم قولاً وفعلاً.

فأما ما اختلفت فيه الأمة مما لا أصل له في الكتاب والسنة فهو خارج من الدين لأنه ليس هو مما جاء به الكتاب والسنة ولا ما أجمعت عليه الأمة، فهو بدعة ومحدثة، وداخل في قول النبي ﷺ: «ألا كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

فأما ما اختلفوا فيه مما له أصل في الكتاب والسنة أو لفظ فإنه ينبغي أن يقع الإيمان بأصله أو لفظه، ومسلّمٌ تأويله إلى الله سبحانه ويقتدى به في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٧].

ويجوز أن يعطي الله سبحانه تأويله بعض أوليائه، الذين هم أوتاد الأرض والعارفون بالله، والأبدال والحكماء بأفعاله الذين لا تخلو الأرض إلى يوم القيامة من بعضهم ولا يخرجون من عناية الله وحراسته، وتفقدهم بالتعريف والإلهام، والهواتف، والرؤيا وغيرها من وجوه التعريفات/[٦٨/ب] التي يخص به أولياءه.

فهذا هو الأصل الشامل لجميع أصول الدين وهو الذي قال الله سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: الآية ١٣]، إلى آخر الآيات من قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: الآية ١٧] وهو بعينه ما قاله الرسول عليه السلام كمال هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين والسلام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه أجمعين محمد وآله وأصحابه.

ميزان الجرح والتعديل

لجمال الدين القاسمي

المتوفى سنة ١٣٣٢هـ

ترجمة مختصرة للمؤلف

هو الشيخ العلامة الإمام جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاّق، من سلالة الحسين بن علي السبط رضي الله عنهم، إمام الشام في عصره، علماً بالدين، بارع في الأدب وفنونه، سلفي الاعتقاد، ولد سنة ١٢٨٣هـ وتوفي سنة ١٣٣٢هـ بدمشق.

له بحوث ومقالات كثيرة، وصنّف العديد من الرسائل والكتب، منها:

١ ـ موعظة المؤمنين.

٢ ـ جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب.

٣ ـ محاسن التأويل.

٤ ـ مذاهب الأعراب وفلسفة المسلمين في الجن.

٥ ـ إصلاح المساجد من البدع والعوائد وغيرها الكثير.

وانظر: الأعلام للزركلي (٢/٢٦٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ هذا بحث جليل، ومطلب خطير، طالما جال في النفس التفرّغ لكتابة شيء يكون لباب اللباب، في هذا الباب الذي اختلف فيه الناس لما غلب التعصب على النفوس، ونبذوا مشرب كبار المحدثين رواة السنة وهداة الأمة، حتى سنحت لي فرصة كتبت فيها ترجمة حافلة للإمام البخاري جعلتها مفصّلة لتراجم منوّعة كان منها «تخريج البخاري عمن رمى بالابتداع» وهم الذين أسميتهم: المبدَّعين.

٢ ـ ذكرت ثمة ما يناسب تأليف الترجمة، ثم رأيت أن المقام يستدعي زيادة بسط وإسهاب ودرء شُبَهٍ واحتمالات أوردها بعض الفقهاء خالف فيها الحقيقة، فخشيت أن يطول بإيرادها ـ في ترجمة البخاري ـ الكلام، ويشبه الخروج عن الموضوع، فأفردت تتمة هذا البحث في مقالة خاصة تحيط به من أطرافه، وترده على أنحائه وهذا البحث من جملة المباحث العلمية التي نسيها الخلف أو أضاعوها، ولا غرو أن يذهل عن الغايات من يقصر في البدايات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

منشأ النبز بالابتداع

٣ ـ من المعروف في سنن الاجتماع أن كل طائفة قَوِيَ شأنها، وكثر سوادها، لا بد أن يوجد فيها الأصيل والدخيل، والمعتدل والمتطرف والغالي والمتسامح، وقد وجد بالاستقراء أن صوت الغالي أقوى صدى، وأعظم استجابة لأن التوسط منزلة الاعتدال ـ ومن يحرص عليه قليل في كل عصر ومصر، وأما الغلو فمشرب الأكثر ورغيبة السواد الأعظم، وعليه درجت طوائف الفرق والنحل، فحاولت الاستئثار بالذكرى والتفرد بالدعوى، ولم تجد سبيلاً لاستتباع الناس لها إلا الغلو بنفسها، وذلك بالحط من غيرها والإيقاع بسواها، حسب ما تسنح لها الفرص وتساعدها الأقدار، إن كان بالسنان أو اللسان.

٤ ـ وأول من فتح هذا الباب ـ باب الغلو في إطالة اللسان بالمخالفين ـ الخوارج، فأتى قادتهم عامتهم من باب التكفير ـ لتستحكم النفرة من غيرهم، وتقوى رابطة عامتهم بهم، ثم سرى هذا الداء إلى غيرهم وأصبحت غلاة كل فرقة تكفر غيرها

وتَفَسُّقه، أو تبدعه أو تضلله، لذلك المعنى نفسه، حتى قيض الله تعالى من الأئمة من قام في وجه أولئك الغلاة، وزيف رأيهم، وعرف لخيار كل فرقة قدرهم، وأقام لكل منهم ميزان أمثالهم.

من شهر الرواية عن المبدعين وقاعدة المحققين في ذلك

٥ ـ كان من أعظم من صدع بالرواية عنهم الإمام البخاري رضي الله عنه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء، فخرّج عن كل عالم صدوق ثبت من أي فرقة كان حتى ولو كان داعية كعمران بن حطان وداود بن الحصين وملأ مسلم صحيحه من الرواة الشيعة، فكان الشيخان عليهما الرّحمة والرضوان بعملهما هذا قدوة الإنصاف، وأسوة الحق، الذي يجب الجري عليه، لأن مجتهدي كل فرقة من فرق الإسلام مأجورون أصابوا أو أخطؤوا بنص الحديث النبوي.

٦ ـ ثم تبع الشيخين على هذا المحققون من بعدهما حتى قال شيخ الإسلام الحافظ بن حجر في شرح النخبة: والتحقيق أنه لا يرد كل مكفر ببدعته مخالفيها لأن كل طائفة تدّعي أن مخالفيها مبتدعة، وقد تبالغ فتكفر، فلو أخذ ذلك على الإطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف.

قال: فالمعتمد أن الذي ترد روايته من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة، وكذا من اعتقد عكسه. فأما من لم يكن بهذه الصفة وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه ـ مع ورعه وتقواه فلا مانع من قبوله. اهـ.

آفات الجرح إلا بقاطع

٧ ـ قال الإمام ابن دقيق العيد: أعراض المسلمين حفرة من حفر النار، وقف على شفيرها طائفتان من الناس: المحدثون والحكام. وقال الإمام النووي في التقريب وشارحه السيوطي: أخطأ غير واحد من الأئمة بجرحهم لبعض الثقات بما لا يجرح ـ كما جرح النسائي أحمد بن صالح المصري بقوله: غير ثقة ولا مؤمون.

وهو ثقة إمام حافظ احتج به البخاري ووثقه الأكثرون، وقال ابن الصلاح: وذلك لأن عين السخط تبدي مساوىء لها في الباطن مخارج صحيحة، تعمى عنها بحجاب السخط، لا أن ذلك يقع منهم تعمداً للقدح مع العلم ببطلانه. اهـ.

٨ ـ وقال الإمام ابن دقيق العيد: والوجوه التي تدخل الآفة منها خمسة:

أحدها: الهوى والغرض وهو شرها، وهو في تاريخ المتأخرين كثير.

الثاني: المخالفة في العقائد.

الثالث: الاختلاف بين المتصوفة وأهل علم الظاهر.

الرابع: الكلام بسبب الجهل بمراتب العلوم. وأكثر ذلك في المتأخرين لاشتغالهم بعلوم الأوائل، وفيها الحق والباطل.

الخامس: الأخذ بالتوهم مع الورع.

٩ ـ وقد عقد ابن عبد الرؤوف باباً لكلام الأقران المتعاصرين بعضهم في بعض، ورأى أن أهل العلم لا يقبل جرحهم إلاّ ببيان واضح.

الوجوه التي يعرف بها ثقة الراوي

١٠ ـ قال السيوطي[١]: قال في الاقتراح[٢]: تعرف ثقة الراوي بالتنصيص عليه من رواية، أو ذكره في تاريخ الثقات، أو تخريج أحد الشيخين له في الصحيح، وإن تُكُلِّم في بعض من خرج له فلا يلتفت إليه، أو تخريج من اشترط الصحة له، أو من خرج على كتب الشيخين. اهـ.

فتمت النعمة بتعديل رجال الصحيحين ونبذ كل وهم سواه، وبذلك عُرِفَ للرجال فضلهم، ولأولي العلم قدرهم، وسنَّ الناس طرح التعصب والتحزب والتصافح على الأخوة الإيمانية، وتبادل الآراء والأفكار، واستماع الحكم، ومدارك الاستنباط والاجتهاد من ذويها، على هذا جرى أئمة الحديث وقادة الروايات، الذين جمعوا ما جمعوا لدلالة الأمة على هدى نبيها وسنّة رسولها ﷺ في أقواله وأفعاله، حتى أصبحت مرجع الفروع والأحكام، ومُعَوّل الأئمة الأعلام.

زيادة إيضاح عن حكمة التخريج عن المبدعين وفوائد ذلك

١١ ـ إن تخريج أئمة السنّة، وحُفّاظ الهدى النبوي ـ حديث من نبذوا بالابتداع على طبقاتهم فيه حكمة بليغة، وفائدة عظيمة، ألا وهي النهم بالعلم، والسعي وراءه، والجد في طلبه، والتنبه لحفظه من الضياع، وسن نبذ التعصب والتشيع والتحزب، والتقاط الحكمة من أي قائل؛ قال حافظ المغرب الإمام ابن عبد البر في كتاب جامع العلم وفضله في (باب جامع في الحال التي تنال بها العلم) ما مثاله[٣]:

وروينا عن علي رحمه الله أنه قال في كلام له: العلم ضالة المؤمن، فخذوه ولو

(١) انظر: تدريب الراوي (٢/ ٣٧١).

(٢) انظر: الاقتراح (١/ ٣٢٥).

(٣) انظر: جامع بيان العلم (١/ ١٢١).

من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها. وعنه أيضاً أنه قال: الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في أيدي الشرط. اهـ. فأئمة الحديث رأوا أن السنة من الحكمة بل هي الحكمة ـ في تفسير الإمام الشافعي[١] كما أوضح ذلك في رسالته الشهيرة في (باب بيان ما فرض الله من اتباع سنّة نبيه ﷺ)[٢].

فلذا عمدوا إلى تلقيها من كل ذي علم، واشترطوا للعناية بها أن تكون من مسلم عدل صدوق، ثبت في روايته ولم يبالوا بما غمز أو نبز أو رمى به علماً بأن المسائل النظرية، أو التي دخل على أصولها تأويل بنظر المأوّل هي من المجتهد فيها، والمجتهد مأجور أصاب أو أخطأ، فعلام يترك الأخذ عن المأجور وقد يكون رأيه هو الحق، ومذهبه هو الأدقّ؟.

ما دام الأمر فيه احتمال ولا قاطع، أو اعترض النص ما رجحه ظاهراً ـ كما يعلمه من أعار نظر الإنصاف مآخذ الأئمة ومداركهم ـ وقد أوضح جملاً من ذلك الإمام تقي الدين بن تيمية في كتابه دفع الملام عن الأئمة الأعلام.

١٢ ـ فكان أئمة الحديث بهذا ـ أعني التلقي عن كل عالم ثبت ـ مثال الإنصاف وكبر العقل، وقدوة كل من يلتمس الحكمة، ويتطلب العلم، فجزاهم الله أحسن الجزاء.

عقوق الخلف بهجر مذهب السلف

١٣ ـ سبق أني قلت في هذا المعنى كلمة في كتابي نقد النصائح الكافية، بعد أن سَبَرْتُ رجال من خرّجَ لهم الشيخان أو أحدهما في صحيحيهما ـ ممن نُبِزَ بالابتداع ـ هي قولي:

فترى من هذا أن التنابز بالألقاب والتباغض لأجلها الذي أحدثه المتأخرون بين الأمة عقوا به أئمتهم وسلفهم ـ أمثال البخاري ومسلم والإمام أحمد بن حنبل، ومن ماثلهم من الرواة الأبرار، وقطعوا به رحم الأخوة الإيمانية الذي عقده تعالى في كتابه العزيز، وجمع تحت لوائه كل من آمن بالله ورسوله، ولم يفرق بين أحد من رسله، فإذاً كل من ذهب إلى رأي محتجاً عليه، ومبرهناً بما غلب على ظنه، بعد بذل قصارى جهده، وصلاح نيته، في توخي الحق، فلا ملام عليه ولا تثريب ـ لأنه مأجور على أي حال، ولمن قام عنده دليل على خلافه واتّضحت الحجة في غيره أن يجادله بالتي هي

---

(١) الإمام الشافعي.

(٢) انظر: الرسالة (٧٣).

أحسن ويهديه إلى سبيل الرشاد، مع حفظ الأخوة والتضافر على المودة والفتوة.

١٤ ـ هذا ما قلته ثمة مما يبين أنه لو كانت الفرق التي رميت بالابتداع تهجر لمذاهبها، وتعادى لأجلها، لما أخرج البخاري ومسلم وأمثالهما لأمثالهم.

١٥ ـ نعم: إن هؤلاء المبدعين وأمثالهم لم يكونوا معصومين من الخطأ حتى يَعْدوهم الانتقاد، ولكن لا يستطيع أحد أن يقول: إنهم تعمدوا الانحراف عن الحق، ومكافحة الصواب عن سوء نية وفساد طوية، وغاية ما يقال في الانتقال في بعض آرائهم: إنهم اجتهدوا فيه فأخطؤوا، وبهذا كان ينتقد على كثير من الأعلام سلفاً وخلفاً لأن الخطأ من شأن غير المعصوم، وقد قالوا: المجتهد يخطىء ويصيب. فلا غضاضة ولا عار على المجتهد إن أخطأ في قول أو رأي، وإنما الملام على من ينحرف عن الجادة عامداً متعمداً، ولا يتصور ذلك في مجتهد ظهر فضله، وزخر علمه.

رد القول بمعاداة المُبَدَّعين

١٦ ـ قدَّمنا أن رواية الشيخين وغيرهما عن المبدعين تنادي بواجب التآلف والتعارف، ونبذ التناكر والتخالف وطرح الشنآن والمحادَّة والمعادَاة والمضارّة، لأن ذلك إنما يكون في المحاربين المحادين، لا في طوائف تجمعها كلمة الدين، ومن الأسف أن يغفل عن هذا الحق من غفل، ويدهش لسماعه المتعصبون والجامدون، ويحق لهم أن يُذْعروا لهذا الحق الذي فاجأهم، لأنه مات منذ قضى عصر الرواية والرواة وانقضى زمن المحدّثين والحفاظ، ودال الأمر بعد الأخبار النبوية للآراء والأقوال.

١٧ ـ وصار الحق ـ بعد أن كانت الرجال تعرف به ـ يعرف بالرجال وأصبح مشرب أمثال البخاري وغيره نسياً منسياً، ونشر لواء التعادي والتباغض في الأمة وكان مطوياً، وسبب على الأمة من التفرق والانقسام، ما أورثها الضعف والانفصام، فبعد أن كان التسامح في التلقي عن الحكماء والفضلاء من أي طبقة ـ ركناً ركيناً في حضارة الإسلام، خلفه التخاذل والتدابر والتعصب والملام، ولم يكف ذاك حتى ادعى أنه من الدين، مع أن الدين يأمر بالتآخي ونبذ التفرق في محكم كتابه المبين.

١٨ ـ ومن العجب أن يقول قائل: لا يلزم من الرواية عنهم عدم معاداتهم، أي يجوز أن نروي عن راوٍ، مع التدين بمعاداتنا له، وبغضنا إياه!.

فنجيب عنه: بأنّا لا نعرف من قال ذلك من السلف، ولا من ذهب إليه من الأئمة، والرواية يراد بها هنا تلقي أقوال النبي ﷺ وسننه وهديه وتشريعه وأقضيته، وفتاويه وشمائله، لتتخذ ديناً يدان الله به، وشريعة يقضى بها في التنازع، ومرجعاً تحل

به المشكلات، فهل يتلقى ذلك عمن يجب علينا معاداته في الدين؟.

١٩ ـ وكيف يُتصوَّر أن نأخذ الدين عمَّن نرى أنه عدو للدين؟ سبحان الله ما هذا التناقض؟ إن من يأمرك الدين بأن تعاديه لا يبيح لك أن تأخذ دينك وشريعتك وعقيدتك عنه، ومن المُسَلَّم أن هذا الراوي أداه اجتهاده إلى ما رأى، ومن أداه اجتهاده إلى ما رأى كيف يُعادَى ـ وقد بذل قصارى جهده، وليس قصده إلا الحق، والتقرب إلى الله.

والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وكيف يعادي من أثبت له الشارع الأجر ولو كان مخطئاً؟.

وإنما يعادى الآثم لا المأجور.

رد القول بتفسيق المبدعين

٢٠ ـ أغرب من ذلك قول البعض بتفسيق من يبدِّعه، وإن بلغ ذروة الاجتهاد، وأصبح معذوراً لا ملام عليه عند الله والملائكة والنبيين، لا بل قد تفضَّل عليه الشارع بالأجر. ومتى عهد تفسيق مجتهد إذا أخطأ في المسائل الاجتهادية؟.

٢١ ـ وهل يمكن لمثل البخاري ـ وهو ما هو في نقد الرجال ـ أن يضم إلى صحيحه من مجتهدي الفرق من كان فاسقاً ليصبح جانب من كتابه مروياً للفسقة وقد جمعه ليجعله حجة بينه وبين ربه؟.

٢٢ ـ وهل يُعقل أن يجعل رواية الفاسق حجة عند المولى؟ هذا ما يلزم من تفسيق من يفسق من الرواة فليُحْكم المتعصب النظر، وليتدبر في المآل، قبل أن يأخذ في المقال.

٢٣ ـ نعم: ذهبت طائفة إلى تفسيق من خالفهم في شيء من مسائل الاعتقاد ـ كما نقله الإمام ابن حزم في كتابه الفصل ـ إلا أنه قول مردود ولذا قال الإمام ابن حزم رضي الله عنه: وذهبت طائفة إلى أنه لا يُكفَّر ولا يُفَسَّق مُسْلمٌ بقول قاله في اعتقاد أو فتيا، وإن كل من اجتهد في شيء فَدَان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال: إن أصاب الحق فأجران، وإن أخطأ فأجر واحد. قال: وهذا قول ابنْ أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جميعهم، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم، لا نعلم منهم في ذلك خلافاً أصلاً. اهـ. كلامه.

٢٤ ـ فأين هذا من التسرع في التفسيق وتقليد من قاله من المتأخرين المقلدين، الذين ليسوا بأئمة متبوعين، ولا قولهم حجة في الدين، ولا استندوا إلى دليل أو برهان؟.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: الآية ١١١].

خطر النبز بالفسق ومعنى الفسق

٢٥ ـ إن النبز بالفسق ليس بالأمر السهل، لأن الفسق كثيراً ما جاء في القرآن الكريم مقابلاً للإيمان كآية: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: الآية ١٨]، وأمثالها.

ولذا قيل: بأن عطف قوله تعالى ﴿والفسوق﴾ على قوله ﴿والكفر﴾ عطف تفسير في آية: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾ [الحجرات: الآية ٧]، وإن احتمل أن يكون غيره إشارة إلى نوع آخر؛ إلا أن النظائر والأشباه في موارده في التنزيل تدل على أنه عطف تفسير، وهَبْ أنه كان غير الكفر فهو شيء قريب منه، ونوع أَنْزَلُ منه بدرجة، وناهيك به، وإليك ما قاله فيه أئمة اللغة وفلاسفتها.

٢٦ ـ قال الجوهري في الصِّحاح[1]: فسق الرجل فجر، وفسق عن أمر ربه: أي خرج. وفي المصباح: فسق فسوقاً: خرج عن الطاعة، والاسم الفسق، ويقال: أصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد، يقال: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرها».

٢٧ ـ وفي القاموس[2]: الفسق الترك لأمر الله، والعصيان، والخروج عن طريق الحق، أو هو الفجور: كالفسوق.

٢٨ ـ وقال الإمام الراغب الأصفهاني في مفرداته: فسق فلان: خرج عن حجر الشرع، وذلك من قولهم: فسق الرطب: إذا خرج عن قشره. وهو أعم من الكفر.

قال: والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به، ثم أخل بجميع أحكامه أو ببعضه. وإذا قيل للكافر الأصلي: فاسق، فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة، إلى أن قال: فاسق أعم من الكافر. اهـ.

٢٩ ـ وقال الإمام محمد بن مرتضى اليماني في كتابه إيثار الحق في: فصل في الفسق، ما نصه: وأما العرف المتأخر: فالفسق يختص بالكبيرة من المعاصي مما ليس بكفر، والفاسق يختص بمرتكبها. اهـ.

---

(١) انظر: الصحاح (٥٠٣).

(٢) انظر: القاموس المحيط: فسق (٣/ ٢٧٦).

٣٠ ـ فأنت ترى من هذا كله أن الفسق مدلوله الكبائر والمعاصي العظائم لأنه دائر بين الكفر وما يقرب من، وإذا كان هذا مدلوله الشرعي، ومعناه العرفي فكيف يجوز أن يوصف به عالم ثبت ثقة من ذوي الألباب وأولي الاجتهاد لمجرد أنه أداه اجتهاده إلى رأي يخالف غيره مع أنه لم يقصد إلا الحق ولم يتوخ إلا ما رآه الأوفق، إذ لم يأل جهداً في اهتمامه بما يراه الصواب، وإن كان في نظر غيره على خلاف ذلك، إذ هذا من لوازم المسائل النظرية؟.

ومتى عُهِدَ أن يُفَسِّق المخالف فيها أو يُضَلِّل؟

لا جَرَم أنه بدعة قبيحة وجناية في الدين كبيرة.

٣١ ـ وقد قال كثير من أئمة التفسير في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحُجرَات: الآية ١١]، هو قول الرجل للرجل: يا فاسق، يا منافق. رواه ابن جرير عن مجاهد وعكرمة. وقال قتادة: يقول تعالى: لا تقل لأخيك المسلم ذاك فاسق، ذاك منافق، نهى الله المسلم عن ذلك وقدم فيه. وقال ابن زيد: هو تسميته بالأعمال السيئة بعد الإسلام: زان فاسق.

ثم قال ابن جرير(١): والتنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعم الله بنهيه ذلك، ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها.

٣٢ ـ ثم قال: وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحُجرَات: الآية ١١]، أي ومن لم يتب من نبزه أخاه بما نهى الله عن نبزه من الألقاب أو لمزه إياه أو سخريته منه، فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه.

ولما لم يكن عند من يرمي أخاه بالفسق إلا الظن جاء النهي عن سوء الظن إثر تلك الآية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجرَات: الآية ١٢].

ولما كان الرمي بالفسق مدعاة لتفرّق القلوب وإثارة الشحناء، على عكس حكمة الله تعالى في خلقه الخلق للتعارف والتآلف.

٣٣ ـ جاء ذلك على أثر ما تقدم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٣٣).

وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٣].

٣٤ ـ فليتدبر المتقي هذه الآيات الكريمة وليقف عند أوامرها وزواجرها، وليعتبر وليستعبر.

٣٥ ـ قال السيد الطباطبائي في المفاتيح: الفسق يتحقق بفعل المعصية المخصوصة ـ مع العلم بكونها معصية، أما مع عدمه، مع اعتقاد أنه طاعة، بل من أمهات الطاعات فلا. والأمر في المخالف للحق كذلك ـ لأنه لا يعتقد المعصية، بل يزعم أن اعتقاده من أهم الطاعات سواء كان اعتقاده صادراً عن نظر أو تقليد، ومع ذلك لا يتحقق الفسق، وإنما يتفق ذلك ممن يعاند الحق ـ مع علمه به، وهذا لا يكاد يتفق، وإن توهمه من لا علم له. اهـ.

٣٦ ـ فسترى من العجب بعد ما ذكرناه أن يوسم بالفسق من لا يحل واسمه به، لأن معناه لا ينطبق عليه بوجه ما، على أنه ورد تسمية رواة الحديث خلفاء فيما رواه الطبراني والخطيب وابن النجار وغيرهم عن علي مرفوعاً.

«اللهم ارحم خلفائي الذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي وسنتي، ويعلمونها للناس»[1]، إذا علمت هذا فماذا يقال في هؤلاء المفسِّقين؟ أجهلوا المعنى العرفي للفسق أم تجاهلوا؟ أم اجتهدوا فأداهم اجتهادهم أم قلدوا؟ لا غرو أنهم جهلوا وقلدوا، ويا ليتهم قلدوا إماماً متبوعاً، بل قلدوا أواخر المقلدة الجامدة المتعصبة.

٣٧ ـ ولو نظروا في تراجم الرجال، وتدبروا سيرة كثير من أولئك المبدعين الأبطال، لعلموا أن رميهم بالفسق يكاد أن يهتز له العرش. خذ لك مثلاً من شيوخ المعتزلة، عمرو بن عبيد[2]، وانظر في ترجمته إلى زهده وتقواه.

٣٨ ـ قال الذهبي في الميزان[3]: وقد كان المنصور ـ الخليفة العباسي الشهير ـ يخضع لزهد عمرو وعبادته ويقول شعراً: [مجزوء الكامل]

كلكم يطلب صيد ... غير عمرو بن عبيد

وذكر ابن قتيبة في المعارف[4]: أن المنصور رثى عمرو بن عبيد فقال شعراً: [الكامل]

---

(١) انظر: الإلماع (١٧، ١٨)، جمع الجوامع (٣٦٩٩).

(٢) انظر: المجروحين؛ ٢/ ٦٩)، التهذيب (٨/ ٧٠).

(٣) انظر: الميزان (٣/ ٢٧٩).

(٤) انظر: نفس المصدر السابق.

صلى الإله عليك من متوسد قبراً مررت به على مُرّان
قبراً تضمن مؤمناً متحنفاً صدق الإله ودان بالقرآن
لو أن هذا الدهر أبقى صالحاً أبقى لنا حقاً أبا عثمان

٣٩ ـ هذا هو التوثيق ـ أعني توثيق الملوك ـ لأن كلام الملوك ملوك الكلام. وما غمز به فكله ـ إن أنصفت ـ من عصبية التمذهب والجمود في التعصب.

٤٠ ـ نحن لا نقول هذا تحزباً للمعتزلة أو لغيرهم، معاذ الله، فإنا في الرأي مستقلون، فلسنا بمقلدين ولا متحزبين، ولكن هو الحق والإنصاف وما قولك في قوم يرون مرتكب الكبيرة كافراً أو مخلداً في النار؟ أليس في هذا نهاية التعظيم للدين وغاية الابتعاد عن المعاصي والإشعار بامتلاء القلب من خشية الله بما يزع عن الكذب والافتراء؟.

٤١ ـ بلى! وألف بلى! فأنّى يستجيز عاقل بعد ذلك تفسيقهم وهم على ما رأيت من التمسك بدين الله، والتصلُّب في المحافظة على حدوده؟ فتدبر وأنصف، على أن خبر الفاسق مرغوب عنه في نظر العقل ساقط الاحتجاج به في أصول الشرع، ولذا أمرنا بأن نتبينه ولا نلوي عليه بادىء بدء، فكيف يحكم صاحبه في السنة والأحكام.

قال الإمام الحجة مسلم، في مقدمة صحيحه في:

٤٢ ـ باب وجوب الرواية عن الثقات، وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ما مثاله[1]: واعلم، وفقك الله تعالى، أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين: أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه، والستارة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم، والمعاندين من أهل البدع.

٤٣ ـ قال: فدل بما ذكرنا من هذه الآي أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن شهادة غير العدل مردودة. والخبر إن فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه، فقد يجتمعان في أعظم معانيها ـ إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم، كما أن شهادته مردودة عند جميعهم ـ ثم روى عن سلام قال: بَلَغَ أيوب أني آتي عمراً، فأقبل عليّ يوماً فقال: أرأيت رجلاً لا تأمنه على دينه فكيف تأمنه على الحديث.

فدل ذلك على أن من ائتمنه الشيخان على الحديث، فقد ائتمنوه على الدين، ومن اؤتمن على الدين فليس فاسقاً ولا مبتدعاً.

---

(١) انظر: صحيح مسلم (١/ ٨).

٤٤ ـ ثم قال الإمام مسلم[١]: وإنما ألزموا ـ يعني العلماء ـ أنفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث وناقلي الأخبار وأفتوا بذلك حين سئلوا لما فيه من عظيم الخطر، إذ الأخبار في أمر الدين إنما تأتي بتحليل أو تحريم أو أمر أو نهي أو ترغيب أو ترهيب، فإذا كان الراوي لها ليس بمعدن للصدق والأمانة، ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه، ولم يبين ما فيه لغيره ممن جهل معرفته كان آثماً بفعله ذلك، غاشاً لعوام المسلمين، إذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها أو يستعمل بعضها، ولعلها أو أكثرها أكاذيب لا أصل لها، مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة أكثر من أن يضطر إلى نقل من ليس بثقةٍ ولا مقنع. اهـ.

٤٥ ـ فهل بعد هذا يجوز غمز بعض من روى لهم الشيخان من أولئك الأعلام المبدعين؟ لا جرم أنه لأمر ما عنى البخاري ومسلم، بالتخريج عنهم، وأخذ السنة منهم، وتبليغها للأمة، وجعلها حجة بينه وبين ربه، وما ذاك إلا إجلالاً لفضلهم، وإنصافاً لقدرهم.

٤٦ ـ انظر كيف يتحمل مثل البخاري عن أعلام الشيعة والمعتزلة والمرجئة، والخوارج ويجعل حديثهم حجة، ومرويهم سنة ويفخر بذكر أسمائهم في أسانيده، ويخلد لهم أجمل الذكر، في أشرف مصنف.

٤٧ ـ انظر هذا وقابل بينه وبين جمود المتأخرين ورميهم علماء الفرق بالفسق والابتداع والضلال، وهجرهم لعلومهم، وصد الناس عنهم حتى فات الناس ـ وا أسفي ـ علم جم، وخير كثير، ولأن دُوِّنَ ما دُوِّنَ من معارفهم، فما بقي من فوائدهم في خزائن صدورهم مما كان يستثار بالأخذ عنهم، ويُنال بمجالسهم ـ أوسع وأوفر.

٤٨ ـ أفليس في جمود هؤلاء على ما ذكر عقوق لسلفهم الصالح؟ بلى!.

وما يضرون إلاَّ أنفسهم لو كانوا يشعرون، بما ذكرناه استبان لك الخطأ في نبز رواة الصحيح بالفسق والابتداع، وأنه تعصب يجب التنبه له، والحذر منه.

٤٩ ـ نحن إنما نصدع بهذا ـ تفقهاً من مشرب البخاري ومذهبه، وموافقة له في رأيه الذي لا نشك في أنه الصواب الذي تدعو إليه الأخوة الإيمانية والإنصاف مع كل راوٍ مجتهد من هذه الأمة لا يروم إلاَّ الحق، ولا يسعى إلاَّ إليه ولا يتحمل الأذى والاضطهاد إلاَّ لأجله. إذ لم يصب من رأيه وما دعا إليه لا دنيا ولا جاهاً، ولا ملكاً، فأي دليل أدل على حُسن نيته من هذا؟.

---

(١) انظر: صحيح مسلم (١/٢٨).

٥٠ ـ وبالجملة فتسمية المتفقهة بعض الرواة فسقةً جَهْلٌ بما قاله الأصوليون من أن الفاسق مردود الشهادة والرواية ومن قبلَ الشيخان وغيرهما خبره وحكموه في السنة وأخذوا عنه، فهل يكون فاسقاً؟.

٥١ ـ على أن إجماعهم على تلقي الصحيحين بالقبول موجب لتعديل رواتهما جميعاً.

لأن التلقي بالقبول فرع صحة الحديث، وهو إنما يكون من صحة سنده، وهو من عدالة رجاله وتوثيقهم. ولذا قالوا فيمن خرّج له الشيخان: جاز القنطرة، بمعنى أنه لا يلتفت إلى ما غُمِز به.

٥٢ ـ وبالجملة فمشرب المحدثين في التسامح ونبذ التعصب هو الذي تقتضيه الأصول، وتقبله العقول وما أحدث من النبز بالفسوق للبعض فلا سند له ـ لأن دعوى فسق الإنسان إنما يكون بإتيانه ما فسّقه الشارع به ونص عليه كتاب أو سنّة نصاً قاطعاً لا يحتمل التأويل، وأما مسائل الاجتهاد فلا يصح ذلك فيها بوجه من الوجوه.

٥٣ ـ والحاصل أن لا تفسيق ولا تضليل مع الاجتهاد والتأويل، وإن كان ليس كل اجتهاد صواباً، ولا كل تأويل مقبولاً، ولكن كلامنا في ذات المجتهد والمؤول.

٥٤ ـ فمن لا يألُ جهداً فلا ملام عليه ولا كلام، لا، بل يُتحمل فيه الدين، ويُتلقى عنه الهدى النبوي، ويحكم في السنة، على هذا جرى البخاري ومسلم وغيرهما من أقطاب الحديث والأثر، وهو الصواب، بلا ارتياب.

٥٥ ـ وقد نقل الغزالي في المستصفى عن الشافعي أنه قال[(١)]: تقبل شهادة أهل الأهواء إلاّ الخطابية من الرافضة لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم في المذهب.

٥٦ ـ ثم قال: ويدل على مذهب الشافعي قبول الصحابة قول الخوارج في الأخبار والشهادة، وكانوا فسقة متأولين، وعلى قبول ذلك درج التابعون ـ لأنهم متورعون عن الكذب، جاهلون بالفسق. اهـ.

فسترى من هذا أن الصحابة قبلوا خبرهم وما ضرهم تسمية الفقهاء لهم بالفسقة، لأنه فسق بمعنى مخالفة غيرهم، وهذا الإطلاق اصطلاحي للفقهاء، وربما رجع الخلاف ـ في تسمية أولئك فساقاً ـ لفظياً، وإلا فيستحيل إرادة الفسق الحقيقي المانع للشهادة والرواية ـ كما قدمنا ـ.

٥٧ ـ ومعلوم أنه لا يكون مذهب على حجة، ولا عرف برهاناً على عرف، وإنما

(١) انظر: المستصفى (١/ ١٦٠).

الحجة والبرهان قواطع الكتاب والسنة، ولما كان البحث المذكور في غاية من الدقة ترى الكلام في مطولات الأصول مضطرباً متشعب الأقوال، حتى اختلفوا لذلك في ماهية العدالة. ويقرب لمذهب المحدثين فيها قول بعض أهل العراق: العدالة عبارة عن إظهار الإسلام فقط، مع سلامته عن فسق ظاهر. اهـ.

جواب شبهة

٥٨ ـ رب قائل يقول: كيف لا يفسق هؤلاء وقد خالفوا بتأويلهم النصوص من الكتاب والسنة؟

فنقول:

٥٩ ـ قدمنا ما يمنع تسميتهم فسقة شرعاً ولغة، ولذا جاء في مسلم الثبوت ـ من كتب الأصول ـ ما مثاله:

لك أن تمنع كون المتدين من أهل القبلة فاسقاً بالعرف المتقدم الذي عليه القرآن الكريم ـ وهو شموله للكافر والمؤمن المرتكب الكبيرة. اهـ.

٦٠ ـ وقال حجة الإسلام الغزالي في الإحياء: مهما اعترضت على قدري في قوله: الشر ليس من الله. اعترض عليك القدري أيضاً في قولك: الشر من الله. وكذلك في قولك: إن الله يرى. وفي سائر المسائل، إذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع، والمحق مبتدع عند المبتدع، وكل يدّعي أنه محق وينكر كونه مبتدعاً. اهـ.

٦١ ـ وبالجملة فهم مخالفون بنظر غيرهم، وأما عند أنفسهم فغيرهم هو المخالف وهم الموافقون، وحاشا لمؤمن عالم أن يخالف كتاباً أو سنة عامداً متعمداً، فهم مجتهدون مثابون إذ لم يألوا جَهْداً فيما ذهبوا إليه، وإن كنت لا تقول به وترى الحجة فيما أنت عليه، على أن ما تسميه أنت نصاً هم يرونه ظاهراً، إذ دعوى نصيته الشيء ليست بالأمر اليسير ـ لأن النص هو القاطع في معناه، المفيد لليقين في فحواه، وهذا إنما يكون في محكمات الدين وأصوله التي لم يختلف فيها الفرق كلها، وأما ما عداه فكلها ظواهر، وقد يراها البعض باجتهاده نصاً، وليس اجتهاد مجتهد بقاضٍ على اجتهاد آخر، وعلى من يريد تحقيق هذا أن يراجع مُطوَّلات الخلاف، ويطالعَ مآخذ المجتهدين.

٦٢ ـ ومن أنفع ما أُلف في هذا الباب كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله، فإنه جدير لو كان في الصين أن يرحل إليه، وأن يُعَضَّ بالنواجز عليه، فرحم الله من أقام المعاذير للأئمة، وعلم أن سعيهم إنما هو للحق والهدى ـ كما أسلفنا ـ وبالله التوفيق.

جواب شبهة أخرى

[نسبة الجهل إلى الرواة وأهل الحديث]

٦٣ ـ يزعم بعضهم بأنه: يُحتمل أن يكون الراوي تحمل عن المبدع قبل تمذهبه بذلك المذهب، وهذا جهل بمذاهب الرواة ومشارب الرجال فإن كلٌ من ألف في نقد الرجال لم يذكر في المشاهير منهم أنه كان على مذهب كذا، أو أن الحافظ الفلاني تحمل عن فلان قبل تمذهبه بمذهب كذا، ومثل هذا إنما يؤخذ عن النقلة الأثبات كالمصنفين في أحوال الرجال، ولذا تراهم يقولون في ترجمة الراوي: كان خارجياً، ونحو ذلك قولاً واحداً.

٦٤ ـ وحبذا أن يكون ما ذكره مأثوراً عن إمام مؤرخ مشهور.

وأما القول بالاحتمال، فإذا فتح أورث الاضمحلال، لكل ما يعول عليه في الاستدلال ـ ومثل ذلك ما يقال: يحتمل أن يكون روى عنه وهو غير عالم بما هو عليه من فساد العقيدة! فهذا يزيد عما قدمنا من الجهل بمذاهب الرواة تجهيل أئمة الحديث، ووصمهم بما هم براء منه من الغباوة والبلاهة، وأنهم يتحملون عمن لا يعرفون مذهبه ولا مشربه، وأنهم كحاطب ليل، نعوذ بالله من ذلك.

٦٥ ـ وأي عاقل يجرؤ على مثل ذلك في البخاري صاحب التاريخ في الرجال؟ بل من دونه من أرباب السنن وغيرهم ممن تكلم في الجرح والتعديل، وميّز بين صحيح الحديث وضعيفه ـ لثقة رجاله أو ضعفهم.

٦٦ ـ وهل يعقل في صحاح، وسنن، ومسانيد، وموطآت، عليها مدار أدلة الأحكام وحجج الفروع، صنفت على الأسانيد المنوعة والمكررة بالأسماء والكنى والألقاب ـ أن يكون جامعوها لا يدرون مشرب رجالها ولا ما يتحملونه ـ مع أن العامي والأمي نراه إذا خدم عالماً لا يخفى عليه مشربه ومذهبه ورأيه وفكره.

٦٧ ـ فكيف بعالم مؤلف، لا، بل بإمام مجتهد يستنبط الأحكام من الأحاديث ويترجم عليها، ويزاحم من تقدمه من الأئمة في التخريج والرد والاستدراك والتفريع والتأصيل؟

ألا يدري مذهب رجال إسناده ونحلتهم ـ وهم عمدته في الاستدلال، وركنه في الاحتجاج؟؟ بلى..! ثم... بلى!.

وهو أجلى من أن يُبَرْهَن عليه، أو يرد على من كابر فيه.

٦٨ ـ ولقد كان علم الجرح والتعديل، ومعرفة طبقات الرجال وتراجمهم من

أوائل ما يدريه طلاب الحديث ومريدو التحمل عن الحفاظ، ولكن من أين يدري أبناء هذا الجيل، ما كان عليه السلف من فنون التحصيل وقد اندرست تلك العلوم ولم يبق منها إلاَّ الرسوم، فإنا لله وإنَّا إليه راجعون.

٦٩ ـ وأما قول بعضهم: فكيف يستدل بإخراج الشيخين على عدم جواز المعاداة ـ مع قيام هذه الاحتمالات؟ وكيف يسوغ للإنسان أن يتمسك بالمحتمل الذي لا تقوم به حجة؟

٧٠ ـ فقد علمت سقوط هذه الاحتمالات وأنها أشبه بالأوهام والخيالات والتلاعب في الحقائق الواضحات. والمحتمل الذي تقوم به حجة هو الذي يتطرق إليه احتمال معقول، أو تأويل مقبول، جار على قوانين التأويلات، والأوجه المعروفة في نظائره.

٧١ ـ وأما احتمال في مقابلة حقيقةٍ ثابتة، وأمر واضح، فلا يقال له احتمال، وإنما هو تلاعب وهوس خيال، يقول أئمة الجرح والتعديل في كتبهم عن راوٍ ـ ممن خرَّج له الشيخان أو أحدهما ـ إنه شيعي، أو خارجي، أو قدري، أو مرجىء، ثم يأتي من يريد أن ينقض هذا بالاحتمال، وهو لم يضرب في هذا الفن بسهم، ولا يمكن أن يُرجع إليه في رأي ولا علم، كيف لا، وقد اجتمعوا على الرجوع إلى أئمة الفن في هذا الباب لأنه أمر لم يبق فيه مجال ولا نظر ولا احتمال، وهذا من البديهيات الفنية عن الحجة والبرهان.

رفع وهم في عبارة للبخاري

٧٢ ـ وأما زعم أن قول البخاري في جزء رفع اليدين: كان زائدة لا يحدِّث إلاَّ أهل السنة اقتداء بالسلف: يخالف ما استنبطناه ـ فعجيب جداً لأنه لا شاهد فيه، ولا يناسب بحثنا حتى يخالفه، لأن زائدة رحمه الله كان يمتنع عن تحديث غير أهل السنة ـ أي إسماعهم الحديث وإقرائهم إياه ـ وذلك في التلاميذ منهم والمبتدئين في طلب الحديث الذين يبغون التلقي والسماع.

٧٣ ـ وقد انتموا إلى غير مذهب أهل السنة، فكان زائدة يتجافى تحديثهم اقتداء بمن رآه من سلفه كذلك، ولا منازعة في الوجدانيات، ولا يكلف المرء ما لا يطيقه، فمن كانت نفسه لا تحب إسماع من كان كذلك، فله الخيرة ولا جناح عليه في ترك الإسماع، لا سيما لتلاميذ لم يتأهلوا بعدُ للنظر والوقوف على التحقيق، فمثلهم إنما يكون مقلداً لا مجتهداً. وأما حفاظ شيوخ، ذوُو علم ورسوخ، أوتوا من العلم والفضل ما أهَّلهم للتحمل عنهم، والاستفادة من علمهم، بحيث طارت شهرتهم

وتفرقوا على غيرهم، فلا دخل لكلام زائدة فيهم، ولا يشملهم مشربه، وهكذا نحن نقول: لا ينبغي لأستاذ أن يشرح صدره لتلاميذ أغرار، انتحلوا غير ما يراه الحق بدون نظر أو فكر، بل تقليداً أو اتباعاً لكل ناعق.

٧٤ ـ وأما من بلغ مرتبة الرسوخ والإفادة، وكان على جانب عظيم من العلم، وانتحل ما انتحل عن اجتهاد ونظر، فلا يرتاب أحد في العناية بالأخذ عنه، والتلقي منه، كما فعل الأئمة أمثال البخاري وأشياخه، فكلام زائدة من واد، وما نقوله من واد آخر، وهكذا يقال فيمن حكي عنهم من المرجئة من أهل بلخ.

وأما قوله: ولقد رأينا غير واحد من أهل العلم يستتيبون أهل الخلاف، وإلا أخرجوهم من مجالسهم.

٧٥ ـ فهو يعني به ما ذكرناه من التلاميذ لقوله: وإلا أخرجوهم.

وهل يخرج إلا المتعلم الضعيف في العلم والفهم، المتطفل على ما ليس له بأهل؟ وشتان بين من يخرج من مجلس الحديث من أهل الخلاف وبين من يرحل إليه ويتحمل عنه منهم ـ كرجال الشيخين وغيرهما من هؤلاء، ولو اطَّرَدَ الابتعاد عن هؤلاء أو إبعادهم لما تلقى عنهم أمثال الشيخين، وخلدوا أسماءهم ومرويهم في أصح الكتب بعد التنزيل الكريم. [مقصود البخاري من عبارته].

٧٦ ـ وقد يكون مراد البخاري بأهل الخلاف: أهل الرأي جموداً وتقليداً المؤثرين آراء الفقهاء على صحيح السنة ـ لأن كتابه المذكور وهو: جزء رفع اليدين، في مناقشة أهل الرأي وحَجُّهم بصحيح السنة على رأيهم، وقد تجافى أربابُ الصحاح الرواية عن أهل الرأي فلا تكاد تجد اسماً لهم في سند من كتب الصحاح أو المسانيد أو السنن، وإن كانت أعدُّ ذلك في البعض تعصُّباً، إذ يرى المُنصف عند هذا البعض من العلم والفقه ما يجدر أن يُتحمل عنه، ويستفاد من عقله وعلمه، ولكن لكل دولة من دول العلم سلطة وعصبة ذات عصبية، تسعى في القضاء على من لا يوافقها ولا يقلدها في جميع مآتيها وتستعمل في سبيل ذلك كل ما قدِّر لها من مستطاعها، كما عرف من سَبَرَ طبقات دول العلم ومظاهر ما أوتيتَه من سلطان وقوة. وقد وُجد لبعض المحدثين تراجم لأئمة أهل الرأي يخجل المرء من قراءتها فضلاً عن تدوينها، وما السبب إلاّ تخالف المشرب على توهم التخالف، ورفض النظر في المآخذ والمدارك، التي قد يكون معهم الحق في الذهاب إليها، فإن الحق يستحيل أن يكون وقفاً على فئة معينة دون غيرها، والمصنف من دقق في المدارك غاية التدقيق ثم حكم بعد.

أثر السلطات في الاتهام والابتداع

٧٧ ـ ومما نعده تعصباً ما حكاه الإمام البخاري في جزء رفع اليدين، المذكور من إخراج أهل الخلاف من مجالس الحديث حتى يُستتابوا، وحَمْل قاضي مكة سليمان بن حرب على الحجر على بعض علماء الرأي من الفتوى، وما ذلك إلا سلطة دولة الأثريين وقتئذ، وقيامهم بالتشديد ضد غيرهم، ونبذ التسامح الذي كان عليه الصحابة والتابعون في أن يفتي كل بما يراه بعد بذل جهده في المسألة دون تعنيف أو اضطهاد ـ لا جرم أن سنة كل قوم ـ آنسوا من أنفسهم قوة وسلطاناً ـ أن يستعملوا لبثِّ مذهبهم ونشره هيمنة الحاكم وسيطرته، ولا سيما إذا كان منهم وعلى شاكلتهم وهو مستبد في علمه وما يمضيه فحدث هناك ولا حرج.

٧٨ ـ انظر إلى القدرية لما دالت لهم دولة العلم أيام المأمون ماذا جرى منهم مع من لم يقل بمشربهم ولم يستجب لدعوتهم، فقد ضُربت أئمة وأهينوا وسُجنوا الأعوام وأوذوا مما دوّنه التاريخ وأحصاه على هؤلاء المتعصبين، وكان نقطة سوداء في تاريخ حياتهم، وإن كانوا يزعمون مقاومة الحشو والجمود، وتنوير الأذهان بعلوم الأوائل مما أخذوا بتعريبه، وجهدوا في نشره، إلاَّ أن الغلو كان رائدهم، والبطش قائدهم، ولكن هي السُكرة، التي يذهب معها صحيح الفكرة ـ أعني سكرة الدولة والغلبة، والسلطة والقوة ـ فما من دولة إلا ونقم عليها شيء من ذلك، كما يدريه من سبر أخبار الدول وفلسفة حياتهم، ومظهر آرائهم وآمالهم.

٧٩ ـ وكذلك قُل عن الفتنة التي فرّ من أجلها إمام الحرمين من العراق إلى الحجاز حينما دالت دولة الحنفية، وثارت عصبيتهم على الشافعية والأشعرية.

٨٠ ـ قال التاج السبكي في طبقاته في ترجمة الإمام أبي سهل الشافعي[١]: إنه لما بلغ من سمو المقام أن أرسل إليه السلطان الخِلع وظهر له القبول عند الخاص والعام حسده الأكابر وخاصموه، فكان يخصمهم ويتسلط عليهم.

قال: فبدا له خصوم واستظهروا بالسلطان عليه وعلى أصحابه.

قال: وصارت الأشعرية مقصودين بالإهانة والمنع عن الوعظ والتدريس، وعُزلوا من خطابه المجامع.

٨١ ـ وقال: وتبع من الحنفية طائفة أُشربوا في قلوبهم الاعتزال والتشيع، فخيلوا إلى أولي الأمر الإزراء بمذهب الشافعي عموماً وبالأشعرية خصوصاً.

---

(١) انظر: طبقات السبكي الكبرى.

قال: وهذه هي الفتنة التي طار شررها، وطال ضررها، وعظُم خطبها، وقام في سب أهل السنة خطيبُها، فإن هذا الأمر أدى إلى التصريح بلعن أهل السنة في الجمع، وتوظيف سبهم على المنابر، وصار لأبي الحسن الأشعري بها أسوة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستعلى أولئك في المجامع، فقام أبو سهل في نصر السنة قياماً مؤزراً، وتردد إلى العسكر في ذلك ولم يغد، وجاء الأمر من قبل السلطان طغرلبك بالقبض على الرئيس الفراتي، والأستاذ أبي القاسم القشيري، وإمام الحرمين، وأبي سهل بن الموفق، ونفيهم ومنعهم عن المحافل. وكان أبو سهل غائباً في بعض النواحي، فلما قرأ الكتاب بنفيهم أغرى بهم الغاغة والأوباش، فأخذوا بالأستاذ أبي القاسم القشيري والفراتي يجرونهما، ويستخفون بهما، وحبسا بالقهندر. وبقيا في السجن متفرقين أكثر من شهر، وأما إمام الحرمين فإنه كان أحسَّ بالأمر فاختفى وخرج على طريق كرمان إلى الحجاز.

٨٢ ـ وفي شرح الإقناع قال ابن عقيل: رأيت الناس لا يعصمهم من الظلم إلا العجز، ولا أقول العوام بل العلماء ـ كانت أيدي الحنابلة مبسوطة في أيام ابن يونس، فكانوا يستطيلون بالبغي على أصحاب الشافعي في الفروع حتى ما يمكنوهم من الجهر بالبسملة والقنوت ـ وهي مسألة اجتهادية ـ فلما جاءت أيام النُّظَّام، ومات ابن يونس وزالت شوكة الحنابلة، استطال عليهم أصحاب الشافعي استطالة السلاطين لظلمة فاستعدَوا بالسجن، وآذوا العوام بالسعايات، والفقهاء بالنبذ بالتجسيم.

٨٣ ـ قال: فتدبرت أمر الفريقين، فإذا بهم لم تعمل فيهم آداب العلم، وهل هذه إلاّ أفعال الأجناد يصولون في دولتهم، ويلزمون المساجد في بطالتهم؟ اهـ. ولدينا من القصص في عجائب ما روى التاريخ من التعصب ما لا يسعنا إلا إمساك القلم عن نشره إبقاءً على هذه لبقية الباقية، وفي الإشارة ما يغني عن الكلم، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

٨٤ ـ وكل ذلك من التفرق الذي نهى عنه الدين لما يستتبعه من الأرزاء التي تعمل في أساسه المتين، ويكفي ما جنت وتجني الأمة من ويلاته إلى هذا الحين حتى فشلت وذهب ريحها أمام أعدائها الكافرين، والمستعان بالله.

درءُ وَهْمٍ واشتباه

٨٥ ـ يقول بعضهم: إن مسلماً روى عن ابن عباس أنه قال في نجدة الحروري: لولا أن أرده عن نتن يقع فيه ما كتبت إليه ولا نعمة عين!.

قال النووي: كان ابن عباس يكرهه لبدعته وهي كونه من الخوارج.

والجواب: أنه لا يلزم من كراهة الفرد كراهة المجموع، وإلاَّ لما خرّج لثقاتهم وعلمائهم الشيخان وغيرهما، وهل يؤخذ الجمع بجريرة الفرد؟ على أنّ نجدة ليس من رجال الرواية عند المحدثين، فقد ضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال وقال عنه[1].

٨٦ ـ ذكر في الضعفاء للجوزجاني، على أن الحال وصل إليه في قومه أن يختلفوا عليه وينبزوه بالكفر كما تراه في كتاب الفرق للإمام أبي منصور البغدادي، والملل والنحل للشهرستاني وغيرهما، فلا نعمة عين له ـ كما قال ابن عباس ـ ولو كان يكره كل خارجي لبدعته لما أخرج لأثباتهم أئمة السنة في الصحاح والمسانيد، ويكفي أن الإمام مالكاً رضي الله عنه عُدَّ ممن يرى رأيهم كما رواه الإمام المبرد في كامله ومن عزا لك ما يأثره، وأراك مصدره، فقد أوقفك من المسالك على الصراط المستقيم.

ومن الغريب أن يستدل بعضهم على معاداة المبدعين بأمر النبي ﷺ بهجر الثلاثة الذين خُلِّفوا، ورفض تكليمهم حتى تيب عليهم، مع أنه لا تناسب بين دليله والدعوى بوجه ما ـ لأن البحث في الرواة المجتهدين الثقات المتقنين الذين ما نبذ السلف مرويهم لرأي رأوه، أو مذهب انتحلوه، فهل كان المخلفون كذلك؟.

٨٧ ـ وما المناسبة بين قوم هجرهم النبي ﷺ لذنب محقَّق اعترفوا به حتى تيب عليهم ـ وقوم لا يرون ما هم عليه إلا طاعة وعقداً صحيحاً يدان الله به، وتنال النجاة الزلفى بسببه، فالإنصاف يا أولي الألباب الإنصاف، وحذارِ من الجري وراء التعصب والاعتساف، غريب أمر المتعصبين، والغلاة الجافين، تراهم سراعاً إلى التكفير والتضليل والتفسيق والتبديع، وإن كان عند التحقيق لا أثر لشيء من ذلك إلا ما دعا إليه الحسد، أو حمل عليه الجمود وضعف العلم، وجهل مشرب البخاري ومسلم، وأصحاب المسانيد والسنن وهُداة الأمة... ولا قوة إلاَّ بالله.

ثمرة الرفق بالمخالفين

٨٨ ـ قال بعض علماء الاجتماع: يتخلف فكر عن آخر باختلاف المنشأ والعادة والعلم والغاية، وهذا الاختلاف طبيعي في الناس، وما كانوا قط متفقين في مسائل الدين والدنيا، ومن عادة صاحب كل فكر أن يحب تكثير سواد القائلين بفكره، ويعتقد أنه يعمل صالحاً ويسدي معروفاً، وينقذ من جهالة، ويزغ عن ضلالة، ومن العدل أن لا يكون الاختلاف داعياً للتنافر ما دام صاحب الفكر يعتقد ما يدعو إليه ولو كان على خطأ في غيره، لأن الاعتقاد في شيء أثر الإخلاص والمخلص في فكر ما إذا أخلص

---

(١) انظر: الميزان (٤/ ٢٤٥).

فيه يناقش بالحسنى ليتغلب عليه بالبرهان لا بالطعن وإغلاظ القول وهجر الكلام، وما ضرّ صاحب الفكر لو رفق بمن لا يوافقه على فكره ريثما يهتدي إلى ما يراه صواباً، ويراه غيره خطأ أو يقرب منه وفي ذلك من امتثال الأوامر الربانية والفوائد الاجتماعية ما لا يحصى، فإن أهل الوطن الواحد لا يحيون حياة طيبة إلا إذا قلّ تعاديهم واتفقت على الخير كلمتهم وتناصفوا وتعاطفوا فكيف تريد مني أن أكون شريكك ولا تعاملني معاملة الكفؤ على قدم المساواة.

٨٩ ـ دع مخالفك ـ إن كنت تحب الحق ـ يصرح بما يعتقد، فإما أن يقنعك، وإما أن تقنعه. ولا تعامله بالقسر، فما قط انتشر فكر بالعنف، أو تفاهم قوم بالطيش والرعونة.

من خرج في معاملة مخالفة عن حد التي هي أحسن، يحرجه فيخرجه عن الأدب ويوجه إليه ـ لأن ذلك من طبع البشر مهما تثقفت أخلاقهم، وعلت في الآداب مراتبهم.

٩٠ ـ وبعد، فإن اختلاف الآراء من سنن هذا الكون وهو من أهم العوامل في رقيّ البشر، والأدب مع من يقول فكره باللطف قاعدة لا يجب التخلف عنها في كل مجتمع، والتعادي على المنازع الدينية وغيرها من شأن الجاهلين لا للعالمين، والمهوسين إلا المعتدلين. اهـ.

انتهى مع تلخيص وزيادة.

٩١ ـ ولا يخفى أن الأصل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٣].

٩٢ ـ وقوله جل ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحُجرَات: الآية ١١].

ولا تنسى ما أسلفنا عن السلف في تفسيرها.

حملة الأعلام المحققين على المتفقهة المكفرين

٩٣ ـ لما استفحل الرمي بالتكفير والتضليل لخيار العلماء في منتصف قرون الألف الأولى من الهجرة ضجت عقلاء الفقهاء، وصوبى سهام الردود في وجوه زاعمي ذلك، حتى قالت الحنفية عليهم الرحمة ما معناه: لو أمكن أن يكفر المرء في أمر من تسعة وتسعين وجهاً، ومن وجه واحد لا يكفر يرجح عدم التكفير على التكفير لخطره

في الدين. ولم يشتد الرمي بالتكفير والإرهاق لأجله، والإرجاف به، في عصر من العصور مثل القرن الثامن للهجرة. ومن سبر تاريخ الحافظ ابن حجر المسمى بالدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أخذه من ذلك المقيم المقعد، إذ يرى أن العالم الجليل الذي هو زينة عصره وتاج دهره كان لا يأمن على نفسه من الإفك عليه، والسعاية به، فيما يكفرهُ ويحل دمه، حتى صار يخشى على نفسه من أخذت منه السن، وأقعده الهرم، وأفلجته الشيخوخة، ولا من راحم أو منصف ـ كما تقرأ ذلك في ترجمة علاء الدين العطار تلميذ الإمام النووي، وأنه مع زمانته، وكونه صار حِلْس بيته، يتأبط دائماً وثيقة أحد القضاة بصحة إيمانه وبراءته من كل ما يكفره. . .

٩٤ ـ ولقد أريقت دماء محرمة، وعذبت أبرياء بالسجون والنفي والإهانات باسم الدين، ورُوِّعت شيوخ وشبان أعواماً وسنين، حتى عج لسان حالها وقالها بالدعاء إلى فاطر الأرض والسماوات، بكشف هذه الغمم والظلمات، ولم يزل سبحانه يملي لها ويستدرجها في غيها، ولم تحسب للأيام ما خبىء لها في طيها، إلى أن امتلأ إناؤها، وحان حصدها وإفناؤها، فأخذها الله وهي ظالمة جائرة، ودارت على دولتها الدائرة، ومحق الله بفضله تلك الدولة المجنونة الجاهلة، وأورثها للدولة الصالحة العاقلة، فأمنت الناس على أنفسها ودمائها، وذهبت عصبة الجمود بزبدها وغثائها.

٩٥ ـ سيقول بعض الناس ممن تغره القشور، ولم تقف مداركه على لباب روح العصور: إن تلك الدماء المراقة والأرواح المهدرة، لم يحكم عليها إلا بالبينة والشهود، التي بمثلها تقام الحدود، وهل بعد ذلك من ملام أو جحود؟ يقول ويجهل أو يتجاهل أن التعصب يحمل على الأخذ بالظِّنة، أو الإيقاع بالشبهة، وأن المتطوعة بالشهادة قد يحملهم على اختلاقها ظن الأجر بنُصرة الدين، بقتل هؤلاء المساكين لا سيما إذا دفعوا بتشويق المتصولحين والمتمفقرين، والحشوية البكائين، احتيالاً وقنصاً للمفعلين.

٩٦ ـ ولقد استُفيض عن كثير من هؤلاء الضالين المضلين، الإغراءُ بقتل الداعين إلى الكتاب والسنة والمجاهدين في الإصلام، العاملين أن قاعدة المحققين هي عدم البت في أمر تاريخي إلا بعد تعرّفه من أطرافه، ومراجعة عدة أسفار للوقوف على كنهه وحقيقته، والإشراف على غثه وسمينه ووزنه بميزان العقول السليمة، والقواعد الاجتماعية المعقولة، كما أشار إليه الإمام ابن خلدون في مقدمته.

من رسالة ابن الوردي في ذم التعصُّب

٩٧ ـ نحن لم نَصِمْ أعمال أولئك بالظلم والجور والبغي إلا لما فضح نبذاً منها

الإمام زين الدين بن الوردي الشهير صاحب البهجة، واللامية، والديوان، والمقامات. فقد شفى بالحقيقة الأوام، وأوضح عن مكر أولئك بالتمويه والإيهام، في مقالة بديعة أنشأها في القاضي الرباحي المالكي سماها: الحرقة للخرقة، ولا بأس بنقل جمل منها تأييداً لما قلناه.

٩٨ - قال رضي الله عنه: أما بعد، حمداً لله الذي لا يحمد على المكاره سواه، والصلاة والسلام على نبيه محمد الذي خاف مقام ربه وعُصم من اتباع هواه، وعلى آله وصحبه الذين بذل كل منهم في صون الأمة قواه، وسلمت صدورهم من فساد النيات وإنما لكل امرىء ما نواه، فإن نصيحة أُولي الأمر تلزم، والتنبيه على مصالح العباد قبل حلول الفساد أحزم، والمتكلم لله تعالى مأجور، والظالم ممقوت مهجور، وتحسين الكلام لدفع الضرر عن الإسلام عبادة، والنثر والنظم للذب عن أهل الإسلام من باب الحسنى وزيادة، وجَرْحة الحاكم الأعراضَ بالأغراض صعبة، إذ نص الحديث النبوي أن حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة، ومخرق خرقته مذموم، ولحم العلماء مسموم، وهذه رسالة أخلصت فيها النية، وقصدت بها النصيحة للرعاة والرعية، أودعتها من جوهر فكري كل ثمين، وناديت بها على هزيل ظلم أبناء جنسي مناداة اللحم السمين، لكن جنّبتها فحش القول إذ لست من أهله، وخلدتها في ديوان الدهر شاهدة على المسيء بفعله، ورجوت بها الثواب، نصرة للمظلوم، وغيرة على حملة العلوم، وسميتها: الحرقة للخرقة.

٩٩ - فقلت: اعلموا يا ولاة الأمر ويا ذوي الكرم الغمر، أبقاكم الله بمصر للأمة، ووفقكم لدفع الإصر وبراءة الذمة، أن حلب قد نزعت للزبدة، ووقعت من ولاية التاجر الرباحي في خسر وشدة، قاض سلب الهجوع، وسَكَب الدموع، وأخاف السرب، وكدر الشُرْب، بجراءته التي ضَمّت وطمّت، وعاميته التي عَمَت وعَمّت، وفتنته التي بلغت الفراقد، وأسهرت ألف راقد، ووقاحته التي أدهشت الألباب، وأخافت النطف في الأصلاب، فكم لطخ من زاهد، وكم أسقط من شاهد، وكم رعب بريأ، وكم قرب جَرِياً، وكم سعى في تكفير سليم، وكم عاقب بعذاب أليم، وكم قلب ذائب، بنائبة توسط بها عند النائب، فامتنعت الأمراء عن الشفاعة، وظنوا هم والنائب أن هذا امتثال لأمر الشرع وطاعة: [مخلع البسيط]

يا حامل النائب في حُكْمِه   أن يقتل النفس التي حرّمت
غششته والله في دينه   بُشراك بالنار التي أُضرمت

١٠٠ - إلى أن قال الزين بن الوردي: ثم إنه فسّق مفتياً في الدين، وفضح خطيباً على رؤوس المسلمين.

ثم قال: يجب إثبات الردة والكفر، كحب الدنانير الصفر: [مجزوء الوافر]

حاكمٌ يصدُرُ منه ... خَلْفَ كلّ الناس حَفْرُ
يتمنى كفر شخصٍ ... والرضا بالكُفْر كفْرُ

١٠١ ـ ثم قال: إذا وقع عنده عالم فقد وقع بين مخالب الأسود وأنياب الأفاعي السود: [الوافر]

أدرِكوا العلم وصُونُوا أهلَه ... من جهول حاد عن تَبْجيلِهِ
إنما يَعْرِفُ قدر العلم مَنْ ... سَهِرتْ عيناه في تحصيلِهِ

١٠٢ ـ ثم قال: ما أقدره على السفير! وما أسهل عليه التفسيقَ والتكفير!

كم دعا إلى بابلة فما ارتاح إلى الباب، وزاه حيران لعدم الرقة فإذا قيل له فلان كفر طاب، يحبس على الردة بمجرد الدعوى، ويقوي شوكته على أهل التقوى، قد ذلل الفقهاء والأخيار، وجرّأ عليهم السفهاء والأغيار. [مجزوء الهزج]

يَحبِسُ في الردة مـ ... ـن شاءَ بغير شاهد
لا كان من قاضٍ حكى الـ ... ـفُقاعَ ضَدٌ باردِ

أراح الله من تعرضه، وصان عِراض الأعراض عن تعرُّضه ـ يقصد بذلك أهل الدين، والقراء الموجودين. [الوافر]

جرحْتَ الأبرياء فأنت قاضٍ ... على الأعراض بالأغراضِ ضَارِي
ألم تعلم بأن الله عَدْلٌ ... «ويعلم ما جرحتم بالنهار»

١٠٣ ـ هذا بعض ما جاء في رسالة الإمام ابن الوردي التي هي أشبه بمقامة بديعية، وكلها حقائق صادقة ناطقة بما كان عليه من تعصب قضاة ذاك الوقت ولا سيما المالكية منهم.

١٠٤ ـ ولقد كان قضاة المذاهب يحيلون الأمر في التعزير والتأديب إلى القاضي المالكي لما اشتهر في الفقه المالكي من مضاعفة النكال، وشدة التأديب في باب التعزير، إذ بَسَط للقاضي يده فيه بسطاً لم يوجد في مذهب غيره فلذا كان محبو الانتقام والتشفي يعمدون إلى إحالة القضية إلى القاضي المالكي لما يعلمون ما وراء قضائه ـ مما فصَّل بعضه الإمام ابن الوردي كما قرأت.

١٠٥ ـ على أن الأمر في التعصب لم يقف عند القاضي المالكي وحده، لنتعصب ضده، وإنما كان هو الأقوى تعصباً والأشد تصلباً، وإلا فإن مظهر ذاك العصر كان التعصب لجميعهم.

١٠٦ ـ فقد حكى الشيخ الشعراني رحمه الله تعالى في مقدمة طبقاته الكبرى، المسماة بلواقح الأنوار، ما مثاله: وقد أخبرني شيخنا الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمرى بمصر المحروسة أن شخصاً وقع في عبارة موهمة للتكفير، فأفتى علماء مصر بتكفيره، فلما أرادوا قتله قال السلطان جقمق: هل بقي أحد من العلماء لم يحضر؟ فقالوا: نعم، الشيخ جلال الدين المحلى شارح المنهاج. فأرسل وراءه فحضر، فوجد الرجل في الحديد بين يدي السلطان.

فقال الشيخ: ما لهذا؟

قالوا: كفر.

فقال: ما مستند من أفتى بتكفيره؟

فبادر الشيخ صالح البلقيني من مشاهير الشافعية، وقال: قد أفتى والدي شيخ الإسلام سراج الدين في مثل ذلك بالتكفير.

فقال الشيخ جلال الدين رضي الله عنه: يا ولدي أتريد أن تقتل رجلاً مسلماً موحداً يحب الله ورسوله بفتوى أبيك؟ حلُّوا عنه الحديد.

فجرّدوه وأخذه الشيخ جلال الدين بيده وخرج السلطان ينظر. فما تجرأ أحد يتبعه رضي الله تعالى عنه.

١٠٧ ـ وقد عدَّ الشعراني من الأعلام الذين أكفرهم الجامدون المتعصبون ما يقرب من الثلاثين. فمنهم القاضي عياض اتهموه بأنه يهودي لملازمته بيته للتأليف نهار السبت، وذكر أن المهدي قتله.

ومنهم الإمام الغزالي كفّره قضاة المغرب، وأحرقوا كتبه.

ومنهم التاج السبكي، رموه بالكفرار مراراً وسُجن أربعة أشهر.

١٠٨ ـ وكل هذا إنما كان بزعم المتعصبين بشهادات وأقضية وفتاوى، ولكن سرعان ما فضحهم التاريخ، وكشف عوارهم، كما حكاه الشعراني وغيره. والحمد لله الذي جعل الباطل زهوقاً.

١٠٩ ـ وهكذا يمر بتواريخ تلك القرون ما لا يُحصى من حوادث من أقيمت عليهم الفتن، واتهموا بما اتهموا به، مع أن الحدود تدرأ بالشبهات، وتعنى بالحدود ما نص عليه في الكتاب العزيز والسنة الغراء، فإذا كانت في تلك المكانة وقد شرع فيها محاولة درؤها بالشبهات، فكيف بحدود لا سند لها إلا بالاجتهاد، وليس لها أصل قاطع، ولا نصٌ محكم، فلا ريب أنها أولى بالدرء، وأجدر بالدفع، ولا يدري المرء ما الذي حملهم على نسيان هذه الموعظة حتى عكسوا القضية، وأصبحوا يكبرون

الصغير، ويعظمون الحقير، ويهولون الأمور، ويدعون بالويل والثبور، مما لا يقومون بعشره للمنكرات المجمع عليها، والكبائر التي يجاهر بها، فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

١١٠ ـ ولما تشدّدت القضاة المالكية في هذا الباب، أصبحوا هدفاً لأولي الألباب، حتى قال الإمام ابن الوردي في ذاك القاضي المتقدم الرباحي: إن المالكية بدمشق كتبوا إليه: يا مغلوب، لقد بغّضتَ مذهب مالك إلى القلوب، وقطعت المذاهب الأربعة عليه بالخطأ، وزالت بهجته عند الناس وانكشف الغطاء، الخ.

١١١ ـ والسبب في ذلك ما ابتدعه الظاهر برقوق من توظيف قضاة أربعة على المذاهب الأربعة مما لم يعهد قبله في دولة من الدول، حتى نشأ من ذلك ما نقمه عليه الأعلام وعدّوه من التفرقة في الإسلام.

١١٢ ـ قال التاج السبكي في طبقاته في ترجمة قاضي القضاة بالديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعي المتوفى سنة ٦٦٥ ما مثاله[١]:

وفي أيامه جدّد الملك الظاهر القضاة الثلاثة في القاهرة، ثم تبعتها دمشق. وكان الأمر متمحضاً للشافعية فلا يعرف أن غيرهم حكم في الديار المصرية منذ وليها أبو زُرعة محمد بن عثمان الدمشقي في سنة ٢٨٤ إلى زمان الظاهر إلاَّ أن يكون نائبٌ يستنيبه بعض قضاة الشافعية في جزئية خاصة، وكذا دمشق لم تليها بعد أبي زُرعة المشار إليه إلا شافعي غير الثلاث عوني التركي، الذي وليها بويمات وأراد أن يجدد في جامع بني أمية إماماً حنفياً، فأغلق أهل دمشق الجامع وعُزِل القاضي.

١١٣ ـ قال السبكي: واستمر جامع بني أمية ـ في يد الشافعية ـ كما كان في زمن الشافعي رضي الله عنه.

١١٤ ـ قال: ولم يلِ قضاء الشام والخطابة والإمامة بجامع بني أمية إلاَّ من يكون على مذهب الأوزاعي إلى أن انتشر مذهب الشافعي، فصار لا يلي ذلك إلا الشافعية.

ثم قال السبكي:

١١٥ ـ وقد حُكي أن الملك الظاهر رئي في النوم فقيل: ما فعل الله بك، قال: عذّبني عذاباً شديداً بجعل القضاة أربعة، وقال: فرقت كلمة المسلمين. اهـ.

١١٦ ـ ولا يخفى على ذي بصيرة ما حصل من تفرق الكلمة وتعدد الأمراء، واضطراب الآراء، وقد قال أبو شامة لما حكى ضم القضاة: إنه ما يعتقد أن هذا وقع قط.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى (٨/ ٣١٩).

١١٧ ـ قال السبكي: وصدق فلم يقع هذا في وقت من الأوقات.

١١٨ ـ قال: وبه حصلت تعصبات المذاهب، والفتن بين الفقهاء، فإنه يؤيد ما قدمناه من اتخاذ هذه آلة للفتن والتشفي من المخالفين، حتى أدال الله من تلك الدولة للسلطان سليم خان فنسخ كل ذلك، وقصر الأمر على قاضي حنفي واحد، ولا ريب أن هذا كان من النعم الكبيرة، إذ قُمعت به فتن خطيرة، وحسمت به شرور وفيرة.

١١٩ ـ نعم، لم يزل في الأمر حاجة إلى الكمال، وهو سعي أولي الحلّ والعقد بعقد مؤتمر علمي من كبار فقهاء المذاهب المعروفة، وتأليف مجلة تستمد من فقه سائر الأئمة الأربعة وغيرهم مما فيه رحمة ويسر، ومشي مع المصالح والمنافع، ودفع المضار في أبواب المعاملات.

١٢٠ ـ فبذلك تظهر محاسن الدين في الأقضية والأحكام، ويعرف أنه دين المدنية في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة وساعة القيام، وأن اليوم الذي تتحقق فيه هذه الأمنية لهو أسعد الأيام، والمستعان بالله ذي الجلال والإكرام.

هذا ونسأل الله الإخلاص والقبول لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه

أبو الفوارس أحمد فريد المزيدي

الأندلس، الهرم، القاهرة

فهرس المحتويات

كيد الشيطان لنفسه قبل خلق آدم عليه السلام وبيان الفرق الضالَّة

المختار النفيس من الانتصار لأصحاب الحديث